إنجيل المسيح عليه السلام

بين

وحي السماء ووضع البشر

تأليف

أ. د/ محمد أبو الغيط الفرت

أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر

الطبعة الأولى

١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م

الناشر

دار الكتاب الجامعي

٨ شارع سليمان الحلبي بالقاهرة

ت : ٩٨٦٥٤١


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين، والمبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأكرمين ومن دعا بدعوتهم واستقام على طريقتهم إلى يوم الدين :

أما بعد :

فقد شرع الله لعباده ديناً تنتظم به حياتهم ، وينالون بالاستقامة على منهجه سعادتهم فى الدنيا والآخرة ، أقامه على التوحيد الخالص ، والمعرفة اليقينية المبنية على التصور الصادق والحجة والبرهان .

وقد جعل الله سفراءه إلى خلقه رسلا مبشرين ومنذرين بأصول الدين وشعائره ، يحددون مبادئه ، ويفصلون قوانينه ، ويشرحون أهدافه .

« وإن من أمة إلا خلا فيها نذير »(١) ، « فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين »(٢) .

كما خص الله كل رسول بشريعة ومنهاج ، محدد الأصول منفصل الفروع حسبما يتفق وصلاح حال أمته لطفاً من الله ورحمة .

« لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا »(٣) .

---

(١) سورة فاطر / ٢٤

(٢) سورة البقرة / ٢١٣

(٣) سورة المائدة / ٤٨

وأول الأسس التى قام عليها المنهج الربانى تكليف المكلفين بالإيمان بالله ، الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد .

« وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم »(١) ، « قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد »(٢) .

يقول الإنجيل على لسان عيسى عليه السلام : « إن أول كل الوصايا هى إسمع يا إسرائيل ، الرب إلهنا واحد ... فقال له الكاتب جيدا يامعلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه »(٣) .

ثانى هذه الأسس : الإيمان بالأنبياء والرسل الذين بواسطتهم تثبت سائر العقائد والشرائع وكل قضايا الغيب ، من إيمان بالبعث بعد الموت ، وبالملائكة وبالجن ، وغيرهم ، وذلك بالوحى إليهم بتعاليم المنهج وشرعته ، وتبليغها إلى المكلفين من البشر .

ثالثها : الإيمان بالكتب المنزلة من عند الله إلى أنبيائه ورسله الأكرمين ، وتتضمن المنهج الإلهى بأسسه ، العقدية ، والشرعية ، والأخلاقية .



(١) سورة البقرة / ١٦٣

(٢) سورة الإخلاص .

(٣) مرقس ١٢ : ٢٩ ، ٣٢

« آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله »(١) .

« قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون »(٢) .

هذه هى أولى الأسس والأصول التى تأصل عليها الدين السماوى ، بخلاف أصول أخرى لا يتم الإيمان بدونها .

أما هذه الأصول الثلاثة : فهى متلازمة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً ، إذ تمثل حلقة متصلة تتمثل فى : مرسل ؛ هو الله سبحانه وتعالى ، ومرسل (رسول) هو المبعوث من الله إلى قومه ، أو إلى الناس أجمعين ، ومرسل به : وهو الكتاب الموحى به إلى الأنبياء والمرسلين كل قدر قسطه من أم الكتاب .

فمن جحد وجود الله ، أو ألحد ، أو أشرك به ، فهو كافر ، ومن أنكر

تنبيـــه :

فى حالة الإشارة إلى مرجع من العهد القديم أو العهد الجديد نذكر اسم السفر ، ثم رقم الإصحاح فى السفر المذكور من التوراة أو الأناجيل أو أسفار أخرى ، والرقم المذكور بين النقطتين يشير إلى عدد الفقرات من تلك الإصحاحات ، والواو لعطف الأسفار والأناجيل ، أما الشرطة (–) فهى بمعنى إلى ، فليعرف ذلك فى كل ما يأتى :

(١) البقرة / ٢٨٥ (٢) البقرة / ١٣٦

نبياً أو رسولا ، على وجه الإجمال أو التفصيل ممن ورد ذكرهم فى القرآن الكريم أو غالى فيه فقد كفر.

« إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذاباً مهينا ، والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف نؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيما »(١) .

ومن جحد كتاباً من الكتب المنزلة إجمالا وتفصيلا مما ورد ذكره فى القرآن الكريم ، أو بدل ، أو غير ، أو حرف ، أياً من هذه الكتب ، أو بعضاً منها ، أو أسند إلى الله ما لم ينزله أو يوح به إلى أحد من أنبيائه ورسله فقد كفر بمن أنزل الكتاب .

« آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا »(٢) .

« فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم »(٣).

هذا ، ومن الأنبياء المرسلين المسيح عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام ، فقد بعث إلى بنى إسرائيل خاصة « ورسولا إلى بنى إسرائيل »(٤) وقال متى على لسان المسيح : « لم أرسل إلى خراف بيت اسرائيل الضالة »(٥) والمسيح عليه السلام إنسان وابن الإنسان يدعى « إن ابن الإنسان ماض كما هو مكتوب عنه ، ولكن ويل لذلك الرجل الذى به يسلم ابن الإنسان »(٦).

---

(١) النساء / ١٥٠ — ١٥٢
(٢) النساء / ١٣٦
(٣) البقرة / ١٨١
(٤) آل عمران / ٤٩
(٥) متى ١٥ : ٢٤
(٦) متى ١٦ : ٢٤

أما الكتاب المنزل على سيدنا عيسى والموحى به إليه ، فهو الإنجيل ، وجاء على منهج التوراة وتعاليمها مع زيادة منهج الهذيب الأخلاقى والتخفيف فى الأحكام على بنى إسرائيل .

يقول الحق سبحانه وتعالى فى شأن الإنجيل ومنهجه على لسان المسيح عليه السلام : « ومصدقاً لما بين يديه من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم »(1) .

ويقول متى على لسانه أيضاً : «ما جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل ، فإنى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل »(2) .

والإنجيل كتاب موحى به من الله إلى عبده ونبيه عيسى ابن مريم ، يقول الله تعالى : « وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتينا الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يدية من التوراة وهدى وموعظة للمتقين »(3) .

ويقول قديس المسيحية «بولس»: «كل الكتاب هو موحى به من الله»(4) ويحكى يوحنا قول المسيح فيقول : « والكلام الذى تسمعونه ليس لى بل للآب الذى أرسلنى »(5) .

والقضية المفروض بحثها هنا ، والتى هى موضوع كتابنا هى البحث عن «إنجيل المسيح» وتحقيق القول فيه ، باعتباره وحياً أنزله الله على عيسى عليه السلام كما هو نص القرآن والأناجيل المذكورين .

فهل هو باق على قدسيته السماوية ، صحيح النسب إلى من أنزله سبحانه وتعالى ؟

---

(1) آل عمران/ ٥٠ (2) متى ٥ : ١٧، ١٨ (3) المائدة/ ٤٦

(4) رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس ٣: ١٦ (5) يوحنا ١٤: ٢٤

وهل هو المنهج الصحيح المعمول به لدى المسيحيين ويسيرون فى ضوء نوره وهداه كما أمر الله تعالى بقوله : « وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله(١) أم أنه رفع برفعه وتوالت يد البشر وضع إنجيل آخر حل محله ؟

إن القرآن الكريم يتحدث عن إنجيل واحد ، هو الكتاب الذى أوحى إلى عيسى عليه السلام ، وبشر به اليهود ، يقول سبحانه : « وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور » ويقول مرقس على لسان عيسى يعظ قومه « قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل »(٢) .

كما أن الواقع والعرف لا يسمحان بأن يكون لعيسى أكثر من كتاب هو دستور رسالته التى دعا إليها ويشر بها .

ولكن هذه الحقيقة تبدلت تماما وانطمست آثارها ، فأول ما يلقانا من الإنجيل أنه ليس انجيلا واحدا ، وإنما هو جملة أناجيل متعددة مختلفة ، بلغت عدتها مئات فى رأى بعض المحققين(٣) .

ثم حصرت فى نحو سبعين انجيلا ، ثم انتهت بعد مراحل من التصفية والغربلة إلى الأربعة الأناجيل المعروفة الآن ، والمعتمدة من طوائف المسيحيين ، وهى ، إنجيل متى ، وإنجيل مرقس ، وإنجيل لوقا ، وإنجيل يوحنا .

ولم يقف الأمر عند حد هذه الكثرة من الأناجيل التى كتبها أصحابها ،

---

(١) المائدة ٤٧

(٢) مرقس ١ : ١٥

(٣) عبد الكريم الخطيب المسيح فى القرآن والتوراة والإنجيل ص ٧٧

بل دخل إلى هذا الميدان — ميدان الكتابة عن حياة المسيح[١] — أعداد لا حصر لها ممن يريدون الشهرة، ويطلبون السلطان والتسلط على الناس، فكان هذا العدد الوفير عن دعاهم « بولس » بالأنبياء الكذبة، وممن إنخدع الناس فيهم، واطمأنوا لأقوالهم. وصاروا جبهة أخرى تقابل جبهة بولس وأتباعه.

ويدل على وجود العدد الكثير من الأناجيل التي وضعت بين البشر قول بولس فى رسالته إلى أهل غلاطية وكانوا قد استجابوا لدعوته، وللإنجيل الذى يشر به، ثم دعاهم داع أو دعاة آخرون باسم المسيح فاستجابوا للدعوة الجديدة وآمنوا بها، يقول لهم : « إنى أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذى دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر، ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح »[٢].

فهذا القول من بولس — رسول المسيحة الأعظم — يدل صراحة على أن من الأتباع من كان فى قلق وحيرة فى تمييز الإنجيل الصحيح حتى صاروا فى ظلام بهيم، يتخبطون فيه خبط عشواء، فيقبلون كل داع يدعوهم إلى دين باسم المسيح، كما يقبلون أى تعليم يزعم الداعى إليه أنه إنجيل المسيح وربما لم يستمع إلى انجيل المسيح، بل لم يكن قد رأى المسيح، وهذا شأن جميعهم إلا قليلا، بل ظهر فى عصر المسيحية المبكر من زعم صلته بالروح

---

(١) وردت كلمة (مسيح) فى مواضع كثيرة من العهد القديم، وجاءت فى الترجمة السبعينية حوالى عام ٢٨ ق.م، إلى اليونانية بمعنى أن المسيح هو الذى صب عليه الزيت المقدس أو مسح به، كما وردت كثيرا فى الأناجيل بمعنى، المبارك، وجاء اسم المسيح فى القرآن الكريم إسما لعيسى عليه السلام تصديقا من القرآن لما بين يديه من الكتاب.

(٢) غلاطية ١ : ٦، ٧

القدس كذبا ، وأنه قد أوحى إليه بإنجيل على ماسنعرفه بمشيئة الله تعالى من خلال عرضنا لأبواب الكتاب ، فقد ملئت غياض المسيحية المبكرة بالعديد من هذا النوع من الأناجيل ذات الصبغة المذهبية ، والنزعة الخصامية .

يقول (آدم كلارك) وهو من كبار علماء المسيحيين البروتستانت عن ظهور أناجيل مختلفة فى أصلها : « هذا الأمر محقق أن الأناجيل الكثيرة الكاذبة ، كانت رائجة فى أول القرون المسيحية ، وكثرة هذه الأحوال هيجت لوقا على تحرير الإنجيل ، ويوجد ذكر أكثر من سبعين من هذه الأناجيل الكاذبة ، والأجزاء الكثيرة من هذه الأناجيل باقية ، وكان الفاضل « فابرى سيوس » جمع هذه الأناجيل الكاذبة ، وطبعها فى ثلاثة مجلدات ، وبين فى بعضها وجوب طاعة الشريعة الموسوية ، ووجوب الختان مع إطاعة الإنجيل(١) .

فهذه شهادة شاهد من أهل الانجيل على تعدد الأناجيل ، وهنا نعود فنقول : إن المسيح عليه السلام قد جاء بإنجيل واحد . تلقاه وحيا من ربه وألقاه على أسماع حوارييه والتلاميذ ، وبشر به فى المجتمعات اليهودية .

فأين هو هذا الانجيل السماوى ، وما مدى صلة الأناجيل الحالية (القانونية) بإنجيل المسيح وما أطوار كتابتها ، والوحدة الموضوعية لنصوصها ، ومتى وكيف كتبت ومامصادرها ، وأخيرا ماهى الأمارات والشواهد التى تدلنا على الانجيل الحقيقى المنزل على سيدنا عيسى عليه السلام والتى على أساسها نعتقد أحقيته والايمان به ، وأنه الذى دعا القرآن الكريم إلى تحكيمه بين أتباع المسيح فى قوله تعالى : « وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه » .

---

(١) مقدمة الفارق بين المخلوق والخالق ص ١٥ .

كل هذه قضايا نرجو من الله العلى العظيم العون على الوفاء ببيانها ، والحق مقصدنا ، وهدى الله متبغانا ، والله من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ونعم المولى ونعم النصير ، إنه على مايشاء قدير .

القاهرة فى ربيع الأول سنة ١٤٠٦ هـ نوفمبر سنة ١٩٨٦ .

المؤلف
أ . د / محمد أبو الغيط السيد الفرت
أستاذ العقيدة والفلسفة
فى كلية أصول الدين . جامعة الأزهر




http://www.al-maktabeh.com

الباب الأول

الأنجيل بين الوحى والتلقين والتراخى فى التدوين

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : التعريف بالإنجيل

الفصل الثانى : الانجيل دستور رسالة المسيح

الفصل الثالث : أثر عقيدة القيامة على التراخى فى كتابه الإنجيل


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

الفصل الأول

التعريف بالانجيل

الإنجيل فى العرف الإسلامى :

جاء فى لسان العرب أن الإنجيل هو : [كتاب عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، يؤنث ويذكر ، فمن أنث أراد الصحيفة ، ومن ذكر أراد الكتاب ، وفى صفة الصحابة – رضى الله عنهم – معه قوم صدورهم أناجيلهم ، هو جمع إنجيل . . وهو اسم عبرانى أوسريانى ، وقيل هو عربى يريد أنهم يقرؤون كتاب الله عن ظهر قلوبهم ، ويجمعونه فى صدورهم حفظا . . . والإنجيل مثل الاكليل ، وهو من الفعل إفعيل](1) .

وفى القاموس الوسيط : « الإنجيل : كتاب الله المنزل على عيسى عليه السلام ، وهى كلمة يونانية معناها البشارة ، والجمع أناجيل(2) » .

فتبين أن أصل الكلمة يرجع فى الاصطلاح العربى إلى أصل عبرانى ، أو سريانى ، أويونانى ، وفى قول ضعيف إلى أصل عربى وعلى كل فهو من الألفاظ المعربة .

---

(1) لسان العرب مادة (نجل) . (2) راجع مادة (نجل) .

الإنجيل فى العرف المسيحى :

المشهور فى العرف المسيحى أن كلمة [انجيل] معناهـا أخبار طيبة ، وأنباء مفرحة ، يقول ول ديورانت : « كلمة إنجيل معناها أخبار طيبة ، أوأخبار سارة(١) » وقال القس إبراهيم لوقا : « إن الانجيل . كلمة يونانية معناها بشارة مفرحة ، أو خبر سار ، سمى بها المخلص — أى المسيح — بشارته الخــــلاصية . لأنها الحقيقة المفرحة ، وأصبحت مرادفة تارة لتعليمه ، وتارة لسيرتـه . وعـن المخلص أخذها الرسل والانجيليون ، ووردت مرارا فى الأربعة الأناجيل ، وفى غيرها من كتب العهد الجديد ولم يلبث أن انتقل من معنى المضمون إلى معنى المتضمن ، أى من معنى البشرى والتعليم الخلاصى إلى الـكتاب الحاوى التلك البشرى ، وذلك التعليم . والآن — عندما يقول المسيحيون كلمة « إنجيل » إنما يقصدون بها أن يعبروا إماعن : ترجمة حياة السيد المسيح كما كتبها كل من (متى) و (مرقس) و(لوقا) و (يوحنا) بمفرده ، أو عما كتبه هؤلاء الأربعة جملة واحدة ، أو عن كل أسفار العهد الجديد ، أى ما كتب بعـد ميلاد المسيح . فليس الانجيل كما يعتقد المسلمون كتابا أوحى به إلى المسيح من السماء ، وإنما هو رسالة أعدها المسيح للعالم ، ووعظ بها وأنذر بغمه الطاهر فالمسيح علمها شفويا لتلاميذ مختارين ، ثم أرسلهم إلى جهات مختلفة ليبشروا بها هم أيضا . فجميع ما كتبه البشيرون الأربعة ، (متى) و (مرقس) و (لوقا) و (يوحنا) رسالة واحدة هى الإنجيل الذى قدمه المسيح وبشر به . وكل بشارة منها تؤدى رسالة خاصة مكملة للأخرى ، فالمسيح واحد

(١) قصة الحضارة ج ٣ م ٣ ص ٢٠٧

لا أربعة ، والإنجيل هو كل هذه البشائر المستقلة(١) وما يتبعها من رسائل لزيادة الإيضاح والبيان»(٢) .

خلاصة قول القس لوقا :

إن الإنجيل كلمة يونانية الأصل فى العرف المسيحى ،وأنها تطلق ويراد بها بشارة المسيح الخلاصية ، وأن معناها ينتقل من معنى المضمون إلى معنى المتضمن . أى من معنى البشرى والتعليم الخلاصى إلى الكتاب المتضمن لتلك البشرى وذلك التعليم ، فهو من الكلمات المنقولة من المعنى الأصلى إلى المعنى المنقولة إليه ، كما يطلق الإنجيل ويراد به كل سفر يتضمن أعمال المسيح وتعاليمه ، أوترجمة حياته ، وبيان سيرته ، كما فى بشائر — أناجيل — متى ومرقس ولوقا ويوحنا كما ، يطلق ويراد منه أيضا (العهد الجديد) بكامله .

فما هو العهد الجديد ؟؟

العهد الجديد :

العهد الجديد هو كتاب المسيحين المقدس ، وهو يشتمل على سبع وعشرين سفرا وسمى بالعهد الجديد فى مقابلة إطلاق العهد القديم على الاسفار اليهودية المكونة من أسفار التوراة والأسفار التاريخية ، وكتب أنبياء بنى إسرائيل .

---

(١) قوله بان البشائر مستقلة ، يتناقض مع قوله « الإنجيل واحد لا أربعة وأن كل بشارة مكملة للأخرى

(٢) إبراهيم لوقا / المسيحية فى الإسلام ص ٤٢ ، ٤٣

أما أسفار العهد الجديد فهى :

١ — مجموعة الأناجيل الأربعة ، ويطلقون عليها أسفارا تاريخية .

٢ — سفر (أعمال الرسل) وهو يحكى سيرة الرسل والتلاميذ ونشاطهم فى الدعوة بعد المسيح .

٣ — مجموعة الرسائل ، وتشتمل على :

(أ) رسائل (بولس) الأربع عشرة وهى : الرسالة إلى أهل رومية ، والرسالة الأولى إلى كورنثوس ، والرسالة الثانية إليه أيضا ، والرسالة إلى غلاطية ، والرسالة إلى إفسس ، والرساله إلى فيلبى ، والرسالة إلى كولوسى ، ورسالتان إلى تسالونيكى ، ورسالتان إلى تيموثاوس ، والرسالة إلى تيطس ، والرساله إلى فليمون ، والرسالة إلى العبرانيين .

(ب) الرسائل الكاثوليكية السبع ، وهى : رسالة الحوارى يعقوب ، ورسالتان لبطرس ، وثلاث رسائل ليوحنا ، ورساله يهوذا .

ومجموع هذه الرسائل تسمى بالأسفار التعليمية .

٤ — سفر (رؤيا يوحنا اللاهوتى) ويطلقون عليه سفرا نبويا .

فمجموع أسفار العهد الجديد سبع وعشرون سفرا .

تعقيب :

لقد زعم القس إبراهيم لوقا فيما ذكره فى النص السابق (أن إنجيل المسيح — الحقيقى — لم يوح إليه من السماء كما يعتقد المسلمون ، وإنما هو رسالة أعدها المسيح من عند نفسه ، وأبدعها بفكره . وبالطبع لأنه الرب فى نظره !

ولشد ما يتبدد ذلك الزعم إذا عرفنا أن المسيح نفسه قال فيما حكوه

عنه : أن الإنجيل أوحى به إليه من عند الله، وهذا هو ما يتفق مع ما يعتقده المسلمون فى إنزال الكتب من الله إلى أنبيائه ورسله بواسطة الروح القدس — جبريل عليه السلام — فقد جاء فى يوحنا : « ولست أفعل شيئا من نفسى بل أتكلم بهذا كما علمنى أبى(١) » « أنا أتكلم بما رأيت عند أبى(٢) » « أنا علمتكم بكل ما سمعته من أبى(٣) » « وأنا ما سمعته منه فأنا أقوله للعالم(٤) » « والكلام الذى تسمعونه ليس لى بل للأب الذى أرسلنى(٥) ».

ثم جاء فى رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس : « كل الكلام هو موحى به من الله(٦) ».

فى هذه النصوص وغيرها قول صريح استنطقوا به المسيح بأن الكتاب الذى أنزل عليه هو الإنجيل، وأنه من عند الله، وأن الله أرسله به، وأنه أخذه من الله عن طريق السماع والتعليم، وأنه ليس من عند نفسه، بل هو من الآب الذى أرسله، وما أظهر، وأجلى، وأوضح ما قاله بولس : « كل الكتاب هو موحى به من الله ».

فالإنجيل عطاء من الله لنبيه عيسى عليه السلام، ليعطيه بالتالى إلى قومه وأتباعه .

وهذا هو قوله فى صلاته : « الكلام الذى أعطيتنى قد أعطيتهم(٧) ».

أما طريقة إنزال الإنجيل على سيدنا عيسى عليه السلام، فبعض المسيحيين

---

(١) يوحنا ٨ : ٢٨
(٢) يوحنا ٨ : ٣٨
(٣) يوحنا ١٥ : ١٥
(٤) يوحنا ٨ : ٢٦
(٥) يوحنا ١٤ : ٢٤
(٦) تيموثاوس الثانية ٣ : ١٦
(٧) يوحنا ١٧ : ٧

يذهبون إلى أنه أنزل إليه دفعة واحدة ، وأنه ألقى إليه شفاها ، وهذا على رأى من يتمشى مع هذه النصوص فى كونه قد أخذه من الآب .

ويذهب علماء الإسلام إلى أنه أنزل عليه من الله دفعة واحدة أيضا وليس منجما كما نزل القرآن الكريم(١) مخالفين رأى المسيحيين الوارد فى نعى القس إبراهيم لوقا السابق فى أنه أتى به من عند نفسه .

هذا ، ويتفق المسيحيون والمسلمون على أن المسيح عليه السلام بلغ الإنجيل شفاها ، وأنه لم يكتبه ، كما لم يكتبه أحد من تلاميذه وحوارييه حال وجوده بينهم وظل مأثورا فى الصدور إلى أن كتب الإنجيليون كتاباتهم وهذا هو ما أثبته التاريخ العام والخاص .



---

(١) أنظر تفسير الآلوسى للآية الثالثة من أول سورة آل عمران

الفصل الثانى

الإنجيل دستور رسالة المسيح

إن الحديث عن مريم البتول هو بداية الحديث عن المسيح عليه الصلاة والسلام ، فقد نذرتها أمها لتكون إحدى خدم المعبد اليهودى ، ثم نشأت وتربت فى الهيكل فى كفالة نبى الله زكريا عليه السلام ، وبلغت من التقوى والعبادة حدا غبطها عليه كهان بنى إسرائيل ، حتى صارت مستوجبة نعمة الله العلى الأعلى ، فطهرها وفضلها على نساء العالمين قال سبحانه « ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين »(١) .

« إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يامريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين »(٢).

ثم اختارها الله لتكون محلا لإجراء المعجزة العظيمة التى ضل بسببها اليهود والمسيحيون باستثناء الذين اتبعوا المسيح على الحق .

لقد حملت مريم بالمسيح بأمر الله الكونى قال تعالى : « قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا »(٣) .

---

(١) سورة التحريم ١٢ .

(٢) آل عمران ٤٢ ، ٤٣ .

(٣) مريم ٢٠ ، ٢١ .

ولما أتم الله حملها وولدته أنكره بنوا إسرائيل ، كما قالوا على مريم بهتانا عظيما وكانت براءتها بخارقة أخرى غير خارقة الحمل به وماتبعها « فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا ، قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون »(١) .

ولما بلغ عيسى مبلغ الرسالة أوحى الله إليه بالإنجيل مع استيعابه مضامين التوراة عقيدة وشريعة ، كما علمه مضامين كتب أنبياء بنى إسرائيل ، فكان كتابه — الإنجيل — مصدقا لما بين يديه من التوراة قال تعالى : « وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة »(٢) .

فكانت رسالته عليه السلام تأكيدا للاستمرار والإلتزام بما جاء فى توراة موسى عليه السلام ، عقيدة وشريعة ، كما دعا إلى الاستقامة على الدين القويم بمنهج الإنجيل التهذيبى ، وهو منهج يتناسب وإصلاح الجمود الدينى الذى اتسم به الأحبار ، ورجال الدين وصبغوا به التعاليم ، وحولوا بذلك المجتمع اليهودى إلى مادية جافة تتجافى مع روحانية المنهج السماوى .

ومن هنا أخذ يرد الضالة من بنى إسرائيل إلى حظيرة الإيمان بالله الواحد . والعمل بالشريعة السماوية الصحيحة . فقال مخاطبا : « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ماجئت لأنقض بل لأكمل ، فإنى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة

(١) مريم ٢٧ — ٣٤ .
(٢) المائدة ٤٦ .

من الناموس حتى يكون الكل ، فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السموات »(١) .

ومن هذا النص المسند إلى عيسى عليه السلام نعلم منه أنه أحد الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى من الأنبياء والمرسلين لوضع لبنات فى بناء الدين السماوى الكامل ، وأن الذى ينقض إحدى وصايا الأنبياء وتعاليمهم يكون هو الأقل شأنا فى ملكوت الله ، ومن الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، كما بين المسيح أن رسالته مقصورة على بنى إسرائيل خاصة ، فقال متى مستنطقا المسيح عليه السلام — « لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة(٢) وقال سبحانه « ورسولا إلى بنى إسرائيل » (٣) .

وبعد تبليغ رسالته إلى قومه وآمن به من آمن ، دبر اليهود مؤامرة لقتله فأخزاهم الله ، برفعه إليه بعد أن ألقى شبهه على غيره ، وكانت بذلك نهايته على الأرض .

هذا موجز بسيط لمنهج المسيح فى دعوته فهو منهج تذكير وتبصير ، وتقويم وإصلاح .

إنجيل المسيح :

لا شك فى وجود « إنجيل » وأن هذا الإنجيل أنزله الله على المسيح عليه الصلاة والسلام .

فقد تواترت الأخبار بوجوده وإسناد تبليغه والتبشير به إلى نبى الله عيسى عليه الصلاة السلام ، ومصدر هذا التواتر يرجع إلى مصدرين هامين :

(١) متى ٥ : ١٧ — ١٩ (٢) متى ١٥ — ٢٤

(٣) آل عمران ٤٩ (٤) مرقس ١ : ١٥

أولها : ما ألف من كتب عديدة سميت فى المسيحية بالأناجيل ، زعموا إسناد ماورد فيها إلى المسيح . وهى كثيرة مشهورة ، والمعتمد منها عندهم أربعة فقط .

وقد ورد ذكر الإنجيل فى نصوصها ، ومنها على سبيل المثال قول مرقس يحكى قول عيسى عليه السلام « قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل »[1] فوجود إنجيل المسيح أمر معلوم بالضرورة عند كافه المسيحين .

ثانيهما : ماورد فى القرآن الكريم من ذكر الإنجيل ، فقد وصفه القرآن بأنه كتاب فيه هدى ونور على طريق الحق ، أنزله الله للحكم به بين بنى اسرائيل : « وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون »[2] .

كما وصف الإنجيل فى القرآن بأنه مصدق لما بين من التوراة ، وأنه مصدر الهدى والنور ، وهو الموعظة للمتقين ، قال تعالى : « وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة ، وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين »[3] .

فالمسيح عليه السلام قد جاء بالإنجيل ، تلقاه وحيا من الله ، ثم ألقاه على أسماع تلاميذه وحوارييه ، وبشر به فى كل من اتصل بهم من اليهود ، وأرسل به تلاميذه اثنين اثنين إلى القرى التى تقيم فيها جاليات اليهود فى الدولة الرومانية ، والتى هاجروا إليها فى عصر الشتات « واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون »[4] .

(١) مرقس ١ : ١٥ — (٢) المائدة ٤٧
(٣) المائدة ٤٦ . — (٤) سورة ياسين ١٣ — ١٤ .

فقال المفسرون إنها قرية أنطاكية ، أرسل إليهم المسيح تلاميذه لدعوة بنى إسرائيل فيها إلى الدين الصحيح .

وورود ذكر إنجيل المسيح فى القرآن، والكتب المعتمدة لدى المسيحين، يعطى خبرا متواترا بوجوده ووجوب الإيمان به، وجعله ركنا من أركان الدين .

ولكن القرآن الكريم حين يتحدث عن الإنجيل يتحدث عن انجيل واحد هو الكتاب الذى أوحى إلى عيسى عليه السلام ، وبشر به اليهود ، كما أن الواقع والعرف لا يسمحان بأن يكون لعيسى أكثر من كتاب هو دستور رسالته التى دعا إليها ، وصدق به على التوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام ، غير أن التاريخ لم يثبت أن المسيح خلف وراءه إنجيلا مكتوبا ، وهذا أمر لا خلاف فيه على الاطلاق . وقد يعلل لذلك بتلك الضربة القاسية التى وجهها اليهود إلى تلاميذ المسيح من بعده ، تلك الضربة القاسية التى شتت شملهم ، وأزعجتهم عن أن يحتفظوا بشىء من مخلفاته ، وإن بقى كثير منهم يحتفظ فى صدره بقدر غير قليل من كلمات المسيح ووصاياه، ومن حكمه وأمثاله .

أما لماذا لم يكتب الإنجيل فى حياته على الأرض ، ولماذا تراخت كتابة الأناجيل المتداولة إلى زمن غير قصير بعد رفع المسيح ، فهذا ما سيتضمنه الحديث فى الفصل التالى .



الفصل الثالث

أثر عقيدة القيامة على التراخي
فى كتابة الإنجيل

من المعلوم لدى المحققين من المسيحيين أن المسيح — عليه السلام — إنتهت حياته على الأرض ولم يترك الإنجيل مكتوبا ، بل وعظ به شفاها طيلة فترة الرسالة ، ولم يكن أحد من التلاميذ قد كتبه حين كان يلقيه عليهم ، واكتفوا باحتوائه فى العقول والصدور كل بحسب نصيبه فى السماع وقدرته على الاحتواء .

وإننا إذا تخيلنا أحاسيس أتباع المسيح الذين التفوا به واستمعوا إلى دعوته ، وآمنوا به ، ثم أذهلتهم نهايته مما جعلهم يعلنون بعد ذلك قيامه من الموت .

نجد أن هــذه الفئة لم تكن فى حاجة إلى الكتابة عن حياة المسيح ، أو تدوين ذكرياتهم عنه ، أو تسجيل تعاليمه التى أتى الإنجيل بها الأجيال القـادمة .

والسبب فى ذلك يرجع إلى أنهم كانوا على يقين تام من أنه لم تأت أجيال بعد جيلهم ، لأن العالم فى نظرهم آنذاك عالم ظلم وخطايا وإشباع للذات الجسد وماديات الحياة ، وتلك أمارات يتوجب معها أن يكون العالم قريب النهاية ، وتلك كانت عقيدتهم الراسخة ، لأنهم استنبطوا من كلام المسيح أن أمارات نهاية العالم وعلامات إنقضاء الدهر حاصلة وواقعـة ، يحسونها بأنفسهم ، ويرونها بأعينهم ، وكأن المسيح فى نظرهم قد بعث بين يدى الساعة .

يقول متى مصورا هذه العلامات التى تتقــدم ساعة إنقضاء الدهر : « وفيما هو جالس — أى المسيح — على جبل الزيتون تقدم إليه التلاميذ على إنفراد قائلين قل لنا متى يكون هذا وما هى علامة مجيئك وانقضاء الدهر ، فأجاب يسوع وقال لهم أنظروا لا يضلكم أحد . وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب ... لأنه تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة ، وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل . حينئذ يسلمونكم إلى الضيق ويقتلونكم وتكونون مبغضين من جميع الأمم لأجل أسمى . هكذا يكون أيضا مجىء ابن الإنسان ... وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس ، والقمر لا يعطى ضوءه والنجوم تسقط من السماء وقوات السموات تتزعزع ، وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان فى السماء . ويبصرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير ، فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاره من الأربع الأرياح من أقصا السمــوات (١) إلى أقصاها (٢) .

وإننا نرى الأناجيل تتعجل هذه النهاية فيقول متى على لسان المسيح : « فاعلموا أنه قريب على الأبواب الحق أقول لكم لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله » (٣) « إسهروا إذا لأنكم لا تعلمون فى أية ساعة يأتى ربكم » (٤) .

---

(١) متى ٢٤ : ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١

(٢) فى مرقس من أقصا الأرض إلى أقصى السموات ١٣ : ٢٧

(٣) متى ٢٤ : ٣٣ ، ٣٤

(٤) متى ٢٤ : ٤٢ ومرقس ١٣ : ٢٧

« لذلك كونوا أنتم أيضا مستعدين لأنه فى ساعة لا تظنون يأتى ابن الإنسان »(١) .

ومن هنا أيقن الأتباع بأن جيلهم هذا هو الذى تقوم عليه الساعة ، وعليه فليسوا فى حاجة إلى تدوين شيء من الإنجيل الذى أتى به المسيح ونصوصه المقدسة . بل نجد الإنجيل فى مكان آخر يتعجل قيام الساعة قبل نهاية هذا الجيل ؟ يقول متى « وأقول لكم إنى من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديد جديدا فى ملكوت أبى »(٢) .

وإذا كان المراد من ملكوت أبيه هو دار السعادة فى الآخرة فمعناه أن وقته قريب جدا ويبدو أن هذا الاستباط هو الراجح بدليل قوله فى مكان آخر :

« فإن ابن الإنسان سوف يأتى فى مجد أبيه مع ملائكته ، وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله ، ألحق أقول لكم إن من القيام ههنا قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا فى ملكوته »(٣) .

ونجده فى هذا النص قد أخر ذلك اليوم قليلا ، كما يؤكد المسيح قرب مجيئه الثانى فى قول متى : « لا تكملوا مدن إسرائيل حتى يأتى ابن الإنسان »(٤) .

فتلك كانت العقيدة السائدة لدى الجيل الأول عن بكرة أبيهم ، فقد كانوا ينتظرون أن يشهدوا نهاية العالم ، والمجيء الثانى للمسيح ، وكانوا قد استفادوا هذه العقيدة من بعض أقوال معلمهم التى ظنوا أنها تشير إلى ذلك،

---

(١) متى ٢٤ : ٤٤
(٢) متى ٢٦ : ٢٩
(٣) متى ١٦ : ٢٧ ، ٢٨
(٤) متى ١٠ : ٢٣

فقد كان يعلم أتباعه أن يصلوا إلى الآب قائلين: « ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض » (١) .

وتلك كانت الرواية اليهودية التى أعتقد اليهود — المسيحيون ، أن المسيح جاء لأجلها ، وهى أنه سيعود قريبا ليقيم ملكوت الله على الأرض (٢) تقول رسالة بطرس الأولى « نهاية كل شيء قد اقتربت فتعقلوا واصحوا الصلوات) (٣) .

وتقول رسالة يوحنا الأولى « أيها الأولاد هى الساعة الأخيرة وكما سمعتم أن ضد المسيح يأتى قد صار الآن أضداد كثيرون ، من هنا نعلم أنها الساعة الأخيرة (٤) » ولعله يريد بأضداد المسيح [نيرون — فسباسيان — دومتيان] (٥) .

ولذلك فقد كانوا يترقبون ظهور المسيح الذى يجلس على يمين أبيه فى السماء انتظارا لهذه النهاية ، وقد كانوا يعتبرون وقوع ذلك انتصارا لأقواله وتحقيقا لنبوءاته ، لأن المسيح فى نظرهم هو المنتظر الذى وعدت به كتب بنى إسرائيل فى العهد القديم (٦) .

---

(١) متى ٦ : ١٠

(٢) ول ديورانت / قصة الحضارة جـ ٣ م ٣ ص ٢٤٢

(٣) إصحاح ٤ : ٧

(٤) إصحاح ٢ : ١٨

(٥) قصة الحضارة جـ ٣ م ٣ ص ٢٤٢

(٦) راجع : المسيحية : نشأتها وتطورها / شارل جينيبير ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود ص ٢٦

وكذلك حين عمت الفوضى أوصال الامبراطورية الرومانية فى أواخر القرن الثانى الميلادى ظن بعضهم ومنهم (ترتليان) بأن نهاية العالم قد دنت ، حتى إن أحد قساوسة السوريين خرج بأتباعه إلى الصحراء ليلتقى بالمسيح فى منتصف الطريق ، كما أعلن آخر بأن المسيح سيعود خلال عام واحد(١).

وكان لا بد أن ينعكس إيمانهم القوى بهذه الأحاسيس على ذكرياتهم إذا استعادوها فيؤثر ذلك فى تصورهم لحياة المسيح(٢) .

وكان لا بد أيضاً لإبراز هذه الأحاسيس على وجه يقينى من البحث فى دعوته المحدودة الزمن والنجاح ، وحياته المصبوغة بالتواضع والملتهبة بالتعذيب والامتهان عن معان تنطوى فى عمقها على هذا الإيمان القوى بتلك الأحاسيس ، فذهبوا إلى أقل الظواهر والحوادث شأناً يستنبئون منها صحة وصدق تنبؤات سيدهم وتعاليمه التى تذكر بضرورة النهاية للعالم وعودة المسيح ثانية .

فحين مات (نيرون) وخرب (تيطس) الهيكل سنة ٧٠ ميلادية، ولما دمر (هدريان) أورشليم ، رحب كثيرون من المسيحيين بهذه الكوارث وعدوها بشائر بعودة المسيح(٣) .

وربما كان سبب ترحيبهم بذلك هو النصوص التى تدل على علامات تسبق تلك العودة ، والتى منها وجود الحروب ، والزلازل والتخريب ، والتدمير فى الأماكن المختلفة .

---

(١) قصة الحضارة ج٣م٣ ص٢٠٠
(٢) انظر نشأة المسيحية / شارل جينيبير ج٢٦
(٣) قصة الحضارة ج٣م٣ ص٢٩٠

ومن هنا نستطيع القول بأن الأذهان خالية تماماً من فكرة تدوين الإنجيل لعدم توافر الدواعي إلى ذلك ، حيث كان يقينهم بأن جيلهم هو جيل نهاية العالم.

خلط الحقائق بالرؤى وخيالات الأوهام :

لقد اتجه المؤمنون من الجيل الأول إلى تقصى آثار النصوص الواردة فى التوراة وكتب الأنبياء من قريب أو من بعيد التى قيل أنها تتعلق بمسيح (يهوه) المبارك الموعود به ، ليجعلوا منها فى حياة عيسى ما يكون مصداقا لما أنبأت به هذه النصوص.

كما عمدوا إلى الأحداث بدافع التقوى يزينونها ويصبغونها فى إطار من التعليقات والإضافات التى يفرضها إيمانهم المشوب بالخيالات الساذجة وكأنها حقائق لا بد منها فى حياة عيسى وسيرته لتحديد طبيعته كنبى منتظر ، واسترسلوا فى هـذا الخيال حتى أصبحوا لا يفرقون بين الخيال والذكريات الحقيقية ، وصاغوها كأنها تعاليم ، وأذاعوها فى البيئة من حولهم .

ومن غير شك كان أتباع ومريدون يأخذون ذلك عنهم ولا يستطيعون التمييز بين واقع التعاليم الحقيقية وما أضفته العواطف الإيمانية من صور شتى وتصورات مختلفة .

وزيادة على ذلك فإن العصر كان مملوءاً بنشوات الرؤى والأحلام المنبعثة عن نشوة الإيمان والعقيدة ، فإذا رأى أحدهم رؤيا باعثها نشوة الإيمان ، ثم ألقى بها إليهم فإنها تؤخذ قضية مسلمة ، وكان التحمس للعقيدة سابقا من ردها ، وحتى بمجرد النظر فى مدى ملاءمتها لصحيح التعاليم مع أنها

---

(١) قصة الحضارة ج ٣ م ٣ ص ٢٩٠

لا تصور إلا إحساس صاحبها ونشوته الإيمانية ، يقول جينيبير « فكل ما يمليه اتصال الواحد منهم اتصالا خيالياً بالروح القدس يؤخذ قضية مسلمة وفرضاً ضروريا على الجميع ، يؤمنون به إيمانا لا يعلو عليه — بل لا يدانيه — إيمانهم بالواقع المباشر الذى يمليه التاريخ »(١) .

وكان هذا التشكيل المتكون ركاماته من بعض الحقائق المخلوطة بالرؤى والبهيؤات الفردية ، والإضافات المستوحـــاة من دوافع قوى التقوى ، والمدعم بنصوص التوراة التى حملت بمجىء النبى المنتظر — مسيح (يهوه)(١) المبارك — كان هذا التشكيل بهذا الطابع الذى أبدعه الجيل المسيحى الأول ، هو الذى كون التقاليد التى أيقن المتقدمون أنها التاريخ الصحيح ، ثم صارت بعد ذلك تراثا شفوياً متداولا بين الأتباع .



(١) المسيحية — نشأتها وتطورها ص ٢٧

الباب الثانى

الاتجاه إلى كتابة الأناجيل

ويشتمل على الفصول التالى :

الفصل الأول : العناصر الأولى لتكوين الأناجيل

الفصل الثانى : الظروف التى كتبت فى أظلها الأناجيل

الفصل الثالث : الغرض من كتابة الأناجيل




al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

الباب الثانى

الاتجاه إلى كتابة الأناجيل

لما تباطأت عودة المسيح وقضى الجيل الأول نحبه بدأ الأتباع الذين يهمهم إثبات الذكريات عن المسيح بتدوين هذا التشكيل حسبما تلقوه .

يقول جينيبر : « ولم تظهر بذور الشك فى قرب العودة المأمولة للمسيح إلا عندما انتهى أجل هذا الجيل الأول من المؤمنين ، وبانتهائه لم يعد هناك شهود « مباشرون » لحياة المسيح ، ثم رأى الحريصون من المسيحيين أنه قد يكون من الصالح أن يثبتوا بالتدوين تلك الذكريات التى افترضوا صحتها فى الأخبار المتوارثة شفاها »(١) .

ومن هنا نرى أن بدء تدوين الذكريات المتوارثة شفاها كان عندما خاب الأمل فى عدم صدق الأحداث كعلامات مؤذنة بعودة المسيح ونهاية العالم .

أما موعد عودته على التحقيق المرتبط بنهاية العالم فقد اختلف فيه اليهود — المسيحيون كاختلافهم فى المعنى المراد من الملكوت الموعود به

---

(١) نشأة المسيحية وتطورها ، ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود ص ٢٧

الفصل الأول

العناصر الأولى لتكوين الأناجيل

يستبين للباحث من خلال التتبع التاريخي لكتابة الأناجيل أنها أخذت من مجموعات متفرقة ، تكونت من عناصر متباينة تختلف درجات الحقيقة فيها كثيراً(١) ، فبعضها كان تراثا شفهيا أثر عن تلاميذ المسيح بفعل التبشير الذي كانوا يقومون به لتثبيت الإيمان ، ثم صار بعض من هذا التراث في شكل مكتوب في مدونات صغيرة عن حياة المسيح ، ومعجزاته ، وبعض أقواله ، وروايات آلامه ، ثم جاء المبشرون(٢) فاستعانوا بهذه المكتوبات رغم تنوع اتجاهاتها ، كما استعانوا بالتراث الشفهي المأثور عن التلاميذ في حكاياتهم بعض أقوال المسيح ومسا راته ، فكتبوا نصوصا تتكيف حسب اتجاهات أوساطها ، وتستجيب لاحتياجات طوائفها ، وفي الوقت نفسه ترد على الخصوم من طوائف أخرى ذات نزعات مخالفة ، فكانت الكتابات الأولى حسب وجهات النظر التي حددتها لهم المأثورات الشفهية .

يذكر (بوكاي) تعليقا لأحد المحققين يبين فيه أصل الأناجيل الأربعة فيقول : إن المبشرين لم يكونوا إلا متحدثين باسم الجماعة المسيحية الأولى التي ثبتت التراث الشفهي ، فقد بقي الإنجيل طيلة ثلاثين أو أربعين سنة في شكله الشفهي أو بالكاد ، ولكن التراث الشفهي قد نقل أساسا أقوالا وروايات منعزلة ، وقد نقل المبشرون — كل على حسب طريقته وبحسب شخصيته الخاصة ، واهتماماته اللاهوتية الخاصة — الروابط بين هذه الروايات ، والأقوال التي تلقوها من التراث السائد .

---

(١) المرجع السابق ، نفس الصفحة

(٢) أي كتاب الأناجيل

إن تجميع أقوال المسيح وربط الروايات بصيغ أسلوبية غامضة فى إطار الأناجيل المتوافقة(١) ... كل هذا أدبى الطابع وليس له أساس تاريخى ... كان الحواريون يوضحون حقائق الإيمان الذى يحصنون عليه بسرد أحداث حياة المسيح ، وإن مواعظهم هى التى خلقت ظروف تثبيت هذه الروايات ، أما أقوال المسيح فقد انتقلت بشكل خاص عبر تعليم الكنيسة الأولى الدينى .»(٢).

ثم يعقب على ذلك بتعليق آخر فيقول :

« يشكل تراث شفهى — بتأثير تبشير تلامذه المسيح ومبشرين آخرين بقاء هذه العناصر التى نجدها فى الأناجيل بفضل التبشير والطقوس وتعاليم المؤمنين ، ثم إمكانية التجسيد المبكر فى شكل مكتوب لبعض تحديدات الإيمان ، ولبعض أقوال المسيح ، وروايات آلامه على سبيل المثال ، ثم استعانة المبشرين بهذه الأشكال المكتوبة كاستعانتهم بمعطيات التراث الشفهى حتى يكتبوا نصوصا تتكيف مع مختلف الأوساط ، وتستجيب لاحتياجات الكنائس وتعبر عن تأمل فى الكتاب المقدس ، وتصحيح الأخطاء ، وترد بهذه المناسبة على حجج الخصوم ، بهذا الشكل جمع ودون المبشرون — كل بحسب وجهة نظره — ماقد أعطتهم إياها الأقوال المتوارثة الشفهية »(٣).

وفى الوسع بعد استيعاب مضامين هذه التعليقات أن نحدد العناصر الأولى لكتابات الأناجيل فى أمور ثلاثة على وجه التقريب هى :

١ — تراث شفهى متوارث بين الأتباع يعنى بسرد حياة المسيح ، ورواية آلامه .

---

(١) أى أناجيل متى ، مرقس ، لوقا .

(٢) دارسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص ٧٦ ، ٧٧

(٣) المرجع السابق ص ٧٧

٢ — تجسيد بعض هذا التراث فى شكل مكتوب يحدد بعض عناصر الإيمان .

٣ — ذكريات لبعض أقوال المسيح ، ومعجزاته حفظت واستمر بقاؤها بفضل تبشير التلاميذ والتعليم ، والممارسة الدينية التى ثبتتها الجماعة الأولى ، فقد كان الحواريون يوضحون حقائق الإيمان الذى يحضون عليه يسرد أحداث حياة المسيح .

وقد استعان المبشرون فى كتاباتهم للأناجيل بمعطيات هذا التراث الشفهى ، وبالأشكال المكتوبة ، وما حفظته الذكريات من تعاليم وممارسات دينية .

كما كانت الكتابات ظرفية تتكيف أحيانا مع مختلف الأوساط ، وحسب احتياجات الكنائس .. وأحيانا أخرى خصامية ترد على الخصوم وأخيرا كانت كتابات كل بحسب وجهة نظره حسبما أعطته الموروثات الشفهية والمكتوبة ، ولهذا انتهى الباحثون إلى الاتفاق على [أن الأناجيل مؤلفات استندت فى أكثر مضامينها إلى التحكم والنزعات الذاتية الفردية(١)]

هذا ، ولا يفوتنا أن نسجل هنا تعليقا للعلامة (باجه جى زادة) على كتابة الأناجيل فيقول : « ولم يتمكن أصحاب المسيح من كتابة شىء يقال له إنجيل غير فقرات قليلة كانت محفوظة فى صدور الآحاد منهم ، ولم يتفكروا إذ ذاك فى تحرير شىء من أصل دينهم حتى اشتعلت بينهم نار المنازعات والمدافعات فأهرقت دماء الألوف من عوامهم بتلك المقاومات الدينية ، وبقى هذا النذر من تلك الفقرات القليلة من الإنجيل فى هذه المدة فى الأذهان ، تلعب به أهل الأهواء ، وهو يتقلب بين ما يمحوه النسيان ، وبين ماتثبته وتزيد فيه تلك الفئة التى اعتبر قولها مسلما بمجرد الدعوى ،

---

(١) نشأة المسيحية وتطورها ص ٢٦

حتى آل الأمر إلى تفرق الاتباع شيعا ومذاهب ، فصار فى المسيحية بسبب ذلك أكثر من مائة إنجيل(١) .

ويمكن القول بأن تعليق (باجه جى زاده) هذا يتفق تماما مع تعليقات المعلقين والمحققين المسيحيين ، فالإنجيل قد تركه عيسى عليه السلام غير مكتوب ولا مدون فى مدونات.وإنما مودعا فى الصدور كما قرر العلامة الإسلامى .

كما يمكن القول بأن ذكرياتهم عن موت المسيح وبعثه المزعوم بعد الموت تتسم بالغموض وتختلف عناصرها ولا تأتلف ، مما ينبىء عن جمع لعناصر غير منسجمة المعنى .

فقد أخذ نسجها يشتمل على مرويات لحكايات متداولة فى المجتمعات الشرقية القديمة ، يقول جينيير : « إن روايات الأناجيل التى وصلت إلينا والتى تتعلق ببعث عيسى لتبدو للمؤرخ الناقد نوعا من الانشاءات التى لا تتسم عناصرها قد بنيت على ذكريات مبهمة وتفاصيل متعارضة ثم على حكايات قديمة من تلك التى تعود عليها العالم الشرقى .. وتلك مسألة أساسها فيما يبدو على أرجح الاحتمالات رؤيا رآها بطرس تلتها رؤى جماعية ، وتلك ظاهرة لها أمثلة أخرى فى تاريخ الأديان(٢) » .

---

(١) أنظر ، الفارق بين المخلوق والخالق ص ١١ لعبد الرحمن باجه جى زاده بشىء من التصرف .

(٢) نشأة المسيحية وتطورها ص٤٩

الفصل الثانى

الظروف التى كتبت فى ظلها الأناجيل

ينبغى لمن يريد البحث عن تاريخيـــة الأناجيل ، وتقفى مصادرها والمؤثرات فيها ، أن يبحث قبل كل شيء عن الظروف السياسية ، والمناخ الدينى ، والبيئة النفسية لأولئك الكتاب

والمتتبع لتاريخ تدوين الأناجيل يجد أنه قد مر بالظروف التالية :

الظروف الدينية :

١ — تنازع العقائد بين الأتباع :

لقد أكتنف عصر كتابة الأناجيل تنازعا عقديا طائفيا بسبب انشقاق بولس ظهر على أثره صراع حاد بين طائفتين هما :

(أ) اليهودية المسيحيـة ، ويمثلون شيوخ الـكنيسة من الحوارين والتلاميذ .

(ب) المسيحية البولسية . ويمثلون الطائفة التى تبنت توجيه الدعوة لغير اليهود من الأمم الوثنية .

وقد تشكل على أثر هذا التنازع « كتابات خصامية » أظهر كل خصم فيها وجهة نظره فى المسيح وحياته ورسالته .

يقول موريس بوكاى : « يبـدو أن من الحـكمة إذن البحث عن توضيحات فى دراسة الظروف التى كتبت الأناجيل فى ظلها ، وفى دراسة

المناخ الدينى الذى كان سائداً فى ذلك العصر ، إن توضيح التعديلات التى وقعت على الصيغ الأولى التى تمت بالإعتماد على التراث الشفهى ، وتوضيح التعديلات التى حدثت للنصوص إلى أن وصلت إلينا ، كل ذلك شأنه أن يخفف من الشعور بالدهشة أمام عبارات مبهمة غير مفهومة ، ومتناقضة لايدركها العقل ، بل قد تذهب فى بعض الأحيان إلى حد العبث واستحالة أن يتفق مع الوقائع التى أثبتها اليوم التقدم العلمى،مثل هذه الملاحظات تدل على مساهمة الإنسان فى عملية تحرير النصوص ، وعلى التعديل الذى أصابها بعد ذلك »(١) .

فقول المعلق هذا صريح فى إسهام البشر فى وضع الأناجيل ، مما أدى إلى الإبهام والغموض فى مفاهيم نصوصها ،كما يذكر بوكاى أن الصراع المحتدم بين الطوائف قد أنتهى إلى حشد كبير من الكتابات عن حياة المسيح فيقول « وإذا كان بولس أكثر وجوه المسيحية موضعاً للنقاش ، وإذا كان قد اعتبر خائنـاً لفكر المسيح ،كما وصفته بذلك أسرة المسيح والحواريون الذين بقوا بالقدس حول (جاك) (٢) فذلك لأنه قد كون المسيحية على حساب هؤلاء الذين جمعهم المسيح من حوله لنشر تعاليمه ، ولما لم يكن قد عرف المسيح فى حياته ، فقد برر لشرعية رسـالته بأن أكد أن المسيح بعد قيـامته قـد ظهر له على طريق دمشق ، ومن المسموح به أن نتساءل ، ماكان يمـكن للمسيحية أن تـكون عليه دون بولس ؟ ونستطيع فى هذا المقام أن نقيم افتراضات كثيرة ، ولـكن فيما يخص الأناجيل ، فليست هناك مجازفة كبيرة فى أنه لولا جو الصراع بين

---

(١) نشأة المسيحية وتطورها ص٦٨

(٢) يريد القديس يعقوب الحوارى .

الطوائف التى ولدت بسبب انشقاق بولس لما حصلنا على الكتابات التى فى حوزتنا اليوم ».

إن هذه « الكتابات الخصامية » قد ظهرت فى فترة صراع حاد بين الطائفتين ، وانبعثت من حشد كتابات عن المسيح . فى هذا العصر شكلت المسيحية البولسية بعد نصرها النهائى مجموعة نصوصها الرسمية أى « القانون » الذى يستبعد كل الوثائق الأخرى التى لم تكن توافق الخط الذى اختارته الكنيسة »(١) .

فى هذا الجو الممتلىء بغبار العصبية الدينية بين الطائفتين أخذ كل كاتب من كتاب الأناجيل يسجل أقوال جماعته عن المسيح ، تذكر « قصة الحضارة » ، أن الصراع بين الطوائف الدينية الذى امتلأت به الساحة المسيحية فى عصرها الأول قد أدى إلى وجود عادات وعقائد مختلفة ومتناقضة وجدت على أثره هذه الكتابات المختلفة والمتناقضة أيضاً . يقول ول ديورانت : « لو أن عادات وعقائد مختلفة متناقضة لم تنشأ فى مراكز المسيحية المتعددة المستقلة بعضها عن بعض إلى حد ما ، والخاضعة إلى تقاليد وبيئات مختلفة ، لو أن هذا لم يحدث لكان عدم حدوثه أمراً شديد الغرابة(٢) . ولقد قدر للمسيحية اليونانية(٣) بنوع خاص أن يطغى عليها سيل من البدع الدينية بتأثير عادات العقل اليونانى الميتافيزيقية المولعة

---

(١) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص ٧٣ ، ٧٤

(٢) يريد الكاتب أن ظهور التناقص والإختلاف بين العقائد والكتابات المعبرة عنها أمر ضرورى يستتبع خضوع المسيحية للتقاليد والبيئات المختلفة .

(٣) يريد بالمسيحية اليونانية المسيحية البولسية .

بالنقاش والجدل ، وليس من المستطاع فهم المسيحية على حقيقتها إلا إذا عرفنا ماذخل فيها من هذه البدع ، لأنها وإن غلبتها لم تسلم من بعض ألوانها وأشكالها »(١) .

٢ — موقف اليهود من المسيح ورسالته :

لقد كان نصيب المسيح من الطوائف اليهودية الإنكار لشخصه والطعن فى أصله ، وبالتالى السخرية من رسالته ، والهزء من معجزاته ، واليهود فى هجومهم على المسيح قد بالغوا وتفننوا فى النيل منه والكيد له ، حتى إن لفظ « انجيل » لم ينج من كيدهم وسخريتهم ، فقد كانوا يسمون الأنجيل « وثيقة الكذب »(٢) .

وأن موقف اليهود من المسيح ، وافترائهم عليه ، وإهانتهم له ، قد سجلته الأناجيل ، فقد كانوا يتحدونه بالأسئلة الماكرة المحرجة محاولة منهم ، للإيقاع به فى شراك السلطة الرومانية ، وتارة أخرى للإيقاع به فى مخالفة الشريعة ، كما سجلت الأناجيل إهانة اليهود له من نوع آخر ، فقــد جاء فى متى ٢٦ : ٦٧ « حينئذ بصقوا فى وجهه ولكموه وآخرون لطموه قائلين : تنبأ لنا أيها المسيح من لطمك ؟ » وفى يوحنا ٨ : ٤٨ يتهمه اليهود بأنه سامرى وبه شيطان ، وفى يوحنا ٢٠ : ١٥ ، أعتقد القوم أن بستانيا ألقى بجسده بعيدا بعــد صلبه وكانوا يفضلو أن يموت المريض ولا يشفى على يد المسيح .

وبعد حياة مرة تعرض فيها السيد المسيح لإضطها داليهود نجحوا

---

(١) قصة الحضارة جـ٣ م ٣ ص ٢٩٠

(٢) راجع اليهودية واليهودية المسيحية ص ١٦١

فى التنكيل به — فى زعمهم — فهم يرون أنهم رجموه لأنه ارتكب جريمة السحر ، وضلل إسرائيل ، ولم يترك اليهود نقيصة إلا ألصقوها به ، فهو فى زعمهم إنسان غير شرعى والأحمق المجنون ، والسامرى الملعون ، والساحر الرجيم ، والمضلل اللئيم ، وهو من التفاهة وحقارة الشأن بحيث أن أحداً لم يفكر فى أن يذكره فى الأوقات العصيبة التى مر بها بخير (١) .

وبالطبع لقد كان المسيح عليه السلام يقف من اليهود ومن علمائهم موقف الرسول الذى جاء برسالة توبخهم على تشددهم فى الدين ، وتنطعهم فى تطبيق الشريعة دون تفاعل الروح بتعاليمها ، وأنهم لم يراعوا الحكمة وتقوى الله قبل تعليمات رجال الدين .

يقول جينيبير : «وعلينا ألا ننسى ظروف العصر الذى كتبت الأناجيل وما تعكسه من عدم اهتمام المسيحيين بالشريعة اليهودية — أى فى جمودها وتشدد الكهان — مما جعلتهم ينسبون إلى عيسى ذلك الإحتقار الذى كانوا يشعرون به تجاهها »(٢).

وبالطبع لقد ورثت اليهودية — المسيحية هذا التحدى ، وهذا الخصام ، ولابد أن ينعكس هذا على الفكر المسيحى فيلقى ظلالا كثيفاً من الخصام والجدل والمناقشة على كتابات الأناجيل فى تراثها الشفهى على الأقل الذى يعتبر الأصول الأولى للأناجيل ليضاف كل ذلك إلى أجمة الأناجيل كثيرة العدد التى تحكى سيرة المسيح وتعاليمه بأساليب معتمدة على مساهمة الإنسان فى تحرير النصوص .

---

(١) السابق ص١٦٥

(٢) نشأة المسيحية وتطورها ص ٤٥

الظروف السياسية(١) :

لقد أحاطت بنشأة المسيحية ظروف سياسية قاسية بالإضافة إلى التنازع فى العقيدة بين الطوائف المسيحية ، فقد نزل بأتباع المسيح من قبل السلطات الرومانية من البلايا والمحن ما تقشعر منه الأبدان ، وتذوب منه الأكباد، وقد ظل ذلك حوالى ثلاثمائة سنة ، وكان اضطهادهم بسبب دينهم كما يشهد بذلك التاريخ الصحيح ، بل إن حادثة صلب المسيح على رأيهم ، أو تدبير أمر قتله كان إيذانا ببدء العنف فى الإضطهاد والتنكيل .

لقد كانت الدولة الرومانية وثنية فى دينها الرسمى ، وكانت تسمح لغير الوثنيين من الوطنيين ذوى الأديان المخالفة — وهم اليهود والنصارى — بمباشرة طقوسهم ، وممارسة شعائرهم فى حرية كما للديانات الوثنية ، وكان ذلك من قبل المسيح ومن بعده .

وكانت السلطات الرومانية تكتفى من أصحاب هذه الأديان جميعها بتقديم الولاء ، والقرابين ، والبخور أمام تمثال القيصر . وكان ذلك يعتبر بمثابة يمين الولاء الذى ينال به المواطن حق المواطنة فى الدولة ، بيد أن المسيحيين ومعهم اليهود عتوا عما أمروا به ، وعدوا ذلك كفراً صريحاً ، مما جعل السلطة تعتبر أن المسيحية حركة متطرفة تعمل على هدم نظام الحكم فى روما ، وذلك بعصيانها وعدم ولائها .

كما بدأت المسيحية تحتقر الوثنية وكان رد الفعل أن اتهمت الوثنية المسيحيين بأنهم أعداء الجنس البشرى ، وأنهم فضول البشر ، ووصفوهم

---

(١) أهم المراجع فى هذه الفقرة : تاريخ ابن بطريق ، وأنوار الجليل فى أخبار مصر وتوثيق بنى إسماعيل ، لرفاعة رافع الطهطاوى ، وإظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندى . وقصة الحضارة لول ديوارنت ج ٢ م ٣

بالوحشية والبربرية، وتناحرت القوتان بما توجهه كل منهما للأخرى من كيد وتحقير حتى بلغ الأمر ذروته، وكان بعض ويلاتهم ما يلى :

١ — عصر « نيرون ابن كاوديوس » قصر سنة ٦٤م سن مادة ضمنت فى القانون الرومانى تجعل الجهر بالمسيحية جريمة يعاقب عليها بالإعدام، وتنفيذا لهذا القانون قتل فى عهده (بطرس) رئيس الحواريين . فقد صلب وقتل منكسا ومعه زوجته، كما قتل (بولس) المدعو رسول المسيحية بضرب عنقه بالسيف، وقتل أيضاً (مرقس) صاحب الإنجيل بالإسكندرية، وأحرق جسده بالنار، وغير هؤلاء كثيرون من الرجالات الأولى فى المسيحية .

ولقد تعسف (نيرون) فى تعذيبهم وطريقة موتهم، فكان يصلب أحدهم ويسكب عليه الزيت والقار، ويشعل فيه النار، وكان صلبهم فى الشوارع لكى يضيئها بنارهم بدل المصابيح، وكان يقوم بشخصه ليشهد أجسادهم المشتعلة وهم أحياء مما كان يزيده بهاء وخيلاء .

٢ — ومن بعده كان القيصر (دومتيان) الذى لم يكن أقل عداء للمسيحيين من (نيرون) فنفى وشرد، وقتل منهم كثيراً، حتى كادت المسيحية أن تستأصل .

وقد استشهد فى عهده (سمعان) رئيس كنيسة أورشليم و (أغناثيوس) أسقف أنطاكية، و (فليوبس كليمنس) وغيرهم كثيرون .

٣ — وجاء عهد (تراجان) عام ١٠١ م الذى ظل ثمانية عشر عاما، وقتل فى عهده أسقف كورنثة، و (كليمنت) أسقف رومة، و (شمعون) أسقف أورشليم، وليس فى المستطاع إحصاء القتلى .

٤ — وحين جاء (ترايانوس) قيصر ، المسمى (إدريانوس) كان ملكه تسع عشرة سنة ، ذاق النصارى فى عهده من البلاء أشده ، ومن الغم والحزن أعنفه ، وقتل منهم الكثير ، وأمر باستبعاد النصارى، لأنه كان يرى أن ليس لهم دين ولا شريعة ، ومن شدة الاستعباد والاستبداد بهم ترحم بهم بعض الرومانيين من الوثنيين ، فشهد وزراء الملك وقواده بأن لهم دينا وشريعة ، ولكن الذى جاء بعده (إيليا إندريانوس) ملك عشرين سنة ، فنكل بالنصارى حسب قانون نيرون ، بما لا يقل فيه عمن سبقه ، وخاصة ما كان من اضطهاد لأهل مصر ، وقد أخذ الناس بعبادة الأصنام ، وقتل كثيراً من كافة النصارى ، كما كان القضاء النهائى على اليهود فى عهده بعد خراب بيت المقدس بعد (قيطس) وأمر بأن تسمى بيت المقدس على إسمه باسم (إيليا) .

وكان مثل ذلك أيضاً فى عهد (هدريان) و (أنطونينس) الذى أمر بإعدامهم فى الجلد عام ١٥٥ م ثم طالب بإعدام الأسقف (بوليكارب) الورع كما قيل .

٥ — ثم كان عهد (مرقس) قيصر الذى تسمى (أورليوس) قيصر سنة ١٦١ م الذى حل بالبلاد فى عهده بلاء وحروب وفيضانات مهلكة، مما جعله يعتقد أن سبب ذلك إهمال آلهة الرومان وإنكارها ، فأصدر مرسوما فى عام ١٧٧ م يقضى بعقاب أصحاب الشيع الدينية غير الوثنيـــة . وكانت ثائرة الوثنيين فى (فينا) و (ليوز) على المسيحيين خاصة ، وأن المرسوم قد تضمن القبض على زعماء المسيحيين فى (ليون) وقتل من التعذيب فى ذلك الأسقف (بوثينس) وكان رأى الامبراطور إطلاق سراح المسجونين الذين ينكرون الدين المسيحى ، وقتل من يصر على اعتناقه . تطبيقاً للقانون سالف الذكر ، ثم جىء بالمتهمين فكلهم أنكروا المسيحية ، وارتدوا إلى الوثنية ، وتمسك سبعة وأربعون بدينهم ، فعذبوا أولا تعذيبا لم يحصل له نظير من قبل ثم قتلوا جميعاً ، ومنهم (أتلس) الذى كان يحتل المركز الثانى فى المراتب

الكهنوتية بعد (يوثينس) فقد اضطر إلى الجلوس بالقوة على كرسى من الحديد المحمى ، حتى شوى جسده وأزهقت روحه ، ومنهم أيضاً من كان يوضع فى (زكيبة) ويلقى فى المجتلد ليفتك به أحد الثيران الوحشية .

٦ — فى ملك (سويرس) الذى ظل سبع عشرة سنة مبتدئا من عام ٢٠٢ م عانى النصارى فى عهده من البلاء مالا يقل عمن سبقه ، وقد بلغ من شدة التعذيب أن كان مجرد التحميد جريمة تستحق العقات حسب القانون . وصار إلى مصر وقتل ألوف النصارى ، من كان منهم بمصر والاسكندرية ، وهدم الكنائس ، وبنى بالاسكندرية هيكلا سماه هيكل الآلهة ، كما استشهد الكثير فى قرطاجنة ، وكان من كثرة الفتك بالمسيحيين أن ظنوا أنه زمان الدجال .

٧ — وحين جاء عهد (مكيمانوس) الملك القيصرى الذى بدأ فى عام ٢٣٧ م أثار على النصارى ما كان معهوداً من البلاء والحزن والقتل الكثير ، وأخذ الناس بعبارة الأصنام آلهته .. وقد قتل علماء النصارى أملا فى سهولة قيادة العامة منهم بعد ذلك .

ويبدو أنه أوحى إلى جميع الشعب أن يتوسلوا بآلهة الرومان أن تنصرهم فى حروبهم وغزواتهم ، فقد كانوا يعتقدون أنها طالما أنجتهم من الأخطار المحدقة ، ومن لم يطع فهو من الهالكين ، واستجاب لذلك الكثرة من المسيحيين ، وكانت الردة عامة فى الاسكندرية كما هو قول الأسقف : (ديونيشيوس) وسادت الردة أيضا فى أزمير ، وقرطاجنة ، ومات فى سجنه كل من أسقفى أنطاكية وأورشليم ، وكذلك أعدم أسقفا طولوز ، وروما ، فى عام ٢٥٠ م ، وكانت الضحايا فى ذلك أيضاً كثيرة ، فقد ألقى كثير من المسيحيين الرومان فى غيابة الجب ، بعد ماقطعت منهم الرؤوس . وحرق منهم من حرق ، وألقى منهم للوحوش المفترسة من ألقى ، وقد كان عددهم فى كل ذلك مهولا .

ويكفى للدليل على فظاعه ذلك من كان من قصة أصحاب الكهف فى ذلك الزمان، وهم الذين أبوا أن يحملوا على ترك دينهم ، والانتقال إلى عبادة الأصنام الرومانية ، وكان ذلك فى عهد الملك (زاكيوس) حيث هربوا وناموا فى كهفهم ، كما ذكر قصتهم القرآن الكريم .

٨ — وفى عام ٢٥٨ م أمر (فاليريان) بضرورة امتثال كل شخص للشعائر الرومانية ، وحرم كل تجمع مسيحى ، وقتل كل من يعصى ذلك . فقتل البابا (سكتس) بعصيانه هو وفريق من شمامسته الأربعة . وقطعت رأس (سبريان) أسقف قرطاجة ، كما حرق حياً أسقف (طراقونة) وقتل فى ذلك الألوف من النصارى ، وأخذت أموالهم . ونفى بعضهم ، وأخذوا البعض عبيداً ، وحبس آخرون ، وعلقت السلاسل فى أرجلهم ، واستعملوا فى شئون الدولة .

٩ — يأتى بعد ذلك عهد الملك (دقلديانوس) الذى كان حكمه عام ٢٨٤ م تقريبا ، والذى بدأ يحبذ الهدوء والأمن والسلام سواء فى السياسة الدين أوفى ولكن (جليريوس) أحد حكامه الأربعة ، كان يرى فى المسيحية عقبة كأداء فى طريق السلطان المطلق ، فأوعز إليه بسيادة الآلهة الرومانية كما كانت قديما ، وأخيراً وبدافع من شغب النصارى ، أمر دقلديانوس فى عام ٣٠٢م أن تقرب القرابين إلى تلك الآلهة ، وأن يكون التعذيب ، والجلد ، والفتك بالعاصين .

ولم يقتنع بذلك (جليريوس) بل ألح فى ضرورة التوحيد تدعيما لتوحيد السلطة ، حتى أصدر دقلديانوس إلى حكامه أمراً فى شهر مارس عام٣٠٣م من السنة التاسعة عشر من حكمه يقضى بأن تهدم كل الكنائس المسيحية وأن تحرق كتبهم جميعها . وأن تحل جميع مجتمعاتهم وتصادر كل أملاكهم ،

وحرمانهم من جميع المناصب فى الدولة . وأن يعاقب بالإعدام كل من يعثر عليه منهم فى أى اجتماع دينى .

وتولت كبر هذا الاضطهاد إحدى كتائب الجند من الرومان ، فبدأت بإحراق كنيسة (نيقوميدية) وتدميرها نهائيا ، كما أحرقت بلدة فريجيا كلها بحيث لم يبق فيها من المسيحيين أحد . وقبض على المئات منهم . وأصدر دقلديانوس فى شهر سبتمبر من نفس العام أمراً بإطلاق سراح من يعبد آلهة الرومان ، ومن يرفض منهم يعذب بالعذاب الذى لا يطاق ، ثم أمر بالبحث عن كل مسيحى ، وإرغامه على تمجيد آلهـة الرومان ، وعبادتها بكافة الطرق والوسائل ، وقد نفذ حكامه ذلك بكل دقة وقوة عسكرية ، حتى عد عصر دقلديانوس أشد عصر ابتليت به الكنيسة المسيحية حتى قال (يوسبيوس) كما نقل عنه ول ديورانت : أن الناس كانوا يجلدون حتى تنفصل لحومهم عن عظامهم ، أو أن لحمهم كان يقشر عن عظامهم بالأصلاف ، وكان الملح أو الخل يصب فى جروحهم ، ويقطع لحمهم قطعة قطعة ويرمى للحيوانات الواقفة فى انتظارها ، أو يشدون إلى الصلبان فتنهش لحومهم الوحوش الجياع جزءاً جزءاً ، ودقت عصا حادة الأطراف فى أصابع بعض الضحايا تحت أظافرهم ، وسملت أعين بعضهم ، وعلق بعضهم من يده أو قدمه ، وصب الرصاص المصهور فى حلوق البعض الآخر ، وقطعت رؤوس بعضهم أو صلبوا ، أو ضربوا بالعصى الغليظة حتى فارقوا الحياة ، ومزقت أشلاء البعض بأن شدت أجسامهم إلى غصون أشجار ثنيت ثنيا مؤقتا .

ثم يعقب الكاتب المحقق قائلا : وقد وصل إلينا علم ذلك كله عن المسيحيين ، أما الوثنيون فلم ينقلوا إلينا شيئا من هذه الأخبار ، وأن هذا الاضطهاد قد دام ثمانية أعوام هلك فيه نحو ألف وخمسمائة من المسيحيين ، وقاسى عدد آخر يخصه الحصر من ألوان العذاب ، وارتد منهم آلاف عن

دينهم ، منهم أسقف رومة ، حتى رق لحالهم الوثنيون الذين صرحوا بأن روما لم تشهد مثيلا لهذا الاضطهاد فى تاريخها كله »(١) .

التجاذب والتطعيم للمسيحية من الوثنية :

لقد كانت عبادة الأوثان فى عصور الاضطهاد آنفة الذكر يرتفع سوقها وينخفض تبعاً لتأبيد النصارى للحكام الرومانيين وإقبالهم على تلبية رغباتهم فى الولاء لتمثال القيصر، ومن يتباطأ عن ذلك كان مصيره الحرق ، والهدم ، والتدمير ، كما يقول بذلك التــاريخ المسيحى كله ، حتى طأطأت المسيحية رأسها أخيراً لعنت الوثنية وغطرستها بعد طول التجاذب و الصراع بينهما ، وقد دأبت المسيحية على إرضاء السلطات الحاكمة حتى ولو على حساب عقيدتها ، وهـذا ما أثبتته الأناجيل بين طياتها ، يقول جينيير : « والأرجح أن جهود محررى الأناجيل فى سبيل إبراء ذمة الحاكم الرومانى، وإلقاء تبعة الجرم كله — أى جرم موت المسيح على الصليب — على كاهل اليهود — لا ترجع إلى وحى الحقيقة ، وواقع التاريخ ، بل إلى الرغبة فى عدم إثارة السلطات الرومانية فى عصر لم يكن المسيحيون يجدون ملجأ سواها أمام كراهيه أهل المعابد اليهودية »(٢) .

لقد اتسمت المسيحية بالمرونة والسلامة حتى قبلت فى الدين كثيراً من القضايا الوثنية والقومية للأمم الأخرى .

فحيثما دخلت المسيحية بلداً ووجدت أهلها مقيمون على الوثنية أقرتهم

---

(١) قصة الحضارة جـ٣ م٣ ص ١٨٠

(٢) شارل جينيير/نشأة المسيحية وتطورها ص٤٧ ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود .

على عبادتهم بالإضافة إلى المعتقدات المسيحية . فمن ذلك ما يرويه المؤرخ [ابن بطريق] - وهو مسيحي مثلث - من أنه كان في الاسكندرية هيكل عظيم أقامته الملكة (كيلو باتره) على اسم [زحل] كان فيه صنما عظيما من نحاس أسمته (ميكائيل) وكان لهذا الصنم عيد عظيم تقدم فيه الذبائح والقرابين من جميع أهل مصر والاسكندرية ، ويعرف ذلك المعبد باسم معبد قيصرون .

فلما ظهرت النصرانية في الاسكندرية أرادوا إبطال عبادة هذا الصنم ، فامتنع عليهم أهل الاسكندرية ، فاحتالوا عليهم بأن تكون القرابين لميكائيل الملاك بدل ميكائيل الصنم ، فأجابوهم إلى ذلك »(١) .

تحليل وتعليل :

إن هذا المجهود الذي قام به (ألكسندر) بطريك الاسكندرية الذي قام بهذه المحاولة ، لم يزد على أنه أقام عبادة وثن مكان وثن آخر فزحزحهم من عبادة الصنم إلى عبادة الملك ، وفي كل من المسلكين شر مستطير يبيد عقيدة التوحيد من أساسها ، مع أن دين الله لا يقبل المساومة أو المهادنة على أصل من أصوله الإيمانية ، أو أي من فروعه ، لأن الله سبحانه لا يرضى أن يخلق ويعبد سواه ، سواء كان صنما ، أو ملكا ، أو إنسا ، أو جنا ، أو ما إلى ذلك ، والله سبحانه يتوجه باللوم والإنكار والإحراج الذين نهجوا نهجهم ، وانحرفوا عن الطريق المستقيم ، فقال سبحانه : « ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون »(٢) .

ولعل دعاة المسيحية كانوا يريدون بذلك التطعيم للمسيحية من الوثنية

---

(١) راجع تاريخ ابن بطريق جـ ١ ص ١٢٤

(٢) سورة سبأ / ٤٠

ماعساه أن تنجلى الحقائق على حين من الزمان فيرفض الناس عبادة الأصنام بعدما يتبين لهم ضآلة الإقامة على عبادتها ، ثم يعودون إلى صفاء النصرانية أملا فى ألا تجد الدعوة إلى المسيحية الصد الذى صادفته من اليهود حين عرضت عليهم ، ولكن الأمر جاء على خلاف ظن المتهاونين ، فتباعدت تعاليم المسيح الطاهرة النقية شيئاً فشيئا ، وحلت أحكام الأرض ، وشريعة الوثنية محلها واكتست المسيحية ثوب الوثنية ، وضاعت الحقائق لتحل محلها أوهام العقائد .

يقول الأب بولس إلياس اليسوعى : « لقد لقحت الكنيسة الفكر الوثنى بالفكر المسيحى ، فحمل مرسلوها إلى اليونان حكمة التوراة ، وآداب الإنجيل ، وأخذوا منهم وضوح التعبير ودقة التفكير ، فنتج عن ذلك التلاقح تراث جديد نقلوه إلى روما ، ولقد احترمت المسيحية تعاليم الشعوب ، وحافظت على تنوع الطقوس ، فى مختلف الطوائف ، فما فرضت صيغة موحدة لصلاة .

ثم يستطرد الأب بولس قائلا : إنه فى مفتتح القرن السابع الميلادى كتب البابا (غريغوريوس) الأول الكبير إلى القديس (أوغسطينوس) أسقف (كنتربرى) ببريطانيا يقول : « دع البريطانيين وعاداتهم وابق لهم أعيادهم الوثنية ، واكتف بتنصير تلك الأعياد والعوائد واضعا آلهة المسيحيين مع آلهة الوثنيين »(١)

وهكذا أراد القساوسة بدينهم من خلط بين الدين والعادات القومية للشعوب الوثنية بغية كسب الجماعات ، والأوطان لحوزتهم ، وذلك دون إحساس بشىء من الحرج أو الغضاضة ، فنزلوا على حكم الوثنية فى عباداتها

---

(١) بولس إلياس : يسوع المسيح ص ١٩٩

وصلاتها، وطقوسها بكل وضوح وصراحة، فكان تطعيم، وكان مزج بين المسيحية والوثنية، والثانية أقرب إلى طبائع العامة، وأكثر ملاءمة لأحاسيسهم وشهواتهم، وكان ذلك هو السبب فى تغلب الوثنية وتقليص المسيحية: ومعلوم أن الأناجيل ألفت — أو كتبت — وأظهرت، ثم أظهرت فى هذه الظروف الحرجة، وذلك الصراع المحتدم بين الوثنية والمسيحية.

وخير دليل على سرعة انجذاب البشر إلى الوثنية ما كان من أمر قوم موسى عليه السلام حين عبروا البحر ووجدوا قوما يعبدون الأصنام، فقالوا لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، رغم قرب عهدهم بقدرة الإله الواحد، الذى أراهم من قدرته العظيمة القاهرة ما أراهم من نجاتهم من الغرق بعد شق البحر لهم، ثم إهلاك عدوهم، وعيسى عليه السلام إنما بعث إلى نفس القوم — اليهود — قوم موسى وقومه، ولقد سرت عدوى شهوة عبادة الأوثان إلى قلوب بعض الأساقفة من رؤساء الكنائس أنفسهم، فعلموا جماهيرهم من المسيحيين هذه العبادة بحكم رئاستهم الدينية، فجاء فى خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر أنه: «كان بطرس الأول بابا الإسكندرية السابع عشر يطوف البلاد مثبتا للمسيحيين فى الإيمان — ولم تكن الإسكندرية ولا غيرها من المدن قد استقلت بعد عن الهيكل العام للوطن المسيحى؛ فالجميع تحت رئاسة دينية واحدة وسياسية واحدة — واتفق أنه لما وصل فى طوافه إلى أسيوط وجد أسقفها (ملاتيوس) قد زاغ عن الحق وسجد للأوثان»(١)

---

(١) خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر، الحلقة الثانية ص ٨٠، ٨١.

خلاصة البحث :

إن من يتتبع الأحداث والظروف التي وضعت فيها الصيغ الأولى للأناجيل يجد أن للمسيحية قد وصل بها الحال إلى أنه لم يصبح هناك فارق كبير بينها عن الوثنيات المعاصرة لتلك الفترة الزمنية ، خاصة إذا لاحظنا أن كثيراً من القساوسة الذين تقلدوا مناصب رئاسات العديد من الكنائس يفدون من أصل وثني ، والحديث عن ماني وتنصيبه قساً ليس بمجهول ، وهو ماهو ، المجوس الفارسي ، على ماسيأتي الحديث عنه .

ولعل السبب في ذلك ما كانوا يجدونه من شدة الملائمة بين المسيحية الجديدة — مسيحية بولس — ودينهم الوثني ، إذ كل ذلك دلائل تشير إلى تبدد العقيدة لكثرة النزاع الذي استتبع التموجات العقدية حتى أصبح أمرها شتى ، وليس لها حام من الحكام ، أو ضابط من كتاب يتزن به أمرها ، ويستقيم عليه سيرها ، حتى لقد شعر بذلك المسيحيون أنفسهم يوما فاجتمع القواد والوزراء إلى الأسقف (كورس) وقالوا له عين لنا ملكا نرضى حاله . . لأننا إن بقينا بلا ملك خفنا من الفرس وغيرهم أن يغزوا بلادنا فيتمكنون منا لكثرة آرائنا وشدة اختلافنا فيهلكونا »(١) ومن المؤكد أن تنعكس كل هذه التيارات على كتابه الأناجيل .

وفي الوسع بعد كل ذلك أن نقول: إن في الإمكان تحريف النصوص بالنقص أو بالإضافة للشروح والتعليقات ، أو التغيير والتبديل في هذا الظلام المحيق ، تحت طأة التجاذب والتسلط والقهر من الوثنية للمسيحية ، وذلك حسبما يتفق وأهواء كل طائفة ، وذلك إذا اعتبرنا أنه قد بقى من الكتاب شيء بعد الحرق المتكرر يمكن أن يكون هدفا للتغيير ، فالحفظة قد قضى عليهم ، وطال أمد

---

(١) راجع ابن بطريق ج ١ ص ١٤٠ ، ١٤١

الاضطهاد والتسلط ، وضاعت فى ذلك الوسط قواعد العقيدة بموت الحفاظ من جهة ، وفعل الصراع الوثنى من جهة ، والتنازع فى العقائد بين أتباع المسيحية من جهة أخرى .

ولقد ترتب على ذلك فقدان السند المتصل بين الأناجيل وأصحابها قال الشيخ رحمه الله الهندى : « طلبنا مرارا من علمائهم الفحول السند المتصل فما قدروا عليه ، واعتذر بعض القسيسين فى محفل المناظرة التى كانت بينى وبينهم فقال : إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلاثمائة وثلاث وعشرة سنة ، وتفحصنا فى كتب الإسناد لهم فما رأينا فيها شيئا غير الظن ، يقولون بالظن، ويتمسكون ببعض القرائن ، وقد قلت إن الظن فى هذا الباب لا يغنى شيئاً ، فما داموا لم يأتوا بدليل شاف ، وسند متصل فمجرد المنع يكفينا ، وإيراد الدليل فى ذمتهم لا فى ذمتنا »(١) .

هذا فضلا عن عدم استحداث آلات الطباعة فى القرون الأولى للعصور الوسطى .



(١) الشيخ رحمة الله الهندى : إظهار الحق ج١

الفصل الثالث

الغرض من كتابة الأناجيل

كان الغرض من كتابة الأناجيل هو حفظ بعض الملامح عن شخصية المسيح ، كتبها بعض الأتباع من الجيل الأول بطريقة بدائية بعيدة عن مراعاة المنهج العلمي التاريخي ، وكان هذا هو القدر المشترك بين العشرات من كتاب الأناجيل . يقول شارل جينيبير :

« وغالب الظن أنه قد ألفت في هذه الفترة[١] كتيبات سجل فيها محرروها ما رأوه جديرا بالعناية من مجموعات حكم منسوبة إلى أستاذهم[٢] أو حكايات عن مراحل حياته ، وجدوا فيها عبرة وتمييزاً لشخصيته ، أو وصفاً لمعجزاته التي قام بها في سبيل إقناع الجهلا.[٣] ، ولم يعن أحد بما نسميه اليوم « بالتحقيق التاريخي » وذلك المنهج الذي يفترض الشك — أي حتى يثبت اليقين بداهة — والذي يتنافى مع دوافع الإيمان المطلق لدى هؤلاء الكتاب الذين افتقروا كل الافتقار إلى روح النقد ، موجهين الاهتمام قدر استطاعتهم إلى إثبات صحة الآمال المسيحية، وإقناع المترددين ووعظ المؤمنين ، وكانت هذه الكتيبات — وأهمها مجموعة الأحاديث المنسوبة إلى مرقس — هي المصادر الأولى لأناجيلنا ، إلا أنها لم تكن

(١) هي الفترة التي صاحبت نهاية الجيل الذي عايش المسيح .

(٢) يريد به المسيح عليه السلام .

(٣) هذه العبارة من المغامز على النبوة ، فالأنبياء إنما يرسلون لإقناع الجهلاء ، والعلماء والعقلاء عامة ، فرسالتهم للعامة والخاصة من أقوامهم على السواء :

لتضم سوى عناصر شتى مشوشة عن حياة عيسى كما تصور المسيحيون عندما أوشك جيل أصحابه على الانقراض »(١)

فالهدف الأسمى لهؤلاء الكتاب هو كما ذكر جينيبير ، إثبات صحة الآمال فى المسيح قدر المستطاع ، وإقناع المترددين بصدق هذه الآمال .

كما كان هدف بعض هذه الكتابات إقناع بعض الطوائف بمسيحية تتفق ونظر كاتبيها ، فبعضها كتب لهداية اليهود قوم المسيح وخاصته وهو إنجيل متى كما يقولون وبعضها كان لدعوة الكفرة من غير اليهود وهو إنجيل لوقا كما يقولون ، وهو هدف من أراد تعميم الدعوة لغير بنى اسرائيل ، والكثير منها كان لتصوير المسيح بصورة موغلة فى الغلو والخروج به عن حد الاعتدال بتصويره تصويرا ميتافيزيقيا وهو إنجيل يوحـنا كما كان منها من كان يهدف إلى التنسيق بين الروايات المختلفة والتوفيق بينها بغية التثبيت والتحقيق للخروج بصيغة متسقة من الكم الهائل لروايات الإنجيل وهو إنجيل لوقا كما يدعون .

ولقد اتسمت بعض الأناجيل بوضع الخطوط الرئيسية لمبادىء أخلاقية مثالية ، مثل التمجيد للوداعة والفقر ، والرقة والسلام ، وكان من نصائحه أن يدير الإنسان خده الثانى لمن لطمه .

إن الفكرة الرئيسية التى تدور حولها عظات المسيح ، هى فكرة يوم الحساب وملكوت الله ، وحث الناس بأن يستعدوا للدخول فى الملكوت

---

(١) نشأة المسيحية وتطورها ص ٢٧ ، ٢٨

الباب الثالث

التحقيق العلمى والأناجيل الرسمية

ويشتمل على الفصول التالى :




http://www.al-maktabeh.com

الباب الثالث

التحقيق العلمي والأناجيل الرسمية

الفصل الأول

حول الزمن الذي كتبت فيه الأناجيل

قال تعالى : [فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم
ثم يقولون هذا من عند الله . . .]
سورة البقرة / ٧٩

الفصل الأول

لقد تعددت الآراء وتضاربت حول تحديد الزمن الذي كتبت فيه الأناجيل ، وسبب هذا التضارب يرجع — حسب اعتقادنا — إلى اختلاف وجهات النظر حول تحرير المراد من كيفية هذه الكتابة ، هل يراد بها كتابات انجيلية مفردة ، أم يراد بها كتابات إنجيلية مجموعة إلى أسفار أخرى تسمى عهداً جديداً يمكننا معرفة ذلك من تحقيقات العلماء التالية

حول كتابتها بصفتها أناجيل :

إن من ذهب إلى أن المراد من هذه الكيفية أن ابتداء كتابتها — كأناجيل مفردة — لم يتعد أن يكون حفظاً لأعمال المسيح ، و سيرته ، وأعمال الرسل وسيرهم بعد اليأس من عودة المسيح الثانية — وكان هذا بالطبع كتراث مستخلص من التراث الشفهي السائد بعد المسيح — يرى أن كتابة هذه الأناجيل بدأ بعد الثلث الأخير من القرن الأول إلى نهايته ، وهذا هو أقل تقدير زمن بالنسبة لمن يقللون من شأن المدة بين نهاية المسيح على الأرض وبدء كتابة هذه الأناجيل .

يقول موريس بوكاى : [إن المسئولين يقللون بشكل مبالغ فيه الفترة الزمنية الواقعة بين نهاية رسالة المسيح وبين ظهور النصوص يريدون إيهام الناس بوجود صيغة واحدة اعتمدت على تراث شفهى ، على حين أثبت المتخصصون أن هذه النصوص قد أصابتها تعديلات كثيرة.(١) وحتى هذا التاريخ المقدر لنهاية هذه الكتابة ، وإلى ما بعده بنصف قرن على الأقل لم تتسم الأناجيل بسيما النصوص المقدسة .

يقول الدكتور فؤاد حسنين : « فالكنيسة المسيحية لم تعرف أناجيل مكتوبة حتى أواسط القرن الثانى الميلادى ، وحتى خطابات بولس الرسول لم تعتبر مقدسة ، وكل ما فى الأمر أن بولس كان يروى ما يسمعه .. ولوقا لم يذكر فى مقدمة إنجيله أنه وحى يوحى ، وإنما هو كتاب أدبى تبشيرى كغيره من الكتب ، يقول فى مفتتح إنجيله :

« إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذى علمت به(٢) » .

فهذه العبارة التى يذكرها لوقا تفيدنا إلى جانب ذلك أيضاً أنه استقى معلوماته من مصادر ، وأن هذه المصادر يوثق بها . واعتراف شبيه بهذا نجده أيضاً فى يوحنا(٣) .

والمسيحية لم تعرف فى عصورها الأولى أسفارا مكتوبة خاصة بها ،

---

(١) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ج٠ ٨

(٢) لوقا ١ : ١-٤

(٣) يوحنا ٢٠ : ٣٠ ، ٣١

يقول بولس : [رسالة المسيح مخدومة منا ليست مكتوبة بحبر بل بروح ، لا فى ألواح حجرية بل فى ألواح قلب لحمية](١) .

فمن هذه العبارة ومن غيرها التى سبقت الاشارة إليها — أى عند لوقا ويوحنا — يتبين لنا أن أوائل رجالات الديانة المسيحية كانوا بعيدين جداً عن فكرة الوحى ، وقداسة الكتابات والعمل على تقديس ما دون وضمه إلى بعضه ، وتكوين العهد الجديد ، وحتى منتصف القرن الثانى الميلادى لا نجد كتابات مسيحية مقدسة](٢) .

ويقول ول ديورانت :«وترجع أقدم النسخ التى لدينا من الأناجيل الأربعة إلى القرن الثالث ، أما النسخ الأصلية فيبدو أنها كتبت بين عامى ٦٠ — ١٢٠ ميلادية ، ثم تعرضت بعد كتابتها مدى قرنين من الزمان لأخطاء فى النقل ، ولعلها تعرضت أيضا لتحريف مقصود يراد به التوفيق بينها وبين الطائفة التى ينتمى إليها الناسخ أو أغراضها . والكتاب الذين عاشوا قبل نهاية القرن الأول الميلادى لا ينقلون قط شيئا عن العهد الجديد ، بل كل ما ينقلونه مأخوذ من العهد القديم ، ولسنا نجد إشارة لإنجيل مسيحى قبل عام ١٥٠ ميلادية إلا فى كتابات (بيبياس) الذى كتب فى عام ١٣٥م إذ يقول : إن (يوحنا الأكبر) — وهو شخصية لم يستطع الاستدلال على صاحبها — قال : إن مرقس ألف إنجيله من ذكريات نقلها إليه بطرس) (٣) .

ويقول بوكاى ، ألم يكن القديس جوستين فى منتصف القرن الثانى ، يطلق على الأناجيل (اسم مذكرات الرسل)(٤) .

---

(١) رسالته الثانية إلى كورنثوس ٣ : ٤ يريد بألواح القلب اللحمية الحفظ فى الصدور .

(٢) راجع فؤاد حسنين /اليهودية واليهودية المسيحية ص ٤٣

(٣) قصة الحضارة ج ٣ ص ٢٠٧

(٤) دراسة الكتب المقدسة .. ص ٧٥

حول اعتبارها ضمن مجموعة العهد الجديد :

أما من ذهب إلى أن المراد بكتابة الأناجيل كتابتها مجموعة فى كتاب واحد يتسمى بالعهد الجديد يرى أن ذلك لم يعرف إلا فى منتصف القرن الثانى على أقل تقدير . يقول بوكاى : [الشهادات المتعلقة بوجود مجموعة من الكتابات الإنجيلية تظهر فقط فى منتصف القرن الثانى ، وبالتحديد بعد عام ١٤٠م] ١) .

فمع مرور الزمن بعد الجيل الأول الذى ركن إلى التراث الشفهى تظهر عند المسيحيين رغبة ملحة فى معرفة سير الرسل والإلمام بكل ما يرونه خاصا بحياة المسيح وأعماله ، وتدريجيا تبوأ شخصية المسيح وتلاميذه مكانا عاليا تضعهم إلى جانب شخصيات العهد القديم . ولكن بالرغم من مجهودات رجال الكنيسة التى بذلت من أجل معرفة حياة المسيح وأعماله ، وتتبع سير الرسل ورواياتهم ، فإننا لا نستطيع أن نقول إنه حتى منتصف القرن الثانى كانت هناك مجموعة الأسفار والكتابات والرسائل التى تكون فيما بينها ما يعرف اليوم باسم «العهد الجديد» .

فالعهد الجديد بما يتضمنه من الأناجيل القانونية (الأربعة) لم يعرف إلا فى وقت متأخر جداً يقدر بقرن ونصف تقريبا بعد الميلاد .

يقول بوكاى : «إن الأناجيل التى أصبحت رسمية فيما بعد ، أى كنسية ، لم تعرف إلى فى عصر متأخر برغم أن تحريرها كان قد تم فى بداية القرن الثانى ، وحسب الترجمة المسكونية ، فقد بدأ ذكر الروايات التى تنتمى إلى هذه الأناجيل فى نحو منتصف القرن الثانى ، وفى تعليقات هذه الترجمة

(١) المرجع السابق ص ٨٥

المسكونية للعهد الجديد : أنه لاتوجد على أى حال أى شهادة تقول بوجود مجموعة من الكتابات الإنجيلية قبل عام ١٤٠م](١) .

يقول ول ديورانت : « إن الأناجيل الأربعة التى وصلت إلينا هى البقية الباقية من عدد أكبر منها كثيرا كانت فى وقت منتشرة بين المسيحيين فى القرنين الأول والثانى »(٢) .

ومن هذا يتبين لنا أن الأناجيل لم تعرف كوحدة واحدة فى كتابات مقدسة إلا بعد مضى قرن ونصف بعد المسيح .

يقول بوكاى : [إن الأناجيل لم تكن كلا واحدا إلا بعد أكثر من قرن من إنتهاء بعثة المسيح ، ولم يتم هـذا فى وقت مبكر جداً كما يقال ، والترجمة المسكونية ترجع إلى عام ١٧٠م تقريبا التاريخ الذى اكتسبت فيه الأناجيل الأربعة صفة الأدب الكنسى(٣)» .

ويؤكد فؤاد حسنين هـذا المعنى فيقول : « وحقيقة الأمر أننا فى أواخر القرن الميلادى فقط نجد العزائم تصح لتكوين العهد الجديد ، فترى المسيحية تختار من بين الأناجيل الكثيرة المبعثرة أربعة فقط(٤) » .

ومجمل القول هنا ، هو أن المحققين يذهبون إلى أن الكتابات الإنجيلية ظهرت فى منتصف القرن الثانى تقريبا ، ولكن على شكل كتابات مجموعة فى صورة «العهد الجديد» أما ظهورها فى شكل كتابات مفردة مستقلة فكان بعد الثلث الأخير من القرن الأول على أقل تقدير .

---

(١) المرجع السابق/نفس الصفحة

(٢) قصة الحضارة جـ ٣ م ٣ ص ٢٠٦ .

(٣) دراسة الكتب المقدسة ص ٧٦

(٤) اليهودية واليهودية المسيحية — ص ١٤٥

الفصل الثانى

متى والإنجيل

التعريف بالكاتب :

يجمع المسيحيون على أن (متى) كان أحد الحواريين الإثنى عشر ، يسمى وكان يسمى (ليفى) قبل استجابته لدعوة المسيح كما هو إطلاق مرقس ولوقا .

وتذكر النصوص أنه كان عشاراً ، أو جابيا بمكتب الجمارك ، أو ضرائب المرور (بكفرناحوم) حينما اختاره المسيح ليكون أحد أتباعه ، وكان ذلك على عهد الإمبراطور (كلوديوس) قيصر روما فى ذلك الوقت .

وكان معلوما أن العشارين من المبغضين من عامة المواطنين ، لما كانوا يمارسونه من أعمال العنف والظلم ضد الشعب بسبب جباية الضرائب وخاصة من اليهود ، لأنه فى نظرهم يقوم بخدمة الدولة الرومانيـــة التى يتوقون إلى التحرر من سلطانها .

ويذكر التاريخ المسيحى أن (متى) كان يهوديا قبل اتباعه للمسيح ، ولما آمن بالمسيح وصار من حوارييه ترك وظيفة العشارين ، وانقطع لمتابعة سيده المسيح غير مفارق .



حول إسناد الإنجيل إليه :

لقد كان السائد فى العصور الماضية حتى عصرنا هذا — عصر النقد الحر والتمحيص الدقيق — أن متى هو واضع الإنجيل المسند إلى اسمه ، وهذا هو ما كان يعتقـــده آباء الكنيسة الأولين [أورجين] و [جيرون] و [إبيفان] وغيرهم .

وقد انتهى القول أمام النظرة النقدية الفاحصة لهذا الإنجيل إلى استحالة أن يكون واضعه هو (متى) العشار ، تلميذ المسيح ، لأنه من العسير أن يصدر هذا الإنجيل فى نظمه هذا وتأليفه عن رجل عرف بالسذاجة، والبساطة والعامية مثل متى ، يقول بوكاى :

« لنقل صراحة إنه لم يعد مقبولا اليوم القول إنه — أى واضع إنجيل متى — أحد حواريي المسيح — ولم يعد أحد يعتقد هذا فى عصرنا »(١) .

وذلك لأن ملامح هذا الإنجيل توحى بأن كاتبه كان فقيها بالتوراة وكتب الأنبياء ، وعلى معرفة بالعادات اليهودية ، وبالثقافة اليونانية ، فلذلك وضعه هذا الكاتب متلائما مع الفكر اليهودى المستهلن .

ويجمع العلامة بوكاى من آراء العلماء والباحثين وتقاريرهم بما يؤكد إستحالة أن يكون متى قد وضع الإنجيل الذى أسند إلى اسمه فيقول :

(يقول الباحث ، تريكو) : تحت يونانية الثوب يكمن الكتاب يهوديا لحما وعظما وروحا ، هو يحمل آثار اليهودية ، ويتسم بسماتها المميزة ، وهذه الاعتبارات وحدها تضع أصل إنجيل متى داخل الجماعة اليهودية المسيحية

---

(١) أنظر ص ٨٠ من دراسة الكتب المقدسة .

التى تحاول على حد قول (كولمان) : أن تقطع العلاقات التى كانت تربطها باليهودية مع الاحتفاظ فى نفس الوقت بخط مستمر مع العهد القديم ، إن نقاط الأهمية والنبرة العامة لهـذا الإنجيل توحى بوجود وضع متوتر)(١) .

ويمضى بوكاى فى تأكيده لهذا المعنى بقوله : « هناك نقطة لا جدال فيها ، وهى أن هذا الكاتب يهودى ، فمفردات كتابه فلسطينية ، أما التحرير فيونانى ، ويقول (كولمان) إن الكاتب ، أى متى يخاطب أناسا وإن كانوا يتحدثون اليونانية ؛ فإنهم يعرفون العادات ، واللغة الآرامية . . . ولما كان اسم المؤلف غير معروف بالتحديد ؛ فالأنسب هو الإكتفاء ببعض الخطوط المرسومة فى إنجيل متى نفسه ومنها :

أن الكاتب معروف بمهنتــه ، وأنه تبحر فى الكتب المقدسة ، والتراث اليهودى ، وأنه يعرف ويحترم رؤساء شعبه اليهود ، وإن أغلظ فى خطابه لهم ، كما أنه أستاذ فى فن التدريس ، وفى إفهام قول المسيح لمستمعيه مع تأكيده الدائم على النتائج العملية لتعاليمه ، وأنه يتفق جداً مع ملامح يهودى متأدب اعتنق المسيحية ، وهو معلم حاذق « يخرج من كنزه جديداً وقديماً ، كما يشير إلى هذا إنجيليه نفسه (إصحاح ١٣ . ٥٢) .

تلك صورة بعيدة كل البعد عن صورة الموظف البيروقراطى بكفر ناحوم ، الذى يطلق عليه مرقس ولوقا اسم (ليفى) والذى أصبح واحداً من حوارى المسيح الاثنى عشر »(٢) .

فهذا القول من هؤلاء المحققين يجعلنا نعيــد النظر فيما يجمع عليه

---

(١) موريس بوكاى / دراسة الكتب المقدسة ص ٨٠

(٢) المرجع السابق ص ٨١

المسيحيون من أن متى العشار كتب أنجيلا بين فيه حياة المسيح ورسالته مما كان قد شاهده ورآه ، كما تعطينا هـــذه المعطيات على أقل تقدير أن ما كتبه متى عن سيده قد ووري عالم المجهول ، ثم ظهر هذا الانجيل ألذى أسند إليه باللغة اليونانية على أنه ترجمة له ، ثم توارى مترجمه الذى لم تعلم هويته ، ولم يكن لمتى فيه إلا اسمه ، للجهل بالأصل وبالمترجم .

وهنا نفتقد صحة إسناد إنجيل متى الذى ظهر باللغة اليونانية ، إلى متى الذى لا يعرف إلا العبرانية هذا إذا أريد الإنصاف فى هذه القضية وقلنــا إن متى كان له نصيب فى الكتابة عن سيده .

تاريخ كتابة إنجيل متى :

لقد تضاربت الآراء حول تحديد الزمن الذى كتب فيه إنجيل متى ، فمن الباحثين من ذهب إلى أن كتابته تنحصر فى الفترة ما بين عامى ٦٠ — ميلادية ، وهذا ما سجله صاحب كتاب الكنز الجليل(١) .

ومنهم من يرى أن كتابته تمت فى الفـــترة ما بين عامى ٨٠ — ٩٠ ميلادية ، يقول بوكاى : « وقد يمكن أن نستشف معركة فكرية ضد اليهودية المعبدية(٢) الارثوذكسية التى ظهرت بالمجمع الكنس اليهودى بجامينا فى نحو عام ٨٠ ميلادية. فى ظل هذه الظروف يكثر عدد الكتاب

---

(١) الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل / الدكتور وليم آدى الأميركانى جـ١ صـ٣

(٢) اليهودية المعبدية يرادبها : اليهود الذين آمنوا بالمسيح ، لأن دين المسيح لا يلغى العبادة اليهودية

الذين يؤرخون للإنجيل الأول بما بين عام ٨٠ و ٩٠ ميلادية ، أو بما قبل ذلك بقليل ، ولا يمكن الوصول إلى يقين كامل فى هذا الموضوع(١) .

ويقول ابن بطريق « وفى عصر قلوديوس (يقصد كلود الأول) أمبراطور الرومان (ولد سنة ١٠ ق٠م ، ونصب إمبراطورا سنة ٤١ ميلادية ، ومات وهو فى منصبه سنة ٥٤ ميلادية) كتب متاوس (يقصد متيوس أى متى) إنجيله بالعبرانية فى بيت المقدس ، وفسره (أى ترجمه) من العبرانية إلى اليونانية يوحنا صاحب الأنجيل)(٢) .

وهكذا نرى الباحثين يترددون فى تحديد الزمن الذى كتب فيه هذا الإنجيل ، ومن خلال تحديداتهم تأتى احتمالات كتابته بدءا من العقد الخامس الميلادى إلى نهاية العقد الثامن الميلادى ، وهو أمر يبعث على عدم اليقين فى الركون إلى أى منها ، وإن ذهب صاحب الكنز الجليل إلى ترجيح كتابته فى الفترة ما بين عامى ٦٠ — ٧٠ ميلادية ويرى أن عليه مدار أغلب الباحثين(٣) ، ويبدو أنه أختار التاريخ الوسط .

اللغة التى ألف بها :

يبدو من الغالب فى نظر الآباء الأولين أن إنجيل متى كتب باللغة العبرية أو الآرامية(٤) فى أرض يهودية للمؤمنين من اليهود كما قال جيروم ، وأنه لم يؤلف إنجيل باللسان العبرى سواه ، وقول بيبياس فيما نقله عنه

---

(١) دراسة الكتب المقدسة ص٨١

(٢) على وافى / الأسفار المقدسة السابقة على الإسلام ص٦٥

(٣) انظر الكنز الجليل ج١ ص٣

(٤) انظر الأسفار المقدسة / على وافى ص٦٤

ول ديورانت ، إذ يقول : « وأعاد متى كتابه — الكلمات — بالعبرية ، ويبدوا أن هذا الإنجيل مجموعة آرامية — عبرية — من أقوال المسيح(١) » .

وجاء فى كتاب دراسة الكتب المقدسة ... : « إن أصل هذا الإنجيل يبدو كما يلي :

« يقدر غالبا أن إنجيل متى قد كتب بسوريا ، وبما بأنطاكية ، أو بفينيقيا ، ففى هذه المناطق كان يعيش عدد من اليهود . » وهناك تعليق يقول : « تساءل البعض عما إذا كانت طائفة متى اليهودية — المسيحية تعيش بالأسكندرية ؟ إن (كولمان) يذكر هذا الفرض من بين فروض أخرى »(٢) .

والذى يرمى إليه هذا الفرض هو أن إنجيل متى قد يحتمل صبغه بثقافات أخرى غير عبرية منها اليونانية المستهلنة التى كانت سائدة فى الأسكندرية آنذاك .

وقد ذكر صاحب كتاب الفارق آراء المؤرخين القدامى من المسيحيين التى يؤكدون فيها كتابته باللغة العبرية ، مستنبطا ذلك من المجلد الثانى من الكليات لأردنر ، الذى حوى آراء الكاتبين فى ذلك بما يؤكد الإجماع(٣) .

فى الحقيقة لم يظهر إنجيل لمتى باللغة العبرية إطلاقا .

---

(١) ول ديورانت / قصة الحضارة ج ٣ م ٣ ص ٢٠٧

(٢) دراسة الكتب المقدسة ص ٨١

(٣) أنظر : الفارق بين المخلوق والخالق ص ٢١ والأسفار المقدسة / على وافى ص ٦٥

إنجيل متى بين الآرامية واليونانية :

لو فرضنا جدلا صحة القول بأن واضع الإنجيل الأول هو متى الحوارى ، والذى كان قبل إيمانه بالمسيح جابيا للعشور لحساب الدولة الرومانية ، فإنه من المجمع عليه لدى الباحثين أنه ألفه بلغته العبرية أو الآرامية التى ورثت العبرية . وإنه لمن المجمع عليه أيضا أن هذا الأصل العبرانى أو الآرامى لم يصل إلينا ، وأنه قد فقد ، وأن الذى ظهر مسندا إلى اسمه وأعلن للعالم كله إنما هو ترجمة له باللغة اليونانية ، ولا يعرف على وجه يقينى هوية من قام بترجمته إلى اللغة اليونانية التى ظهر فيها لأول مرة.

كما لم تتوافر لنا الأدلة التى توقفنا على اليقين بأن الترجمة اليونانية التى ظهر فى ثوبها متطابقة مع الأصل العبرى لمتى ، حيث قد فقد الأصل قبل ظهور الترجمة ، وهنا يفتقد عنصر المقارنة بين الأصل وترجمته ، ولم يثبت فى التاريخ العام أن أحدا قام بالمقابلة بينهما .

قال (جيروم) وهو من علماء النصارى المتقدمين فى شأن ترجمة إنجيل (متى) : « لا يوجد إسناد هذه الترجمة ، وحتى الآن لم يعلم باليقين اسم المترجم » (١) وبناء على ذلك فإن الاعتقاد بصحة كلام مترجم مجهول الحال لكتاب عقدى كإنجيل متى له من الخطورة على العقيدة ماله .

فقد يكون ذلك المترجم من أعداء الدين المسيحى ، ويكون قد دس فيه من العقائد والتعاليم ما هو خلاف الحق فى الدين أو شرع فيه بما لم يأذن به الله .

ومعلوم أنه كان هناك أعداء كثيرون للمسيحية من الطوائف المختلفة من وثنيين ويهود ، ومن أتباع الديانات والنحل المنحرفة الأخرى .

(١) كتاب الفارق ص ٢١

ويذهب ابن بطريق إلى القول بأن مترجمه هو صاحب إنجيل يوحنا ، ولكن صاحب كتاب الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة يقول : إن ماذهب إليه ابن بطريق ليس له سند يعتد به(١) .

أما صاحب قصة الحضارة فيقول: « وتقول الرواية المأخوذ بها أن إنجيل متى أقدم الأناجيل كلها ، ويعتقد (إيرنيوس) أنه كتب فى الأصل باللغة (العبرية) ولكنه لم يصل إلينا إلا باللغة اليونانية ... وإن النقاد يميلون إلى القول بأنه من تأليف أحد أتباع متى وليس من أقوال العشار نفسه ، وحتى أكثر العلماء يرجعون به إلى تلك الفترة البعيدة المحصورة بين عامى ٧٥ — ٩٠ ميلادية . وإن كان الغرض الذى يبتغيه متى هو هداية اليهود ، فإنه يعتمد أكثر من غيره من المبشرين على المعجزات التى تعزى إلى المسيح ، ويحرص حرصا يدعو إلى الريبة على أن يثبت أن كثيرا من نبوءات العهد القديم قد تحققت على يدى المسيح »(٢) .

أما مترجم إنجيل متى فيصفه (نورتن) بأنه لا يميز بين الخبيث والطيب ، وأنه كحاطب ليل ، ما كان يميز بين الرطب واليابس ، فما فى المتن من الصحيح والغلط قد ترجمه . وقال جامعوا تفسير هنرى واسكات: « إن الفرقة الإبيونية التى كانت تنكر ألوهية المسيح حرفت هذه النسخة ، وضاعت بعد فتنة يورشليم ، وقال البعض : إن الناصريين أواليهود الذين دخلوا فى الملة المسيحية حرفوا الإنجيل العبرانى ، وأخرجت الفرقة الإبيونية فقرات كثيرة منه(٣) » .

---

(١) على وافى / الأسفار المقدسة ص٦٥

(٢) ول ديورانت / قصة الحضارة جـ٣م٣ ص ٢٠٧ ، ٢٠٨

(٣) عبد الرحمن باجه جى زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص ٢٢

ولكننا نستطيع القول بأن احتمال أن الفرقة الإبيونية هى القائمة بالتحريف مع مايعرف عنها من إنكارها لاهوت المسيح قول يستوقف النظر ، فإن المنكر للاهوت المسيح يخرج كتابات تتفق مع أرقى تعاليم المسيح الأساسية من غير تحريف ولا تبديل .

وقال جامعوا هذا التفسير أيضاً : « إن هذا الإنجيل ماكان متواتراً فى القرن الأول ، وأن التحريف كان شائعاً فى هذا القرن أيضاً فى المسيحيين »(١) .

فإذا كان الأصل قد حرف بمقتضى هذه الشهادة ، فكيف بالترجمة التى لم يعلم مترجمها على وجه التحقيق بالسند الكامل ؟

إنجيل متى بين الأناجيل الرسمية :

يحتل إنجيل متى — بحسب وضعه على ماهو عليه — المكانة الأولى بين الأناجيل الأربعة فى النظام الذى عليه ترتيب أسفار العهد الجديد ، وقد يكون لهذه المكانة مايبررها فى نظرهم ، فهذا الإنجيل يعتبره أتباعه امتداداً للعهد القديم ، فقد كتب ليثبت أن المسيح « يكمل تاريخ إسرائيل » .

يقول المعلقون على الترجمة المسكونية فيما ذكره بوكاى : ولكى يحقق متى هذا الغرض — وهو تكميل تاريخ إسرائيل — فإنه يستشهد دائماً بفقرات من العهد القديم تشير إلى أن المسيح يتصرف كالمسيح ... إن متى يتابع نفس هذه الفكرة ، وذلك بتوضيحه الدائم لموقف المسيح إزاء القانون اليهودى ومبادئه العريضة من صلاة وصوم وزكاة »(٢) .

---

(١) المرجع السابق .

(٢) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص ٧٩

ويتابع بوكاى حديثه ببيان أصله ومصدر فكرته فيقول : « ويتفق الجميع على الاعتقاد بأن متى كتب إنجيله اعتماداً على مصادر مشتركة بينه وبين مرقس ولوقا ، ولكن روايته تختلف وفى نقاط جوهرية . . . ومع ذلك فقد استخدم متى بشكل واسع إنجيـــل مرقس الذى لم يكن أحد حوارى المسيح كما يقول كولمان »[١] .

هذا ، ولإن إنجيل متى يتسم كما تتسم بذلك بقيـة الأناجيل باحتوائه أموراً يستحيل تصديقها عند التدقيق ، وأمام النقد الصريح ، مما يرجح القول باحتمال قيام بعض اليهود بالدس والوضع فى هـذا الإنجيل بعد خراب أورشليم . فيذكر (نورتن) عند تفسيره للآية الثانية والخمسين من الإصحاح السابع والعشرين منه ، وهو قوله : « الأرض تزلزلت وتشققت الصخور ، وتفتحت القبور وكثير من أجساد القديسين الراقدين قاموا وخرجوا من قبورهم بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة ، وظهروا لكثيرين — ثم قال معلقاً : إن هذه الفقرة مناقضة لقول بولس ، بأن عيسى أول القائمين وباكورة الراقدين .. ثم قال معقباً : هذه الرواية كاذبة ، والغالب أن أمثال هذه الحكايات كانت رائجة عند اليهود بعد ماصارت أورشليم خراباً ، فلعل أحداً كتب في حاشية النسخة العبرانية لإنجيل متى هـذه الجملة ، وأدخلها الكتاب في المتن ، وهذا المتن وقع في يد المترجم فترجمها على حسبه »[٢] .

فهذا محقق مسيحى أنصف القول وقرر ما ارتآه حقاً ، فإن عداوة اليهود للمسيحيين غير خافيـة ، على أن طائفة الفريسيين من اليهود كانت تعتقد بأن التقليد والمأثور من تفسيرات الآباء وتعليقاتهم على الناموس .. كل ذلك من الناموس ، فإذا ترجح أن المترجم من اليهود ، وهو ماتوحى

---

(١) المصدر السابق ص ٨١ ، ٨٢

(٢) الفارق بين المخلوق والخالق ص ٢١

به سمة الكتابة ، فقد تتكشف الحقيقة وتترجح المساهمة فى هذا الإنجيل من غير متى .

إفراط فى الخيال إلى حد اللامعقول :

إن متى يتصرف مع النصوص بحرية خطيرة تدعو إلى الغرابة ، وتلك ملاحظة تلاحظ عليه خاصة فيما يتعلق بنسب المسيح التى يضعها فى مستهل إنجيله ، وهى أحد الشواهد على تصرفه الطليق فى هذه النصوص ، وقد ألحق بكتابه روايات يستحيل تصديقها عند التدقيق ، واستحالة التدقيق تلك هى التى يستخدمها الأب (كانينجسر) فى كتابه « الإيمان بالقيامة وبعث الإيمان » كما يذكر بوكاى ، وذلك عندما يتحدث (كانينجسر) عن رواية قيامة المسيح ، والمقصود بالحديث هو الجزء الخاص بالحراس ، فالكاتب يبرز عدم معقولية حكاية حراس القبر العسكريين « هؤلاء الجنود الوثنيون الذين يذهبون بتقريرهم ليس إلى رؤسائهم الوظيفيين ، وإنما يذهبون إلى كبار الكهنة الذين يرشونهم ليقولوا أكاذيب » ومع ذلك فهو يضيف : « علينا أن نحاذر من السخرية ، ذلك أن نية متى نية جديرة بالإجلال ، حيث يدخل بطريقته الخاصة إلى مؤلفه المكتوب معطية قديمة من التراث الشفهى ، هذا إخراج تمثيلى جدير بفيلم كفيلم « المسيح نجما سينمائيا » .

ثم يعقب بوكاى بأهمية حكم كانينجسر ومدى إصابته لصميم الهدف بقوله : « ولنذكر بأن هذا الحكم على متى صادر عن عالم لاهوتى مبرز ، وهو أستاذ بالمعهد الكاثوليكى بباريس .

ثم يستطرد فى كشف اللامعقول الذى يسجله متى لجمهوره فيتفق فى نظرته مع ماسبق أن سجلة (نورتن) قبل قليل فى هذه الفقرة بأن متى يعطى مثالا آخر على خياله الواسع فى سرده للأحداث التى تواكب موت المسيح يقول : « وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل

والأرض تزلزلت والصخور تشققت والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجو من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا الكثيرين ». ليس لهذه الفقرة من إنجيل متى [الإصحاح ٢٧ الآيات من ٥١ — ٥٣] مثل فى الأناجيل الأخرى ، ولا نرى كيف استطاعت أجساد القديسين المعنيين أن تقوم عند موت المسيح أى قبل يوم السبت كما تقول الأناجيل ، وألا تخرج من قبورها إلا بعد قيامة عيسى (أى بعد غداة السبت حسب نفس المصادر) وربما كان إنجيل متى هو الذى يحتوى على هـــذا القول الذى يتميز بعدم معقولية لاجدال فيها من بين كل الأقوال التى وضعها كتابها على لسان المسيح نفسه »(١) .

وفى الوسع أن نشير هنا إلى أن حادثة كهذه تنطوى على ما يشبه المعجزات يجب أن يسجلها التاريخ ولا يغفل أمرها فإنها تبلغ من الغرابة بمكان يجعل التاريخ منها مادة للعجب والتسلية فى الوقت نفسه ، أما وأن أحداً من المؤرخين على مدار العصور المتعاقبة من عصر المسيح إلى يومنا هذا لم يسجلها فى كتاباته فإنها تصبح هراء من القول وعبثا بعقول العقلاء وأفكارهم ، كما نود أن نضيف إلى اللامعقول هذا لامعقولا آخر فى إنجيل متى وما أكثر اللامعقولات عندما يتسع خيال الراوى ، ذلك هو : ذكرى حادثة آية يونس عليه السلام .

يذكر متى أن الكتبة والفريسيين يأتون إلى عيسى ويخاطبونه قائلين : « يامعلم نريد أن نرى منك آية — فأجابهم المسيح قائلا : — جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا يعطى له آية أخرى إلا آية يونس النبى ، لأنه كما كان

---

(١) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص ٧٩

يونس فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال »[١] .

ونترك التعليق للكاتب الكبير موريس بوكاى حيث يقول :

« المسيح يعلن أنه سيظل ببطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال ، ولكن متى ومعه لوقا ومرقس يحددون موت ودفن المسيح بما قبل يوم السبت بيوم » . وهذا بالتأكيد يجعل المكث بالأرض ثلاثة أيام بقول النص اليونانى لكن هذه الفترة الزمنية لا يمكن أن تحتوى إلا على ليلتين وليس ثلاث ليال . إن المعلقين على الأناجيل والمحققين منهم يهملون التعليق غالباً على هذا الحدث[٢]، لعدم ملاءمته لأبسط قواعد الحساب ولمخالفته لبديهة العقل ، يقول بوكاى : ومع ذلك فالأب روجى يبرز هذا الأمر غير المعقول ويلاحظ أن المسيح « لم يبق بالقبر إلا ثلاثة أيام ومنها يوم واحد كامل فقط وليلتين » غير أنه يضيف قائلا : « التعبير جامد ولا يدل على شىء آخر إلا ثلاثة أيام[٣] » أى أنه ينبغى ألا يفهم غير ذلك من غير تحليل أو تعليل فهو هكذا وفقط .

ثم يضيف بوكاى قائلا : إنه لمما يحزن حقا أن نلاحظ أن المعلقين ينزلون إلى استخدام مثل هذه الحجج التى لا تقول شيئا إيجابيا ، على حين يشفى العقل الإيحاء بأن مثل هذه الكبيرة ربما تكون قد صدرت عن أخطاء أحد نساخ النص . وبالإضافة إلى هذه الأمور غير المعقولة فإن

---

(١) متى ١٢ : ٣٨ — ٤٠

(٢) دراسة الكتب المقدسة ص ٨٣

(٣) المرجع السابق

مما يتميز به إنجيل متى أولا وقبل كل شيء هو أنه إنجيل طائفة يهودية مسيحية بسبيل مخالفة اليهودية مع الاحتفاظ بخط العهد القديم، ومن وجهة نظر تاريخ اليهودية المسيحية فلإنجيل متى أهمية كبرى »(١). وذلك بحسب الهدف الذي نسج من أجله .



---

(١) أنظر كتاب دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ٨٣ .

الفصل الثالث

مرقس والإنجيل

التعريف بالكاتب :

تقول المصادر المسيحية أن (مرقس) كاتب الإنجيل المسمى باسمه كان يهوديا من بيت (لاوى) واسمه (يوحنا) ويلقب (مرقس) ، وأنه ولد فى إقليم الخمس مدن ، وتذكر الروايات التاريخية أنه كان يهوديا قبرصيا ، وكان يجيد اللغة اليونانية كتابة وقراءة ، وقد تتلمذ على الرسول بطرس ، وقضى معه شطراً من حياته حين تبعه إلى روما مترجما تبشير بطرس الذى كان بالآرامية إلى اليونانية . وقد صاحب مرقس بولس والقديس برنابا فى رحلاتهما وتبشيرهما بالمسيحية فى قبرص ،وآسيا الصغرى ، وبعد موت رسول المسيحية بطرس فر مرقس هارباً من اضطهاد نيرون إلى شمال أفريقيا ثم إلى مصر ، وبشر فيها بالمسيحية ونشرها فيها ، وأنشأ بطرياركية الأسكندرية التى يطلق عليها الآن (الكرازة المرقسية) والتى يتولاها الآن باباوات الأقباط الأرثوذكس الذين يعتبرون أنفسهم خلفاء مرقس ، وقد مات مرقس مقتولا كما هو فى سفر أعمال الرسل[1] ، وكان موته فى الأسكندرية عام ٦٨ ميلادية ، وكان قتله على يد الوثنيين فى عهد (نيرون) .

---

(١) الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل ج ١ ص ٤

زمن كتابة إنجيل مرقس وسبب ذلك :

إن إنجيل مرقس يعتبر أقصر الأناجيل ولكنه أقدمها ، والسبب فى تأليفه وكتابته له هو طلب أهل روما لذلك . وقد اختلفت آراء المحققين المسيحيين فى تاريخ كتابته ، فقيل إن تأليفه كان فيما بين عامى ٦٠ — ٧٠ ميلادية على مايقول وليم آدى الأمريكانى(١)

وقال يواقيم أرميا : « إنه لمدة طويلة كانت كل التقاليد المعروفة عن المسيح - أقواله ومعجزاته ، وحياته ، والقصص الثابتة عن موته وقيامه - كلها أقوال شفاهية ، متناقلة ، فى الوقت عينه الذى كانت المسيحية تنتشر فى سورية ، وآسيا الصغرى ، واليونان ، كانت قصص البشائر — على قدر مانستطيع أن نعرف — كلها شفاهية، واستمرت على هذه الصورة مايقرب من خمسة وثلاثين عاما ، ولم يتغير الوضع إلا فى عهد اضطهاد نيرون للمسيحيين ، حينما اجتمع شيوخ الكنيسة وكبارها فى خريف عام ٦٤ ميلادية ووجد أن الكثيرين من أعمدة الكنيسة قد فقدوا واستشهدوا ، ومنهم بطرس الرسول ، الذى صلب فى حدائق الفاتيكان ، وابتـــدأوا يتذاكرون فيما بينهم الذكريات التى كان يقصها بطرس الرسول عن حياته مع المسيح ، وعن أحاديث المسيح معه ، وعن معجزات السيد التى رآها ، وعن إنكاره السيد فى ليلة الخميس التى حوكم فيها أمام مجلس أحبار اليهود ولم يجد المجتمعون أمامهم إلا يوحنا الملقب مرقس، زميل الرسول بطرس فى الخدمة ، والذى كان قد هرب من الاضطهاد ليسجل كل مايستطيع أن يتذكره من أحاديث المسيح ، وتعاليمه، وكتب مرقس بشارته المختصرة

---

(١) الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل ج ١ ص ٤

التي تحمل اسمه ، وهي أقدم قصة كتبت عن حياة المسيح»(١)

هذا ويقال أن بطرس كان يقول بإنسانية المسيح وعدم لاهوته بالمعنى الذي أرادوه ، كما هو وارد عنه في سفر الأعمال(٢) ولم يذكر مرقس في إنجيله مدح المسيح لبطرس .

وعن مصدر هذا الإنجيل وتاريخ تأليفه يقول ول ديورانت نقلا عن بيبياس : إن مرقس ألف إنجيله من ذكريات نقلها إليه بطرس . . . ثم قال ويتفق الناقدون الثقات بوجه عام على أسبقية إنجيل مرقس في الزمن على سائر الأناجيل ، وفي تحديد تاريخه بين عامي ٦٥ ، ٧٠ ميلادية ، وإذا كان هذا الإنجيل يكرر المسألة الواحدة أحيانا في عدة صور فإن الكثير من الباحثين يعتقدون أنه يعتمد على « الكلمات » — أي انجيل متى — السالفة الذكر ، وعلى قصة أخرى قديمة العهد قد تكون هي الصورة الأولى لإنجيل مرقس نفسه ، ويبدو إن إنجيل مرقس كان منتشرا أثناء حياة بعض الرسل أو حياة الرعيل الأول من أتباعهم ومريديهم»(٣) .

ولعل انتشار هذا الإنجيل في حياة الرعيل الأول للأتباع والمريدين هو الذي دفع بيبياس أسقف (هيرابولس) في نحو عام ١٥٠ ميلادية إلى أن ينسب الإنجيل المقصود إلى مرقس الذي يقول عنه إنه كان مترجما لبطرس وأنه كان أيضا مساعدا لبولس، إن إنجيل مرقس من هذه الزاوية قد تحررت بعد موت بطرس أي على أكثر تقدير بين عامي ٦٥ — ٧٠ ميلادية حسب الترجمة المسكونية وفي حوالي عام ٧٠ ميلادية حسب رأي كولمان(٤)

---

(١) يواقيم أرميا: أقوال المسيح غير المدونة في بشائر الانجيل ص١٠، ١١
(٢) راجع الاصحاح الثاني .
(٣) قصة الحضارة ج ٢ م ٣ ص ٢٠٧ ، ٢٠٨
(٤) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ٨٤

ويرجح الدكتور على وافى كتابته حوالى سنة ٦٣ م أو سنة ٦٥ ميلادية(١) .

ويقول ابن بطريق : إنه فى عصر نيرون — إمبراطور روما عام ٥٤ — ٦٨ — كتب (بطرس) رئيس الحواريين إنجيل (مرقس) عن مرقس بالرومية فى مدينة رومة ونسبه إلى مرقس(٢)) وهذا الرأى لابن بطريق لا سند له .

ويقول صاحب مرشد الطالبين : « قد زعم أن إنجيل مرقس كتب بتدبير بطرس عام ٦١ ميلادية لنفع الأمم الذين كان تنصرهم بخدمته »(٣) ولا ننسى أن التعبير بقوله (زعم) يدل على أن القول المذكور لا سند له ، لأنه لو ثبت أن مرقس كتب إنجيله بتدبير بطرس لذكر أن المسيح ليس بإله لأنه ثبت عن بطرس كما تقدم أنه كان يقول ببشرية المسيح ونبوته .

ما نرجحه من الآراء فى تاريخية إنجيل مرقس :

يترجح القول لدى كثير من المحققين على أسبقية إنجيل مرقس فى الزمن على الأناجيل الأربعة ، ولعل ما يدعوا إلى ذلك ما كان من أمر بطرس ؛ فإنه كان لا يعرف إلا اللغـــة الآرامية ؛ فلما ذهب إلى روما ليبشرهم بدين المسيح وإنجيله وهم لا يعرفون إلا اللغة اليونانية .. استدعى معه (يوحنا) الملقب (مرقس) صاحبا له ليقوم بترجمة ما يلقيه على أهل

---

(١) انظر الأسفار المقدسة ص ٦٥

(٢) تاريخ ابن بطريق جـ ١ ص ٤٤

(٣) مرشد الطالبين ص ١٧٠ نقلا عن كتاب الفارق .

روما(١) من إتبشير بالدين(٢) ، ولما مات بطرس فى إضطهادات نيرون اجتمع شيوخ المسيحية فى روما لفرز من يرونه حافظاً لأقوال المسيح ، وحياته ، ومعجزاته ، بعد ما أفنت الاضطهادات رءوس الكنيسة ، فكان المختار لذلك هو مرقس ، رفيق بطرس فى رحلته إلى روما ، فكلفوه بكتابة ما يحفظه من أقوال المسيح وتعاليمه مما أملاه عليه أستاذه وصديقه بطرس رئيس الحواريين ، فكتب بناء على ذلك بشارته باللغة اليونانية ، وتوالت كتابة البشائر من بعده .

ولعل مما يرجح هذا الإتجاه ما ترجح لدى بيبياس من أن هناك نسخة أولى قديمة العهد لمرقس كانت مصدراً لكتابة هذا الإنجيل المنظمة ، لأن النسخة الأولى وضعت غير مرتبة ، بل وضعت وفقا لإحتياجات الحال والمقال ، والدواعى لأهل روما .

ومما يرجح تأخير (إنجيل متى) عن (إنجيل مرقس) ماعزاه ول ديورانته إلى أكثر العلماء فى كونهم يرجعون بإنجيل متى إلى ما بين عامى ٧٥ — ٩٠ ميلادية أما إنجيل مرقس فيرجحون كتابته ما بين عامى ٦٥ — ٧٠ ثم ما عرف من إشتمال إنجيل متى على ستمائة آية من الستمائة والإحدى والستين التى يشتمل عليها نص مرقس المعتمد ، ولعل الإقتباس كان من النسخة الأولى القديمة العهد لمرقس .

---

(١) إقرأ نهاية رسالة بطرس الأولى .

(٢) هذا المعنى يتبدد معه القول بأن الروح القدس كان يلقى بالوحى على كل بشير بلغة القوم الذين يريد تبشيرهم بإنجيله وبلسانهم ، فلو كان هذا حقا لما احتاج بطرس إلى من يترجم له ما يبشر به من إنجيل .

إنجيل مرقس فى نظر المحققين :

كثير من النقاد والمحققين يعزون إلى هذا الإنجيل إنتحال نصوص ليست من وضع مرقس نفسه ، إدعى أنها من تأليفه زوراً ، فقالوا بأنه أضيفت إليه آيات من آخره ختم بها الإصحاح السادس عشر ، وهى من الآية (٩ — ٢٠)(١) .

ويؤكد موريس بوكاى هـــذا المعنى فيقول : « وإذا كان إنجيل مرقس معترفا به كإنجيل كنسى ، فإن هذا لا يقلل من أن الكتاب المحدثين يعدون خاتمته : [الإصحاح ١٦ الآيات من ٩ — ٢٠] كمؤلف مضاف : وتشير الترجمة المسكونية إلى هذا بشكل صريح ، ثم يستطرد قائلا ، وهذه الترجمة غير موجودة فى أقدم مخطوطتين كاملتين للأناجيل ، ويرجع تاريخهما إلى القرن الرابع . ويقول (كولمان) فى هذا الشأن : أضيفت مخطوطات يونانية أقرب عهداً ، وبعض نصوص أخرى إلى هذا الموضع كخاتمة عن ظهور المسيح لا تنتسب إلى مرقس ، وإنما هى مستخرجة من أناجيل أخرى ، والواقع أن روايات هذه الخاتمة المضافة كثيرة ، ففى النصوص نجد تارة رواية طويلة ، وتارة رواية قصيرة ـ وتحتوى الترجمة المسكونية على الروايتين ـ وتارة الرواية الطويلة مع حاشية ، وتارة أخرى الروايتين معا)(٢) .

ثم يزيد بوكاى فى الإستطراد فيقول (ويعلق الأب كانفجسر على هذه الخاتمة بما يلى : لا بد أنه قد حدث حذف للآيات الأخيرة عند الاستقبال الرسمى (أو عند النشر على العامة) لكتاب مرقس فى الجماعة التى ضمنته .

---

(١) راجع الفارق بين المخلوق والخالق ص ٣١٧

(٢) دراسة الكتب المقدسة . . . ص ٨٦

فلا متى ، ولا لوقا ، ولا يوحنا بالأحرى قد عرفوا هذا الجزء المفقود ، ومع ذلك فقد كانت الفجوة لا تحتمل ، وبعد ذلك بكثير ، وبعد أن جرت بين الأيدى الكتابات المتشابهة لمتى ولوقا ويوحنا ، تم توليف خاتمة محترمة لمرقس ، وذلك بالإستعانة بعناصر من هنا ومن هناك لدى المبشرين الآخرين ، وذلك يسمح بتكوين فكرة مادية عن الحرية المادية التى كانوا يعالجون بها النوع الأدبى الخاص بالحديث الإنجيلى حتى أعتاب القرن الثانى . ثم يقول بوكاى معلقا : ياله من اعتراف صريح بوجود التعديلات التى قام بها البشر على النصوص المقدسة ، ياله من إعتراف ذلك الذى تقدمه لنا تأملات هذا العالم اللاهوتى الكبير »(١) .

ومما تقدم يتبين لنا ما يلى :

١ — إن إنجيل مرقس كان أبعد ما يكون عن الإلهام ، حيث تلقى مرقس مضامينه من إنسان مثله هو (بطرس) وأن صياغته لمرقس لا لبطرس الذى يقول بأن المسيح بشر وليس إلها .

٢ — إن هذا الإنجيل قد احتوى نصوصا لم يقل بها أى من مرقس ولا بطرس أستاذه ، وهو على أقل إحتمال : كتاب حرره تلميذ لأحد الحواريين ، وليس من وضع أحد من حوارى المسيح .

وأخيراً هناك تعقيب لبوكاى على إنجيل مرقس يقول فيه (وبالجملة فإن نص مرقس يظهر فيه عيب رئيسى أولى لا جدال فيه : لقد حرر دون أى اهتمام بالتعاقب الزمنى للأحداث ، فهذا الإنجيل يضع فى بداية روايته [الإصحاح ١ — الآيات من ١٦ — ٢٠] حكاية الصيادين الأربعة الذين يدعوهم المسيح لأن يتبعوه قائلا لهم ببساطة : « ستصيرون صيادى الناس » مع أنهم لا يعرفونه ، ثم يضيف قائلا : ان هذا المبشر يفتقد

(١) المرجع السابق ص ٨٦ ، ٨٧

إفتقاداً كاملا إلى المعقولية . . . فإن مرقس كاتب غير حاذق ، وأكثر المبشرين إبتذلا ، فهو لا يعرف أبداً كيف يحرر حكاية » .

وعن كيفية تكون الحواريين الإثنى عشر وأن اختيارهم تم بغير معرفة متفحصة متأنية يقول المعلق : « ثم صعد إلى الجبل ، ودعا الذين أرادهم فذهبوا إليه ، وأقام اثنى عشر ليكونوا معه ، وليرسلهم ليكرزوا ، ويكون لهم سلطان إخراج الشياطين ، وجعل الإثنى عشر وفرض على سمعان اسم بطرس » [الإصحاح ٣ الآيات من ١٣ — ١٦] ويرى البعض أن اختيارهم تم من غير سابقة إعلان إيمانهم .

هذا هو تحليل المعلقين وتحقيقاتهم لهذا الإنجيل ، ولأن هؤلاء المحققين من علماء المسيحيين فليس لنا بعد ذلك من تحليل أو تعليل ، اللهم إلا أن ندعو أتباع هذه الأناجيل إلى اعادة النظر فى هذه النصوص الإنجيلية المقدسة التى يكشف النقد العلمى البصير ما فى مضامينها من زيف وبطلان .



الفصل الرابع

لوقا والإنجيل

التعريف بالكاتب :

إن انجيل (لوقا) أحد الأناجيل المعتمدة رسميا لدى المسيحية ، أما كاتبه (لوقا) فقد اختلفت آراء الباحثين حول شخصيته، فبعضهم يرى أنه (كاتب حوليات) كما ذهب إلى ذلك كولمان ، وهو (روائى حقيقى) كما يرى الأب كانجسر، ذكر ذلك موريس بوكاى(١) .

وأغلب الباحثين على أنه ليس من اليهود ، ويتفقون على أنه من أهل أنطاكية ، كما أنه كان تلميذا لبولس الذى كان عدوا للنصارى قبل أن يصبح لهم رسولا ، وقد ورد هذا فى كثير من رسائله .

وقد رافق لوقا بولس فى كثير من رحلاته التبشيرية ، وأشار بولس إلى هذه الرفقة فى بعض رسائله، وخاصة فى رسالته الثانية إلى تلميذه (يتموثاوس) وفى رسالته إلى (فليمون) وفى رسالته إلى أهل (كولوسى).

ويتفق الجميع على أنه لم ير المسيح أصلا فى حياته على الأرض . أما عن مهنته فيقول ول ديورنت : «إن لوقا كان طبيبا ، وقيل مصوراً»(٢) .

---

(١) دراسة الكتب المقدسة ص ٨٧
(٢) قصة الحضارة ج٣ م ٣ ص ٢٠٩

زمن كتابته الإنجيل وسبب ذلك :

كتب لوقا إنجيله باللغة اليونانية الراقية التى تخلو من حواشى الألفاظ والكلمات ، فهو أديب وثنى ، آمن بالمسيحية ، وكتب إنجليه مابين عامى ٦٠ — ٧٠ ميلادية على أشهر الأقوال ، وإن كان بعضهم يعزوه إلى العقد الأخير من القرن الأول ، ومعلوم أنه كتبه كرسالة أو رسائل متتابعة إلى صديقه (ثاوفيلس) الذى قيل إنه عظيم مصرى ، وقيل إنه أحـد عظماء اليونان ، أو أحد علمائهم .

قال ابن البطريق : « وكتب لوقا إنجيله إلى رجل شريف من علماء الرومان يقال له ثاوفيلا ، والعرب يطلقون اسم الرومان على اليونان . ويمكن الجمع بين المذهبين إذا عرفنا أن مصر كانت ولاية رومانية ، آنذاك ، فلا مانع أن يكون رومانياً يونانيا ، وهو عظيم وأمير لمصر أيضا .

وقد نقل العلامة صاحب كتاب الفارق عن المحقق (لاردن) إن لوقا كتب إنجيله بعد ما حرر مرقس إنجيله ، وذلك بعد موت بطرس وبولس ثم تابع نقل آراء العلماء المسيحيين عند كلامه عن لوقا بما يؤكد عدم إلهامية هذا الإنجيل عن لوقا ، فليرجع إليه .

وأضيف هنا أيضا بأن كونه غير إلهامى يتبين بأدنى تأمل لمن يطالع افتتاحيته ، فهو يستعرض فى افتتاحية إنجيـله القصص والـكتابات التى كتبت وألفت عن المسيح ، وقال إنه سينشىء بدوره قصة منتقاة من بين القصص السائدة من حوله عن الأحداث التى خالطت حياة المسيح ودعوته ، وقد أضاف لوقا إلى ذلك المعلومات التى وردت إليه من مواعظ الحواريين ضمن نسيج روايته عن المسيح عليه السلام . وهاك إفتتاحية لوقا لإنجيله :

« إذا كان كثيرون قـد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا

كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن اكتب اليك أيها العزيز ثاوفليس لتعرف صحة الكلام الذى علمت به»(١) .

والإنجيل حسب نص القديس لوقا ،وهو النص الذى يعزى عند فريق من العلماء الى العقد الأخير من القرن الأول الميلادى، يعلن أنه يرغب فى تنسيق الروايات السابقة عن المسيح والتوفيق بينها ، وأنه يهدف الى هداية الكفرة لا اليهود .

وأكبر الظن أن لوقا نفسه كان من غير اليهود ، وأنه كان صديقا لبولس ، وهو مؤلف سفر أعمال الرسل ، وهو يقتبس كثيرا من كتابات (مرقس) كما يقتبس منها (متى) فإننا نجد فى إنجيل لوقا ثلاثمائة وخمسين آية تكاد أن تكون هى بنصها من إنجيل مرقس .

وفى انجيل متى كثير من الفقرات التى توجد فى لوقا ولا توجد فى إنجيل مرقس ، وتكاد أن تكون هى أيضا بنصها . ويبدو أن لوقا أخذها عن (متى) وأن (لوقا) و (متى) أخـــــذاها عن أصل مشترك لم نعثر عليه بعد(٢) .

كاد الأمر أن يكون مؤكدا لدى المحققين أن لوقا استعان بإنجيلى مرقس ومتى فى وضع إنجيله ، وينقل لنا العلامة المحقق موريس بوكاى عن الترجمه المسكونية فى تاريخية هذا الإنجيل فيقول :« فيبدو أن لوقا قد عايش حصار القدس وتدميرها تحت جيوش تيطس عام ٧٠ ميلادية . وعلى ذلك يكون هذا الإنجيل لاحقا على هذا التاريخ . ويحدد النقاد الحاليون

---

(١) لوقا ١ : ١ — ٣

(٢) قصة الحضارة جـ ٣ م ٣ ص ٢٠٩

غالبا تاريخ تحريره بما بين عامى ٧٠ — ٩٠ ميلادية ولكن هناك معلقون آخرون ينسبونه الى تاريخ أكثر قدما »(١) .

لمن كتب هذا الإنجيل :

ثبت لدى الباحثين أن لوقا ليس يهوديا ، ويؤكد ذلك نزعته الكتابية، فهو يرى أن كلمات المسيح ودعوته تشمل الكفرة من غير اليهود أيضا .

كما يحذف لوقا من روايته أكثر الروايات اليهودية المذكورة عند مرقس، ثم انه يجعل علاقة المسيح طيبة مع السامريين الذين يمقتهم اليهود ، مع أن متى قد كتب فى انجيله أن المسيح طلب من الحواريين أن يتجنبوا السامريين (إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا »(٢) .

وهذا من أوضح الأدلة — وهى كثيرة — على أن كتبة الأناجيل كانوا يضعون فى أناجيلهم على لسان المسيح ما يتناسب مع وجهات نظر طوائفهم التى ينتمون اليها ، وإذن فقد كانت هناك خصومات ومنازعات شخصية بين كتاب الأناجيل جعلت كلا منهم ينعطف فى كتابته الى وجهة نظر خاصة . ولدينا الدليل الكافى على ذلك اذا ما قارنا بين وجهة النظر فيما كتبه متى ووجهة النظر فيما كتبه لوقا .

وصفه للأحداث :

يتميز لوقا فى وصفه للأحداث التاريخية بصفتين هامتين يعترف بهما كثير من كتاب المسيحية ، والمعلقين فيهم :

الصفة الأولى : أنه دقيق جدا في وصفه للأمور المادية ، وهذا يرجع

---

(١) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص ٨٨

(٢) متى ١٠ : ٥

إلى أدبه الراقى حيث يكتب كما يذكر كانجسر : «لوقا هو أكثر كتاب الأناجيل الأربعة ارهافا فى الحس، وأكثرهم ميلا للأدب، انه يتمتع بكل صفات الكاتب الروائى الحقيقى»(١) .

أما الصفة الثانية : فهى كتابته المناقضة لأخويه السابقين : متى، ومرقس فى أهم أحداث التاريخ المسيحى التى فيها كتابته عن طفولة المسيح بما لا يتفق معه متى فيه قلبا وقالبا . كما لم يذكر مرقس عن هذه الحلقة التاريخية من حياة المسيح شيئا مع أهميتها فى التاريخ المسيحى .

ومما يناقض به الأناجيل الأخرى أيضا حديثه عن نسب المسيح وسلوكه به سلسلة تختلف كل الاختلاف عما جاء فى متى، وتتناقض معها كل التناقض مما سجله العلماء على اختلاف ميولهم واتجاهاتهم، ولم يجد لها محققوهم جوابا يسد ثغرتها حتى الآن .

كما يأخذ لوقا جانبا آخر مغايرا لمتى ومرقس فى تأسيس سر القربان المقدس(٢) (العشاء الربانى) ويحبذ أن يتوافق فى ذلك مع أستاذه بولس فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس(٣)، ويختلف تماما مع الإنجيلين السابقين، متى(٤)، ومرقس(٥) .

وإذا تحدث لوقا عن يوم صعود المسيح نجده يناقض حتى نفسه، فيذكر فى إنجيله أن المسيح صعد إلى السماء فى يوم الفصح، أى عقب موته مباشرة، بينما يذكر صعوده بعد أربعين يوما فى سفر أعمال الرسل الذى يتفق معظم الباحثين على أنه هو الذى كتبه، وان هذا لأمر يدعو إلى الدهشة، على أن هناك الكثير من الملاحظات والمؤاخذات مما لا يتسع المقام هنا لذكره .

---

(١) دراسة الكتب المقدسة ص ٨٩

(٢) أنظر لوقا ٢٢ : ٩ - ٢٤

(٣) أنظر الاصحاح ١١ : ٢٣ - ٢٥

(٤) إقرأ متى ٢٦ : ٢٦ - ٢٩

(٥) إقرأ مرقس ١٤ : ٢٢ - ٢٤

الفصل الخامس

يوحنا والإنجيل

التعريف بالكاتب :

إن الكثرة الغالبة من أهل الفرق والطوائف المسيحية تذهب إلى أن (يوحنا) صاحب الإنجيل الرابع فى الترتيب الرسمى هو أحد الحواريين الإثنى عشر، وقد جاء فى كتاب (تاريخ المسيحية فى مصر) إن يوحنا البشير ولد فى بيت صيدا من أعمال الجليل، وهو ابن زبدى الصياد، وأمه سالومى قريبة مريم أم المسيح، ويوحنا أخو يعقوب الكبير. والإثنان من السابقين إلى النصرانية، ويعد يوحنا من كبار دعاتها، وقد كان السيد المسيح يحبه حتى إنه استودعه والدته (مريم) وهو فوق الصليب.

وتذكر النصوص المسيحية أن المسيح نفسه قد بارك هذين الأخوين حينما قدمتهما اليه سالومى، فوضع أحدهما على فخذه الأيمن، والآخر على فخذه الأيسر وباركهما.

وفى أيام الاضطهادات الأولى نفاه القيصر (دومتيان) إلى جزيرة (بطمس) (من جزر بحر إيجه) ويقال إنه تلقى هناك مناظر الرؤيا، ثم عاد إلى (إفسس) ولبث فيها ليبشر حتى توفى شيخا[1]).

---

(١) لجنة التاريخ القبطى / خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر — الحلقة الثانية ص ٥٢

زمن كتابة إنجيل يوحنا وسبب ذلك :

كان يوحنا كأبيه صيادا ، وبينما كان يقوم بعمل الصيد هو وأخوه (يعقوب) على بحر الجليل إذ رأى من المسيح ما جعله وأخاه يتركان شباكهما وأباهما ويتبعانه .

وقد ألف إنجيله باللغة اليونانية ، وليست كتابته ترجمة ليسوع المسيح كما نهج الثلاثة الأولون ، وإنما هو عرض للمسيح من وجهة النظر اللاهوتية باعتباره (كلمة الله) وخالق العالم ، ومنقذ البشرية .

كما أن إنجيله يخالف بل يناقض الأناجيل الأخرى فى التفاصيل والصورة العامة التى يرسمها للمسيح، ومع ذلك فإن بعض المسيحيين من المحققين يشك فى كون يوحنا الإنجيلى من التلاميذ .

وينقل موريس بوكاى عن أحد المحققين قوله عن إنجيل يوحنا: «إنه عالم آخر ، والواقع أنه كتاب مختلف تماما ، فهو يختلف فى ترتيب وفى اختيار الموضوعات والروايات والخطب ،وبه اختلافات أسلوبية وجغرافية فى الآفاق اللاهوتية »(١).

وقد نقل صاحب كتاب (الفارق بين المخلوق والخالق) عن أحد الرهبان اليسوعيين أنه — أى يوحنا — صنف إنجيله فى آخر حياته نظرا لما كان هناك من طوائف تنكر لاهوت المسيح ، ويعلمون فى المسيحية أن المسيح ليس إلا إنسانا، وأنه لم يكن قبل أمه،فلذلك اجتمع عموم أساقفة آسيا وغيرهم عند يوحنا فى سنة ٩٦ ميلادية ، والتمسوا منه أن يكتب عن المسيح وينادى بالإنجيل مما لم يكتبه الإنجيليون الآخرون ، وأن يكتب

---

(١) دراسة الكتب المقدسة . ، ص ٩٠

بوجه خاص عن لاهوت المسيح ، فلم يسعه أن ينكر إجابة طلبتهم(١).
ونقل المحقق هذا عن صاحب مرشد الطالبين ما يؤكد ذلك فقال : « إنه لا يوجد اتفاق بين العلماء بضبط السنة التى كتب فيها يوحنا إنجيله ، فإن بعضهم يزعم أنه كتبه فى عام ٦٥ ميلادية قبل خراب أورشليم ، وآخرون ممن يوجد فيهم بعض الأقدمين يرون كتابته فى عام ٩٨ ميلادية ، وكان ذلك بعد رجوعه من المنفى ، فالمقصد بكتابته إبقاء بعض مسامرات المسيح الضروورية ذات التروى مما لم يذكره باقى الإنجيليين ، وإفنـــاء بعض هرطقات مفسدة أشهرها معلمون كذبة فى شأن ناسوت المسيح وموته ، وخاصة ترسيخ النصارى الأوائل فى الاعتقاد بحقانية لاهوت وناسوت ربهم وفاديهم ومخلصهم ، وقد قيل إن يوحنا لم يؤلف إنجيله إلا بعد صلاة عامة قلبية مع البيعة لأجل أن يوحيه الروح القدس بذلك »(٢).

وفى الوسع أن نفهم من هذا النص المنقول عن الراهب المذكور أن فكرة لاهوت المسيح ما فاحت رائحتها وتبلورت فكرتها إلا فى نهاية القرن الأول ، مما يدل على أن هذه الفكرة لم تكن معروفة فى الدين عند المسيحيين قبل ذلك ، أى فى الطبقة الأولى من المسيحيين إلى نهاية القرن الأول ، وأن هذه الطبقة كانت تنكر لاهوت المسيح ، وهم أعلم بحقيقة المسيح ، وأخباره ، وأحواله(٣).

ومن هنا يمكننا أن نفهم أيضا : لم لم يطرق الإنجيليون الثلاثة السابقون على يوحنا باب الكتابة عن لاهوت المسيح؟ إذ لو كانت معلومة لهم ، ومقررة فى الدين ولم يثبتوها فى أناجيلهم لكان ذلك ضلالا وإضلالا ، وانكارا

---

(١) عبد الرحمن باجه جى زاده (الفارق ...) ص ٣٤١
(٢) المرجع السابق ونفس الصفحة
(٣) السابق ص ٣٤١ ، ٣٤٢

لبعض الإلهام وخاصة فى هذه العقيدة التى هى أساس الدين ودعامته. وإنكار الإلهام يسقط العدالة، ويضيع الأمانة، كما أن الزيادة عليه شأنها كذلك. وتكون النتيجة هى عدم الوثوق فى إنجيل كتابته صدرت من غير عادل.

وحيث كانت كتابة إنجيل يوحنا بالالتماس من أساقفة آسيا، فهو إذن بإلهام الأساقفة لا بإلهام الروح القدس البتة، ونقول إن الروح القدس كان طوع كل فكرة تظهر حقا كانت أو باطلا، وإذا كانت فكرة لاهوت المسيح يوحى بها الروح القدس إلى يوحنا فلماذا بخل بهـــا على المبشرين الثلاثة: متى، ومرقس، ولوقا، إن الإجابة على ذلك متروكة لأولى النهى.

وتقرير آخر نلحظه عن الراهب المذكور هو أن الصيغة النهائية لهذا الإنجيل قد حررت فى نهاية القرن الأول تقريبا وعليه يكون بين تحريره ونهاية المسيح ما يقارب الخمس والستين سنة، ونضيف أن هذا يكاد أن يتفق عليه جميع المحققين. ونرى أن هذه فترة تفقد فيها الذاكرة وعيها حتى لا يعلم المرء من بعد علمه شيئا.

ومن وجهة نظر أخرى من حيث إسناد هذا الإنجيل إلى يوحنا نجد كثيرا من المحققين النصارى أنكروا كون هذا الإنجيل من وضع يوحنا الحوارى، ونسبوا تأليفه الى طالب من طلبة المدرسة الأسكندرانية، قيل إن اسمه (بروكاوس) ألفه فى أول القرن الثانى، وربما أسند تأليفه الى يوحنا التلميذ ليعتقد الناس صحته ويتناولونه ضمن الكتب المسيحية المقدسة ولعل مستند ذلك ما جاء فى دائرة المعارف الكبرى البريطانية تحت لفظ أناجيل: «أما إنجيل يوحنا فإنه لامرية ولاشك كتاب مزور أراد صاحبه مضادة حواريين لبعضهما وهما القديسان (يوحنا) و (متى) ولقد ادعى هذا الكاتب المزور فى متن الكتاب أنه هو الحوارى الذى يحبه المسيح،

فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحوارى ووضعت اسمه على الكتاب نصاً مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التى لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه ، وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ولو بأوهى رابطة ذلك الرجل الفلسفى الذى ألف هذا الكتاب فى الجيل الثانى بالحوارى يوحنا الصياد الجليلى ، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى لخبطهم على غير هدى)[١] .

ويقول المحقق الفرنسى موريس بوكارى : إنه من العسير حقاً التأكيد بأن يوحنا هو كاتب الإنجيل الذى يحمل اسمه . . . على حين لا تتمسك غالبية المعلقين بالفرض القائل بأنه هو الذى حرر الإنجيل الرابع »[٢] .

وعلى هذا فجمهور الناقدين يعزون تأليف هذا الإنجيل إلى عناصر أخرى بعيدة عن يوحنا الحوارى .

يقول ول ديورانت فى شىء من التحفظ :

« إن ما يصطبغ به إنجيل يوحنا من نزعة قريبة من نزعة القائلين بأن الخلاص لا يكون بالإيمان بل بالمعرفة وما فيه من تأكيد للآراء الميتافيزيقية قد جعل الكثير من الباحثين فى الدين المسيحى يشكون فى صدق القول بأن واضعه هو الرسول يوحنا . وتنزع الدراسات الحديثة إلى تحديد تاريخ الإنجيل الرابع ليوحنا بأواخر القرن الأول »[٣] .

---

(١) المرجع السابق ص ٣٤٢
(٢) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص ٧٦
(٣) قصة الحضارة ج ٣ م ٣ ص ٢٠٩، ٢١٠

على أن هناك نبأ خطيرا تسوقه لجنة التاريخ القبطى فى كتابها خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر الحلقة الثانية إذ تقول :

« قيل إن يوحنا البشير قد اختلط فى آخر حياته حتى أصبح لا يعرف شيئاً عن دعوة المسيح حتى مله الناس وكرهوا قوله، وكان فى آخر أيامه قد ضعف حتى عجز عن الوعظ فلم يجد مايقوله لسامعيه إلا «ليحب بعضكم بعضاً» ولما أظهر بعض المؤمنين مللهم من تكرار هذه العبارة قال لهم : «إن هذه هى وصية الرب العظيم إذا أتممناها فقد أتممنا كل الوصايا» [١].

وعبارة هذا الكتاب تعطينا على الأقل دليلا على عدم ضبط التأليف لهذا الإنجيل إذا افترضنا أن واضعه هو يوحنا الحوارى، حيث قد وضعه فى هذه النهاية المختلطة من عمره، ومعلوم أنه عاش حتى نهاية القرن الأول، وقد بلغ من العمر أرذله، فقد عمر طويلا حتى قال الناس إنه مخلد . ومعلوم لدى جميع الناقدين أنه ما وضع إنجيله إلا فى آخر حياته، كما أن وضعه للإنجيل على هذه الحال يقلل من أهميته .

وأياما كان مما حيك حول هذا الإنجيل من آراء وتحليلات فى نسبته إلى صاحبه، على فرض أن واضعه هو يوحنا الحوارى فإنه لا يغيب عن فكرنا أنه كان قد تعمق فى آخر حياته فى الفلسفة الهيلينية وتشبع بالنزعة الميتافيزيقية التى تعلمها فى منفاه، وبعد منفاه فى البلاد والمدن الأيونية والتى هى مشحونة بتيار الفلسفة اليونانية والتصوف اليونانى، مع ترجيح نسيانه كثيرا من ذكرياته عن المسيح لطول العهد به .

هذا ويكاد يجمع المسيحيون على أن ليوحنا فضلا عن الإنجيل الرابع رسائل ثلاثة .

---

(١) لجنة التاريخ القبطى / خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر ص ٥٤

أما سفر الرؤيا فيتأرجح قول الباحثين فيه بين نسبته إلى يوحنا آخر يدعى اللاهوتى وبين يوحنا الإنجيلى الحوارى ، وأياما كان فإن هذا التردد يرجح الشك فى نسبة سفر الرؤيا إليه، وعلى كل فإن الرسائل الثلاثة وسفر الرؤيا قد تضمنهم العهد الجديد .

* * *

خلاصة واستنتاج :

عرضنا فيما تقدم حديثاً عن تاريخية الأناجيل الأربعة المعتمدة ومقدار صلتها بأصحابها ، وتبين أن متى الحوارى تكاد الصلة تنقطع بينه وبين الإنجيل الحالى المسمى باسمه ، حيث قد دخلت شخصية مترجمه المجهول الهوية من العبرية إلى اليونانية ولم يكن فى الإمكان التحقق على وجه اليقين ما إذا كان المترجم قد أضاف جديدا إلى ترجمته أو أدخل فيه شيئا من الحواشى والتفسيرات ، أو ما إذا كان أميناً دقيقا بصيراً فى قيامه بالترجمة . فإن الجهالة بمترجمه تؤدى بالضرورة إلى الجهالة بجميع صفات الدقة والأمانة الواجب توافرها فى مترجم لأول كتاب مقدس فى الديانة المسيحية وعهدها الجديد .
ثم فى فقدان الأصل العبرى قبل ظهور الترجمة مع إخفاء اسم المترجم يدعو إلى شكوك وتساؤلات كثيرة ، كما ينقص كثيرا من وزن ذلك الإنجيل إذا ما وضع فى ميزان تقويم الكتب ذات المصدر السماوى ،زد على هذا ما انتهت إليه آراء المحققين من ترجيح كونه من عمل أحد أتباع متى كما سبق بيانه .

أما إنجيل مرقس : فقد تقرر فيما سبق أنه ليس من الحواريين ، وأنه كتب إنجيله عن معلمه بطرس ، واعتماده فى النقل أيضا على إنجيل متى المعبر عنه بـ (الكلمات) فى رأى مرجوح ذهب إليه ولديورانت ، على أننا نميل إلى أسبقيته زماناً على إنجيل متى .

أما إنجيل لوقا: فلم يتعد أن يكون رسالة أو عدة رسائل أخذ يسرد لوقا فيها وقائع الأحداث التى علمها ممن سبقه، وتناقلها من عايشه، مستخلصة من حقائق مخلوطة ليست أسانيدها معلومة أو محققة وتحتاج فى استخلاصهـــا إلى ضوابط النقل والسند مع فقدان تلك الضوابط .

هذا فضلا عن كون (لوقا) ليس من الحواريين أو التلاميذ مع بعد الديار بين مولد لوقا وإقامته عن محيط الرسالة المسيحية والبلاد التى بث فيها المسيح دعوته، مع كونه فى الوقت نفسه تلميذا لبولس الذى بلغ من المهارة الفائقة فى احتواء فكره لخلاصة الثقافات والآداب المختلطة المتضادة شأوا كثيراً .

أما إنجيل يوحنا: فقد تبين لنا حاله، والشك فى كون الإنجيل من وضعه، مما قد تبين لنا من الشواهد المذكورة عن الحديث عنه ، فإن غالبية المتخصصين لا يعتبرون أن يوحنا الحوارى هو مؤلف الإنجيل الرابع ، مع ميلنا إلى أنه من وضعه فى أخريات حياته المتشعبة بالفلسفة والفكر الهيليني .

وأخيرا فإن حوارى المسيح كانوا لا يفهمون كلامه فى كثير من الأحيان إلا بأمثال ، بل كانوا لا يستوعبون الأمثال فى كثير من الأحيان إلا بعد أن يسألوه عن تفسيرها كما هو مذكور من إصحاحات الأناجيل .

فإذا أخذنا كل هذا وغيره فى اعتبارنا علمنا علم اليقين أن هذه الأناجيل الأربعة بعيدة كل البعد عن أن تكون إلهاما بوحى من الروح القدس وليس بينها وبين السماء أدنى صلة ، وتكون النتيجة بعد كل ذلك هى أن هذه الأناجيل لا تتصل بإنجيل المسيح إلا بخيط هو أوهى من خيط العنكبوت ، وأنها لذلك ليست على شىء كما أشار القرآن الكريم بذلك .

وإن ما وصلنا إليه من استنتاج فى هذا التحقيق التاريخى للأناجيل الأربعة لهو ما يوافقنا عليه المحققون المسيحيون ، فهذا بوكاى يتساءل قائلا وإذا كان من العسير اعتبار هذه الأناجيل الأربعة (كمذكرات) لوسل أو رفاق المسيح فما هو أصلها إذن ؟

ويجيب كولمان فى كتابه «العهد الجديد» (ان المبشرين لم يكونوا الا متحدثين باسم الجماعة المسيحية الأولى التى ثبتت التراث الشفهى ، فقد بقى الإنجيل طيلة ثلاثين أو أربعين سنة فى شكله الشفهى فقط..ولكن التراث الشفهى قد نقل أساساً أقوالا وروايات منعزلة ، وقد نسج المبشرون — كل على طريقته وبحسب شخصيته الخاصة واهتماماته اللاهوتية الخاصة — الروابط بين هذه الروايات والأقوال التى تلقوها من التراث السائد . . . وبالاختصار فإن الإطار الذى وضعت فيه الأناجيل المتوافقة كله أدبى الطابع وليس له أساس تاريخى »(٢) .



(١) أى أناجيل متى ، مرقس ، لوقا .
(٢) انظر دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص٧٦، ٧٧

الفصل السادس

فى مضامين(1) الأناجيل الرسمية وموقف القرآن منها

يتفق المحققون بوجه عام على أن مضامين الأناجيل الأربعة ، تدور كلها حول موضوعات ذات أغراض واحدة .

يقول ول ديورانت : « أناجيل متى ، ومرقس ، ولوقا ، يمكن الإحاطة بها بنظرة واحدة . ذلك فإن محتوياتها وحوادثها يمكن ترتيبها فى أعمدة متوازنة والنظر إليها مجتمعة . وقد كتبت كلها باللغة اليونانية الدارجة»(2) .

وإن أهم ما تشتمل عليه الأناجيل الأربعة القانونية يرجع إلى أربعة موضوعات هى :

القصص ، والعقيدة ، والشريعة ، والأخلاق .

وهذه هى المقاصد الأساسية لهذه الأناجيل وستكون نظرتنا إليها فى هذا الفصل على وجه الإجمال مجتمعة :

١ — أما القصص فيستوعب أكبر قدر مما يحتويه كل واحد من هذه الأناجيل ، وهى فى جملتها تعرض لقصة مريم البتول وحملها بالمسيح ، وولادته وتتغافى عن فترة نشأته ، وتقفز إلى ذكر دعوته إلى دينه ، واختياره للحواريين والتلاميذ ، ثم صلبه وقيامته من الموت بعد صلبه ، ثم رفعه إلى السماء :

---

(1) جاء فى المعجم الوسيط مادة (ضمن) أن (المضامين جمع مضمون » ومعناه : المحتوى . ومنه مضمون الكتاب : أى ما فى باطنه . ومضمون الكلام : فحواه وما يفهم منه .

(2) قصة الحضارة ج ٣م٣ ص ٢٠٧

فتذكر هذه الأناجيل أن مريم كانت مخطوبة ليوسف النجار ، وأنها حملت بالمسيح من غير أن يقربها يوسف النجار ، ولما خالجه الشك فى أمرها وأراد أن يفارقها بعث الله إليه ملكا فأمره بأن يمسك عليه مخطوبته وأخبره بأنها حملت من الروح القدس ، وأنها ستلد غلاماً زكيا ، وأن هذا الغلام سيكون مخلصا لشعبه من خطاياه ثم طلب إليه من أجل ذلك أن يسميه المسيح — أى المخلص وأنه يمسح خطاياهم — وفى أثناء الحمل به وولادته وطفولته ظهرت إرهاصات وخوارق كثيرة تنبىء عن عظمته وقدسيته وتشير إلى ظهور دينه الجديد ، وأن من هذه الإرهاصات ظهور يوحنا المعمدان المعروف فى الإسلام باسم (يحيى) بن زكريا عليهما الصلاة والسلام .

وأن المعمدان قد بشر بظهور المسيح ثم عمل على تهيئة عقول اليهود لتلقى رسالته ، وحثهم على التوبة مما أقترفوه من المعاصى والأقلاع عما كانوا قد انحدروا إليه من زيغ فى العقيدة وجمود فى الدين ، وكان مظهر ذلك غسل أجسادهم فى مياه نهر الاردن ، رمزا إلى تخليصهم مما كان قد علق بقلوبهم وأفئدتهم من أدران الإلحاد فى الدين والمروق عن الشريعة ، وغسل الجسد بالمـــاء هو ما يسمى فى المسيحية بالتعميد على أن يكون بمعرفة القسيس .

ولما بلغ المسيح أشده أقبل على يوحنا ليعمده فى مياه نهر الأردن كغيره من المؤمنين ، فأحجم يوحنا عن ذلك فى أول الأمر ، مبينا أنه لاينبغى أن يعمد من هو أعظم منه ، وأكبر فى القدر والمنزلة ، بل إن مثله فى حاجة لأن يعمده المسيح ثم عاد فأذعن للأمر تحت إلحاح المسيح ورغبته .

وحينما بلغ المسيح من العمر ثلاثين سنة بدأ يصدع بالدعوة إلى دينه ، وأعقب ذلك ظهور المعجزات على يديه ، وهى متنوعـــة فى ظواهرها متوحدة فى أهدافها .

ولكن المسيح لم يسلم من ضروب الأذى والتحدى والعنت من اليهود والرومان على سواء . واختار لنشر دعوته عددا من المؤمنين بدعوته ، بعضهم الحواريون وآخرون تلاميذ له ، وأخيرا أعدت له مؤمرة محكمة من طائفة الفريسيين من قومه اليهود ، وآزرهم حكام الرومان ، وساعدهم العامة من الشعب ، وكان محور التحرى والدلالة عليه لتنفيذ المؤمرة هو يهوذا الإسخريوطى الذى كان أحد الحواريين ثم خان عهده بالمسيح فى مقابلة ثلاثين قطعة من نقد الفضة ، وانتهت المؤامرة بالقبض عليه والحكم بإعدامه صلبا ، فصلب ودفن بعد أن عاش ثلاثا وثلاثين سنة ونيف ، ثم أقاموا على قبره حراسا يحرسون جثتهمن أن يخطفها أنصاره وأتباعه ، ويدعون أنه قام من الموت وعاد إلى الحياة تصديقا لما زعموا أنه أخبر بذلك قبل صلبه ، ويواصل القصص الإنجيلى قصصه فيقول بأن المسيح قام من قبره بعد ثلاثة أيام من دفنه . — وكان ذلك فى صبيحة يوم الأحد وقد سمى عندهم بعيد القيامة ويحتفلون به كل عام — .

وبعد قيامته من الموت مكث مع الحورايين والتلاميذ والأتباع أربعين يوما يجتمع بهم ويعلمهم ويعظهم ثم رفع إلى السماء وجلس عن يمين أبيه فى الأعالى :

٢ — أما ما تشتمل عليه هذه الأناجيل من عقائد فإنها تدور كلها حول المسيح من حيث :

(ا) بنوته للآب ، وما دامت الأناجيل قد سمحت لنفسها أن تنعت المسيح بالنبوة الحقيقية لله الذى يسمونه الآب فإنه بالتالى يكون إلها كما يزعمون .

(ب) كما تقرر الأناجيل أن المسيح قد قبض عليه وسيق إلى الصليب

وصلب ليكفر بصلبه الخطيئة الأزلية المزعومة ، وهى خطيئة آدم التى ارتكبها حين عصى ربه وأكل من الشجرة المحرمة، فيزعمون أنها انتقلت بطريق الوراثة إلى جميع نسل آدم — عليه السلام — فهى خطيئة ذاتية ملازمة للإنسان كل إنسان إلى يوم بعثه ولامنجى له منها إلا بفدية المسيح للجميع بصلبه على صليب ، لكن النجاة من هـذه الخطيئة المتوراثة واستحقاق الملكوت مشروط بالإيمان بفكرة الفداء هذه .

(حـ) أن المسيح قد قام من قبره بعد صلبه بثلاثة أيام وأنه مكث مع أتباعه مدة أربعين يوما ثم صعد إلى السماء حيث قد جلس على يمين أبيه يصرف شئون العالم وليتولى بنفسه محاسبة الخلائق يوم القيامة على الأعمال فى الدنيا ، إن عمل الإنسان خـيرا فجزاؤه الخير وإن شرا فجزاؤه الشر .

ولا يفوتنا فى هـذا الجانب أن ننوه بأن إنجيل يوحنا — الإنجيل الرابع - هو أخلص الأناجيل الأربعة وأصرحها فى تقرير ألوهية المسيح عن قصد وإصرار .

٣ — أما ما يتعلق بتعاليم الشريعة فى هذه الأناجيل فإنها قد صرحت بأنها أقرت شريعة اليهود فى التوراة (١) إلا ما ورد بشأنه نسخ أو تعديل مأثور عن المسيح وسجلته الأناجيل ولكن هذه المأثورات قليلة جدا ، ومعظمها مقتبس من موعظة الجبل المعزوة إلى المسيح ، ومن حديثها أنه جلس على قمة جبل وخطب فى جمهور كبير من الناس فيهم حواريون وتلاميذ ، وقد استغرقت وصاياه فى موعظته هذه الإصحاح الخامس والسادس والسابع من إنجيل متى ، ومن تعاليمها فى قضايا الأحوال الشخصية أنه إذا كان موسى قد أباح الطلاق لقساوة قلوبهم فإن المسيح ينسبون إليه « أن من

---

(١) أنظر إنجيل متى ٥ : ١٧

يفارق امرأته إلا لعلة الزنا يجعلها تزنى ، وأن من يتزوج مطلقة يزنى » وأن « من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزنى بها ، وإذا فارقت المرأة زوجها وتزوجت بآخر ارتكبت بذلك جريمة الزنا » ويقولون إنه علل لذلك بقوله: « إن الزوجين بعد زواجهما يصبحان جسدا واحدا فلا يعودان بعد اثنين فالذي جمعه الله لا يصح أن يفرقه الإنسان » .

وفى القصاص عزوا إليه القول بأنه إذا تقرر فى التوراة أن العين بالعين والسن بالسن فأنا — يدون المسيح — أقول إنه لا ينبغى أن تقاوموا من يتصدى لكم بالأذى ، وأنه إذا صفعك أحد على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر وإذا نازعك أحد إزارك فاترك له الرداء كذلك .

ويحكى إنجيل يوحنا أن مجموعة من فقهاء الشريعة الفريسيين جاؤه بامرأة قبض عليها بجريمة الزنا وذكروه بأن موسى قد قررت شريعته رجم الزانى ثم طلبوا منه الحكم فى ذلك ليجربوه ويمتحنوه لعله يزل فيحكم بغير ما أنزل الله، فتكون فرصتهم التى طالما حلموا بها لينتقموا منه ويوقعوه فى محاكمة قاضية عليه وعلى دعوته ، وظلوا يكررون السؤال عليه وهو مطرق فى الأرض يخط فيها بيده ، ثم رفع رأسه إليهم وخاطبهم بقوله : من منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر » ثم أطرق رأسه الى الأرض مرة ثانية وقد أخذ بعضهم ينظر وجوه بعض ، ثم تسللوا واحدا بعد واحد حتى انصرفوا جميعا ، لأن أحدا منهم لم يكن مبرأ من الخطيئة ، ولما أعاد المسيح رفع بصره لم يجد أحدا سوى المرأة ، فقال لها هل أدانك أحد ؟ قالت : لا ياسيدى فقال : وأنا لا أدينك ، أذهبي ولا تخطئى (١)

ويستفاد من هذا الموقف إلغاء حد الزنى ، والاكتفاء بالتوبة ، وأخذ

---

(١) راجع هذه القضية فى يوحنا ٨ : — ١١

العهد بعدم العودة إليه ثانية ، هذا ، وبشيء من التأمل فيما سبق من نصوص الشريعة لا يدل على ما ستنبطوه منه على وجه اليقين ولكنه استنتاج احتمالي ينبيء عن مراعاة الرحمة إذا وجب العدل ، وأن العفو والإحسان أقرب إلى التقوى من العقوبة والقصاص .

٤ — أما فيما يتعلق بالجانب الأخلاقي من الأناجيل فنراها تغرق في المثالية إلى الحد الفائق عن حد الاحتمال البشري ، وتصل في تقريره إلى حد يقرب إلى الوجوب رغم الثقل من تحمله .

ومن ذلك حمل الناس على نوع من العفو والتسامح فيما بينهم وجعل ذلك شريعة عامة وأساسا من أسس الدين كما جاء في موعظة الجبل: «لا ينبغي أن تقاوموا الشر بالشر ولكن من لطمك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر، ومن سخرك ميلا فسر معه اثنين ومن نازعك الإزار فاترك له الرداء» .

وكما جاء أيضا : « قد كان يقال لكم (أي فيما جاء في التوراة) أحبوا شعبكم وابغضوا أعداءكم وأما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم باركوا لاعنوكم وصلوا من أجل الذين يسيئون إليكم » (١)

فهل ترى بشرا لديه من قوة التحمل ما يجعله يسلم خده الأيسر بعد الضرب على خده الأيمن وهو يبتسم في بهجة وسرور لأنه بذلك يشعر بأنه يرضي المسيح الرب ؟

هذا، وتتفق الأناجيل الأربعة بوجه عام في جوهر في القصص والعقيدة والتشريع والأخلاق على الطريقة التي بيناها ، إلا أن الانجيل الرابع — إنجيل يوحنا — يتميز عن الثلاثة السابقة عليه بالعمق الفلسفي الموغل في لاهوتية المسيح حين يتحدث عن الجانب العقدي ، مركزا على إثبات بنوة المسيح للآب، سالكا في ذلك طريقا وعرا ومدافعا عن ذلك ضد من ذهب إلى غير ذلك .

---

(١) راجع متى ٥ : ٣٨ — ٤٥

موقف القرآن من مضامين الأناجيل ومقاصدها

لقد تبين لنا مما سبق أن هذه الأناجيل لاتعدو أن تكون أسفارا كتبت بأقلام البشر بعد رفع المسيح — عليه السلام — بأربعين سنة على أقل تقدير باستثناء الإنجيل الرابع (إنجيل يوحنا) فإنه كتب قبيل نهاية القرن الأول الميلادى كما هو المشهور لدى المحققين ، وأيا ما كان الأمر فى تاريخية الأناجيل فإنها لم تتفق فى مضامينها على قضية واحدة حتى فيما روته عن قصة حياة المسيح ورسالته ونهايته وجميع ملابساته مما سيأتى بيانه فى الفصل التالى . وإليك موقف القرآن الكريم من هذه المضامين :

إن مسيح القرآن: هو غير المسيح الذى تحدثت عنه الأناجيل ، فالمسيح فى القرآن إنسان من البشر اصطفاه الله سبحانه وتعالى كما اصطفى غيره من سائر الرسل ، إلا أنه يختلف عنهم وعن سائر البشر فى أمر ولادته والحمل به ، فقد ولد من أم بلا أب ، لحكمة أراد ها رب العباد ، وهذا أمر ليس بالمستبعد على المشيئة العليا الطليقة من كل قانون ومن كل قيد من قيود الكون وقوانينه .

وإذا كان ابن مريم قد ولد من غير أب فإن آدم أبو البشر قد ولد من غير أب ولا أم بقدرة الله الغالبة التى خلقت عيسى عليه السلام « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون »(١) .

والله سبحانه وتعالى يقول : « إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون »(٢) .

---

(١) سورة آل عمران ٥٩ .

(٢) سورة ياسين ٨٢ .

وإذا كانت القدرة الإلهية العظمى تقدر على خلق إنسان من غير أب وأم فإنها تكون أقدر على خلق إنسان من أم من غير أب ، بل ذلك يكون أهون — ولله المثل الأعلى .

أما مسيح الأناجيل : فإنها تصوره تصورا غريبا، فقد خرجوا به عن حد المألوف لطبيعة البشر ، ذلك لأنها تصوره إلها، وابنا للإله المثلث الأقانيم، وأنه: كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان .

والمسيح المذكور فى القرآن : رسالته إلى بنى اسرائيل خاصة ، أرسله الله كسائر رسله لإنقاذهم مما غرقوا فيه من كفر وضلال وانحراف عن شريعة الحق سبحانه وتعالى ، قال تعالى : « ورسولا إلى بنى اسرائيل »(١) « ما المسيح ابن مريم إلا رسول قدخلت من قبله »(٢) .

علما بأن الإنجيل نص على ذلك أيضا ، ولكن أتباع الإنجيل خالفوا ذلك وألحقوا به نصا يخرج بالرسالة من الخصوصية لبنى اسرائيل إلى عموميتها .

ومسيح القرآن لم يقتل ولم يصلب ولكنه شبه لهم،قال عز وجل: «وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم وماقتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم،وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وماقتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما »(٣) .

أما مسيح الأناجيل : فإنه قتل وصلب ومات على الصليب ودفن وقبر .

---

(١) آل عمران ٤٩ .

(٢) المائدة ٧٥ .

(٣) سورة النساء ١٥٧ ، ١٥٨ .

إن القرآن لم يربط بأوهى رباط بين المسيح وخطيئة آدم ، فإن آدم عليه السلام قد أخطأ ، ولكن الله الرحيم قد ندبه إلى التوبة فتاب وأناب واهتدى ولم تسر خطيئته إلى أحد من ذريته « ألا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى »(١) فلا تتحمل نفس وزر نفس أخرى . « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم »(٢) ، وقال تعالى : « وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى »(٣) فليست هناك خطيئة متوارثة كما يزعم أتباع الإنجيل .

أما فى الأناجيل : فإنها تذكر أن من أهم الأغراض التى ظهر المسيح من أجلها أنه ابن الله الذى نزل من عند أبيه ، وتجسد ، وقتل مصلوبا ليكفر بدمه الخطيئة التى ارتكبها آدم والتى انتقلت بطريق الوراثة إلى جميع نسله فحقق بذلك أهم غرض ظهر من أجله .

والقرآن الكريم ينقض هذه المزاعم كلها ، فيذكر أن الدين الذى جاء المسيح به دين يدعو إلى توحيد الله عز وجل ، وعبادته وحده دون سواه ، فيقول الله تعالى فى كتابه العزيز على لسان المسيح مجيبا على سؤال ربه له « ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد »(٤) .

---

(١) سورة النجم ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) سورة البقرة ٣٧ .

(٣) سورة طه ١٢١ ، ١٢٢ .

(٤) سورة المائدة ١١٧ .

وفى الأناجيل شرك صريح يقوم على اعتقاد أن الله ثلاثة ، أب وابن وروح قدس ، وأن المسيح يمثل الإله الإبن كما تقرر سابقا .

والقرآن الكريم : أثبت تحريفهم للكتاب المنزل على نبى الله عيسى — عليه السلام — وتبديله بأسفار زعموا إسناد أقوالها إلى المسيح ، قال الله تعالى : « ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به »(١) .

وقد رد القرآن عليهم فيما ادعوه من بنوة المسيح لله والآهيته فقال تعالى : « وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون إتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون »(٢) .

وقوله : « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ، لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد ، وإن لم ينتهوا كما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم . ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام »(٣) وأكل الطعام يستوجب الاحتياج ، ويستحيل على الإله أن يحتاج إلى ما يقوم به وجوده وحياته . فضلا عما يستلزمه من إخراج لفضلات الطعام .

---

(١) المائدة ١٤ .

(٢) سورة التوبة ٣٠ ، ٣١ .

(٣) سورة المائدة ٧١ ، ٧٥

ويقول الله تعالى فى بيان حقيقة إيجاد عيسى وخلقه وما أحدثه قومه من المغالاة فيه : « ياأهــل الكتاب لاتغلوا فى دينكم ولاتقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورسوله ولاتقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لـكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولدله مافى السموات ومافى الأرض وكفى بالله وكيلا »(١) .

وقال عز وجل : « وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له مافى السموات والأرض كل له قانتون » (٢) .

وقال سبحانه : « وقال اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا) (٣) .

وفى الوعيد الشديد للمبدلين للكتاب وإسناد مابدلوه وكتبوه بأيديهم إلى الله سبحانه يقول عز وجل : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عندالله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون »(٤) .

أما فى مجال الشريعة فإن القرآن يذكر بأن عيسى — عليه السلام — جاء مصدقا لما بين يديه من التوراة ومقررا لها مع إضافة المنهج الأخلاقى

---

(١) سورة النساء ٧١

(٢) سورة البقرة ١١٦

(٣) سورة مريم ٩٣٨٨

(٤) سورة البقرة ٧٩

المتسامى الذى جاء به الإنجيل، ومن غير شك قد تضمن ذلك صلاح بنى إسرائيل فى الدنيا والآخرة، وقضايا الأمور الخاصة والأمور الإجتماعية، وبيان ما يحل وما يحرم، مع تعديل مايلزم تعديله من الشريعة الموسوية، ورفع الحرج والعنت عنهم، وتحقيق الأمن والاستقرار والسلم والسلام.

أما الأناجيل فإنها تتضمن من الأحكام ما فيه عنت البشر وحرجهم وإهمال شئون الإجتماع والإنحراف عن شريعة التوراة التى التزم بها عيسى بأمر الله تعالى، وقررت هذه الأناجيل مبادىء ما أنزل الله بها من سلطان كانت نتائجها التضييق على البشر.

ومثال ذلك تحريم الطلاق وكذلك تحريم الزواج على الزوجين إذا فرق بينهما بسبب الزنا، ومثل إلغاء حد الزنا مما يشيع الفجور والفسوق فى المجتمع، ومثل إلغاء القصاص وعدم إقامة الحدود بوجه عام، والتسامح المفضى إلى إهدار كرامة الإنسان.

أما القرآن وموقفه من مثل هذه القضايا فهو الحزم والحسم الذى يصلح الفرد كما يصلح المجتمع على السواء، آخذا بمجامع الأطراف لهذه القضايا، فهو يقرر الرحمة إذا وجب العدل، والعفو يستحبه إذا ثبت العقاب «وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسو الفضل بينكم» (١).

ولكن هذا العفو ليس على إطلاقه، فإن الإسلام قرر القصاص أمراً محكما وأمر أن تكون المقابلة فيه بالمثل حتى يحيط أرواح الناس وأموالهم وأعراضهم بسياج من الحماية والأمان والإستقرار لئلا يستهين الإنسان بحقوق الآخرين وقرر الوعيد الشديد لمن تعدى حدود الله تعالى.

---

(١) سورة البقرة ٢٣٧

قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر و العبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ، ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون »(١).

« وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » (٢) .

« وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ، ولمن انتصر من بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور » (٣) .

ويقول سبحانه : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم » (٤) .

ويقول الرسول الكريم ﷺ : « أتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » .

وفى مجال العفو والتسامح بين البشر ينهج الإنجيل الحالى نهجا لا يمكن للنفوس أن تتحمله لأنه ليس من وضع الحكيم سبحانه ، إذ تقرر هذه

---

(١) سورة البقرة ١٧٨/١٧٩

(٢) سورة النحل ١٢٦

(٣) سورة الشورى ٤٠ ، ٤٣

(٤) سورة فصلت ٣٤ ، ٣٥

الأناجيل وجوب التسامح على جميع الناس، وتجعل العفو فرضا على الأفراد ولو لحقهم بالغ الضرر والأذى ، إذ تقول « سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا ومن سخرك ميلا فاذهب معه اثنين »(١) .

وهذا من غير شك مثل أعلى فى الأخلاق الكريمة ، ومن تمثل بذلك فهو ذو حظ عظيم ، كما يقول القرآن الكريم ، ولكن هل يصح أن يكون قانونا واجبا وجوبا حتميا على جميع الأفراد ؟ وهل يمكن أن يطيق أحد هذا المبدأ فى بنى الإنسان ؟ جل ربنا سبحانه عن أن يكلف أحدا من خلقه بما لا يطيقه .

ولا يفوتنا أن نختم الحديث فى هذه الفقرة بعمل موازنة بين القرآن الكريم والأناجيل بشأن مسلك الحواريين فى العقيدة .

فالقرآن يذكر أنهم كانوا أنصار الله والداعين إلى ما دعا إليه المسيح من توحيد الله وعبادته وحده دون شريك أو ولد ، فقال عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله »(٢) .

وفى الوقت نفسه تنسب الأناجيل الحالية إلى بعض حوارى المسيح وتلامذته الغدر والخيانة مع اشتمالها على تقرير عقيدة التثليث التى يستنبطونها منها ، كما تشتمل صراحة على القول بألوهية المسيح ونسبة الوالد إلى الله عز وجل .

---

(١) متى ٥ : ٣٨ — ٤١ .
(٢) آخر سورة الصف .

يقول الدكتور على وافى : « فإما أن يكون الأشخاص الذين تنسب إليهم هذه الأناجيل هم غير الحوارين والأنصار الذين يحدثنا عنهم القرآن، وإما أن يكونوا هم الذين يحدثنا عنهم القرآن ويذكر أنهم أنصار الله والدعاة إلى توحيده وتكون هذه الكتب من تأليف أناس آخرين ونسبت إليهم زورا وبهتانا . بل إن جماعة العلماء الذين أشرفوا على تحرير المسائل المسيحية فى دائرة المعارف الفرنسية المعروفة باسم « لاروس القرن العشرين » ليذهبون إلى أن التحقيق العلمى والتاريخى يؤيد أن هذه الأناجيل قد كتبها أناس غير الحواريين والتلاميذ والتابعين الذين تنسب إليهم »(١) .



(١) على وافى ، الأسفار المقدسة ص٨٠ طبع ١٣٨٤ مكتبة نهضة مصر — القاهرة .

الفصل السابع

تناقض الأناجيل مع التسلسل التاريخي والموضوعي

قال تعالى [ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا] النساء ٨٢

فى إمكاننا أن نقرر بنظرة إجمالية أن الأناجيل الأربعة يمكن التقاؤها فى الخطوط العريضة فى جوهر مضامينها كما تبين من الفصل السابق إلا أنها تختلف فيما بينها فى الجملة والتفاصيل فى تسلسل أحداثها وتباين الكثير من موضوعاتها ومفاهيمها .

فلو أن الأناجيل المعتمدة كانت قد اختلفت ألفاظها وعباراتها ثم اتفقت اتفاقا متطابقا فيما يذكر وفيما يترك، وفيما يجمل وفيما يفصل من موضوعاتها ومحتوياتها لما كان لهذا الاختلاف كبير أثر فى هذا المقام ، إذ يمكن القول بأن الأناجيل الأربعة ترجمات مختلفة للإنجيل الأصلى ، وأن مافيها من خلافات فى الشكل من عمل المترجمين ، وأنها من هذه الجهة مقبولة حيث تلتقى على مفهوم واحد ، وبهذا يمكن عدها إنجيلا واحدا.

ولكن الأمر على غير هذا ، فبين الأناجيل الأربعة خلافات كثيرة فى المضمون والمفهوم ، الأمر الذى لا يستقيم معه أن تكون مستقاة من مصدر واحد ، أو أن يجمع بعضها إلى بعض فتكون إنجيلا واحدا .

فالخلاف بين الأناجيل الأربعة خلاف بعيد يجعل لكل واحد منها ذاتية مستقلة .

وهذا ماحمل المجمع الدينى الذى وكل إليه أمر النظر فى الإنجيل أن يبقى على الأناجيل الأربعة بعد أن ألغى عشرات الأناجيل الأخرى التى كانت عاملة فى المجتمع المسيحى .

ولو كان من الممكن التوفيق بين الأناجيل الأربعة والتجاوز عن الخلافات البعيدة التى بينها لما أبقى المجمع على أربعة أناجيل ، بل لتخير واحدا منها ليكون هو إنجيل المسيح الذى بشر به فى أتباعه وألقاه على مسامعهم .

ولو كان كتاب الأناجيل (البشيرون) كتابا عاديين مثل كتاب السير والملاحم لما كانت هناك دهشة إذا اختلفت كتاباتهم أو تناقضت ، وإذن لهان الأمر ولم يصبح النقد العلمى قائما حول قضية مقدسة ، ولكن الذى لانزاع فيه لدى العرف المسيحى هو أن الأناجيل الأربعة قد وضعها أناس قديسون ، وأن هذا الوضع كان بإلهام من الله بواسطة الروح القدس ، والحق سبحانه وتعالى لا يقول إلا حقا ، فالحق لا يتناقض مع الحق ، والروح القدس لا يغش ولا يخادع ، فما يسوقه الوحى إلى (متى) مثلا يتحتم أن يكون هو هو عين مايسوقه إلى (مرقس) و (لوقا) و (يوحنا) دون اختلاف أو تناقض ، وكذلك البشيرون يجب ألا يخطئوا أو يتناقضوا ، لأنهم جميعا مسوقون من الروح القدس ، فليس لأى منهم حول ولا قوة فى وضع إنجيله ، فيجب ألا يكون هناك تناقض أو اختلاف فى الأناجيل حيث إن مصدرها واحد هو الحق تبارك وتعالى ، وسفيرها من الآب واحد ، هو الروح القدس ، والمتلقى للوحى معصوم فلا يتناقض قوله مع قول معصوم آخر ، لأن مصدر العصمة لدى الجميع واحد ،

ولكن الأمر ظهر على خلاف النتائج اللازمة لهذه المقدمات ، فالمتتبع للأحداث الواردة فى الأناجيل والمتفحص لموضوعاتها يجد فيها من المتناقضات مايقفز إلى عينى المتأمل .

وإلى القارىء بعضا من هذه المتناقضات ، ومن أراد المزيد فليرجع إلى المراجع المتخصصة فى ذلك(١) ، فمن ذلك :

١ — الاختلاف والتناقض فى شجرة نسب المسيح :

لقد أورد (متى) سلسلة شجرة نسب المسيح فى صدر إنجيله ، كما أوردها (لوقا) فى الإصحاح الثالث من الآية (٢٣—٢٨) ولم ترد سلسلة النسب هذه فى إنجيل (مرقس) ولا فى إنجيل (يوحنا)

وفى بداية القول يجب ملاحظة أن هـذين النسبين من جهة الرجال معدوم المعنى فيما يتعلق بالمسيح ، ولو كان من الضرورى إعطاء المسيح نسبا — وهو الابن الوحيد لمريم (أمه) وليس له أب من البشر — فيجب أن يكون ذلك النسب من جهة أمه مريم فقط .

ولـكن شجرة النسب على خلاف هذه الحقيقة ، وها هى ذى نصوص هذا النسب .

يقول متى :

« كتاب ميلاد يسوع (عيسى) المسيح ابن داود بن إبراهيم : — إبراهيم ولد اسحق ، واسحق ولد يعقوب ، ويعقوب ولد يهوذا وإخوته ، ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار ، وفارص ولد حصرون وحصرون، ولد آرام ،

---

(١) مثل كتاب إظهار الحق للشيخ رحمـة الله الهندى ، والفارق بين المخلوق والخالق لعبد الرحمن باجه جى زاده ، والمنتخب الجليل من تخجيل من حرف الأنجيل لأبى الفضل المالكى ، والرد الجميـل للإمام الغزالى ، ودراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة لموريس بوكاى، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الاسلام ابن تيمية، وهداية الحيارى من اليهود والنصارى لابن قيم الجوزية وغير ذلك كثير .

وأرام ولد عميناداب ، وعميناداب ولد نحشون ، ونحشون ولد سلمون ، وسلمون ولد بوعز ، من راحاب ، وبوعز ولد عوبيد من راعوث ، وعوبيد ولد يسى ، ويسى ولد داود الملك ، وداود الملك ولد سليمان من التى لأوريا ، وسليمان ولد رحبعام ، ورحبعام ولد أبيا ، وأبيا ولد آسا ، وأسا ولد يهوشافاط ، ويهوشافاط ولد يورام ، ويورام ولد عزيا ، وعزيا ولد يوثام ، ويوثام ولد أحاز ، وأحاز ولد حزقيا ، وحزقيا ولى منسى ، ومنسى ولد أمون ، وأمون ولد يوشيا ، ويوشيا ولد يكنيا وإخوته عند سبى بابل ، وبعد سبى بابل يكينا ولد شالتئيل ، وشالتئيل ولد رزبابل ، ورزبابل ولد أبيهود ، وأبيهود ولد ألياقيم ، وألياقيم ولد عازور ، وعازور ولد صادوق ، وصادوق ، ولد أخيم ، وأخيم ولد أليود ، وأليود ولد أليعازر ، وأليعازر ولد متان ، ومتان ولد يعقوب ، ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التى ولد منها يسوع (عيسى) الذى يدعى المسيح . فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلا ، ومن داود إلى سبى بابل أربعة عشر جيلا ، ومن سبى بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلا .

أما لوقا (٣ : ٢٣ — ٢٨) فإنه يعطى المسيح نسبا يختلف عن الذى فى إنجيل متى وإليك نصه :

« ولما ابتدأ يسوع (عيسى) كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالى بن متثات بن لاوى بن ملكى بن ينا بن يوسف بن متاثيا بن عاموص بن ناحوم بن حسلى بن ناجاى بن مآث بن متاثيا بن شمعى بن يوسف بن يهوذا بن يوحنا بن ريسا بن رز بابل شالتئيل بن نيرى بن ملكى بن آى بن قصم بن المودام بن عير بن يوسى بن أليعازر بن يوريم بن متثات بن لاوى بن شمعون بن يهوذا بن يوسف بن يونان بن ألياقيم بن مليا بن مينان بن متاثا بن ناثان بن داود بن يسى بن عوبيد بن

بوعز بن سلمون بن نحشون بن عمينا داب بن آرام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم بن تارح بن ناحوم بن سروج بن رعو بن فالح بن عابر بن شالح بن قينان بن أرفكشادبن سام بن نوح بن لامك بن متوشالح بن أخنوخ بن ياردين مهللئيل بن قينان بن أنوش بن شيت بن آدم بن الله ،

ولكى تكون الدراسة واضحة وسهلة للمتأمل نضع هذه الأنساب فى ثلاثة جداول مرقمة بأرقام أولهما أنساب المسيح قبل إبراهيم ، والثانى يعرض أنسابه قبل داود ، والثالث بعد داود .

نسب المسيح قبل إبراهيم

حسب إنجيل متى	حسب إنجيل لوقا
لم يذكر متى أى اسم للنسب قبل ابراهيم	١ — آدم
	٢ — شيث
	٣ — أنوش
	٤ — قينان
	٥ — مهللئيل
	٦ — يارد
	٧ — أخنوخ
	٨ — متوشالح
	٩ — لامك
	١٠ — نوح
	١١ — سام
	١٢ — أرفكشاد
	١٣ — قينان

حسب إنجيل متى	حسب إنجيل لوقا
	١٤ — شالح
	١٥ — عابر
	١٦ — مالح
	١٧ — رعو
	١٨ — سروج
	١٩ — ناحور
	٢٠ — تارح

نسب المسيح قبل داود

حسب إنجيل متى	حسب إنجيل لوقا
١ — إبراهيم	٢١ — إبراهيم
٢ — إسحق	٢٢ — إسحق
٣ — يعقوب	٢٣ — يعقوب
٤ — يهوذا	٢٤ — يهوذا
٥ — فارص	٢٥ — فارص
٦ — حصرون	٢٦ — حصرون
٧ — آرم	٢٧ — آرم
٨ — عمينا داب	٢٨ — عمينا داب
٩ — نحشون	٢٩ — نحشون
١٠ — سلمون	٣٠ — سلمون
١١ — بوعز	٣١ — بوعز
١٢ — عوبيد	٣٢ — عوبيد
١٣ — يسى	٣٣ — يسى
١٤ — داود	٣٤ — داود

نسب المسيح بعد داود

حسب إنجيل متى

١٥ — سليمان
١٦ — رحبعام
١٧ — أبيا
١٨ — آسا
١٩ — يهوشافاط
٢٠ — يورام
٢١ — عزيا
٢٢ — يوثام
٢٣ — أحاز
٢٤ — حزقيا
٢٥ — منسى
٢٦ — آمون
٢٧ — يوشيا
٢٨ — يكنيا

النفى إلى بابل

٢٩ — شالتئيل
٣٠ — رزبابابل
٣١ — أبيهود
٣٢ — ألياقيم
٣٣ — عازور
٣٤ — صادوق
٣٥ — أخيم

حسب إنجيل لوقا

٣٥ — ناثان
٣٦ — مناثا
٣٧ — ميناث
٣٨ — مليا
٣٩ — ألياقيم
٤٠ — يونان
٤١ — يوسف
٤٢ — يهوذا
٤٣ — شمعون
٤٤ — لاوى
٤٥ — متثات
٤٦ — يوريم
٤٧ — أليعازر
٤٨ — يوسى

٤٩ — عير
٥٠ — ألمودام
٥١ — قصم
٥٢ — آدى
٥٣ — ملكى
٥٤ — نيرى
٥٥ — شالتئيل

حسب إنجيل متى

٣٦ — أليود
٣٧ — أليعازر
٣٨ — متان
٣٩ — يعقوب
٤٠ — يوسف
٤١ — عيسى

حسب إنجيل لوقا

٥٦ — زربابل
٥٧ — ريسا
٥٨ — يوحنا
٥٩ — يهوذا
٦٠ — يوسف
٦١ — شمعى
٦٢ — متاثيا
٦٣ — مآث
٦٤ — ناجاى
٦٥ — حسلى
٦٦ — ناحوم
٦٧ — عاموص
٦٨ — متاثيا
٦٩ — يوسف
٧٠ — ينا
٧١ — ملكى
٧٢ — لاوى
٧٣ — متثات
٧٤ — هالى
٧٥ — يوسف
٧٦ — عيسى

الاختلاف فى النسب بين متى ولوقا :

بالمقابلة والمقارنة لسلسلة النسب بين كل من متى ولوقا نجد بينهما خلافا يستحيل معه أن يكون البشيرون ملهمين بالروح القدس كما يدعون ، وإلى القارىء هذه المفارقات .

الفترة من آدم إلى إبراهيم :

١ — فى النسب قبل ابراهيم يذكر لوقا عشرين اسما ، بينما العهد القديم وهو المصدر السابق على الإنجيل والذى عليه اعتماده — لا يذكر إلا تسعة عشر اسما فقط (١) .

وقد أضاف لوقا بعد أرفكشاد (رقم ١٢) رجلا يدعى قينان (رقم ١٣) باعتباره ابنا لأرفكشاد ، ولم نجد له اسما فى سفر التكوين (٢)

٢ — يذكر النص عند لوقا أن ما بين آدم أبى البشر وابراهيم عليهما السلام تقدر الأجيال فيه بـ ١٩ أو ٢٠ جيلا من البشر — وذلك حسبما يستنتج من سفر التكوين الذى يحدد أحداث الحياة والموت لهذه الأجيال محددا زمن حياتها وتعاقبها — لذا نجد أنه قد مر حوالى ١٩ قرنا من الزمان بين آدم — أول البشر — وميلاد إبراهيم عليه السلام (٣) وهذا ليس مقبولا حسب التحقيق العلمى .

---

(١) راجع سفر التكوين ١١،٥،٤

(٢) المرجع السابق

(٣) راجع الأصحاحات السابقة لسفر التكوين

يقول بوكاى : ولما كان المتخصصون يقدرون حاليا أن إبراهيم كان يعيش فى عام ١٨٥٠ق٠م تقريبا ، فإننا نستنتج أن الإحداثيات التى يعطيها سفر التكوين تحدد ظهور الإنسان على الأرض بحوالى ٣٨ قرنا قبل المسيح وبالطبع فقد استلهم لوقا هذه المعطيات ليحرر إنجيله ، ولأنه نقل هذه هذه المعطيات فقد وهم ... وعلى ذلك فإن مغطيات العهد القديم غير مقبولة فى عصرنا ... وليس فى النصوص ما يسمح بافتراض أى مبرر لهذه المشكلة البالغة التعقيد ، فنصوص الأنساب تعين بالتحديد أن فلانا قد ولد فلانا وأن هذا ابن ذلك . وزيادة على ذلك ، وبالنسبة لما يسبق إبراهيم على وجه خاص ، فقد نهل المبشر من العهد القديم الذى يعرض الأنساب على الوجه التالى :

س .. فى سن كذا أنجب ص،وعاش ص كذا من الأعوام وأنجب ع٠ إذن ليس هناك انقطاع فى التسلسل ٠وعلى هذا فالجزء السابق على إبراهيم من نسب المسيح حسب إنجيل لوقا يصبح غير مقبول فى ضوء المعارف الحديثة ، (١)

ونظرا لأن متى يبدأ نسب المسيح بابراهيم فلا شأن له بالنسب من آدم إلى ابراهيم وإنما هو خاص بلوقا فقط ، بينما نجد ابن بطريق يحدد هذه الفترة بما يقرب من خمسة الآف سنة تقريبا .



---

(١) دراسة الكتب المقدسة ص١١٢ ، ١١٣

الفترة من إبراهيم إلى دواد :

نجد عدد الأجيال من ابراهيم إلى داود ١٤ أربعة عشر اسما عند متى ، بينما هم ١٣ ثلاثة عشر عند لوقا .

الفترة من داود إلى المسيح :

١ — تحتوى شجرة النسب عند لوقا على ٤٢ اسما بعد داود (رقم ٣٤) وحتى المسيح (رقم ٧٧) أما إنجيل متى فيذكر ٢٧ اسما بعد داود (رقم ١٤) وحتى المسيح (رقم ٤١) : إذن فعدد أسلاف المسيح بحسب الاعتبارين مختلف فى الإنجيلين .

٢ — أسماء أسلاف المسيح إلى داود مختلفة فى الإنجيلين ، ذلك لأن متى يأخذ فى كتابته سلسلة النسب إلى (سليمان) بن داود ، بينما يتتبع لوقا سلسلة (ناثان) بن داود ، ويضاف إلى هذا أن متى أخذ سلسلة الملوك المشهورين من ولد سليمان إلى جلاء بابل . أما لوقا فيسير بالسلسلة إلى آباء عادين ، ليسوا ملوكا ولا مشهورين حتى يصل بها إلى (ناثان) بن داود ، وليس فيهم نبى ولا ملك غير داود وناثان . ويلزم على ذلك ألا يبقى المسيح مسيحا ، كما قال كالوين : « إن من أخرج سليمان عن نسب المسيح فقد أخرج المسيح عن كونه مسيحا(١) .

٣ — حلقات النسب فى متى من داود إلى سبى بابل يبلغ عددها أربعة عشر (اسما) بينما يبلغ عدد الأسماء عند لوقا عشرين اسما .

٤ — يذكر متى بعد سرده لسلسلة النسب فى صدر إنجيله أن ما بين سبى

---

(١) رحمة الله الهندى / إظهار الحق جـ ١ ص ٥٥

بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلا ، بينما لم يتجاوز عددهم ثلاثة عشر جيلا فقط ، وعلى ذلك يكون متى قد ناقض نفسه فى هذا .

٥ — يذكر متى ثلاثة عشر جيلا من النفى إلى بابل بينما يذكر لوقا أثنين وعشرين جيلا .

وبالجملة : فإنه من العسير حقا تخيل أن لعائلة المسيح شجرتى نسب تختلفان بالضرورة حيث إن كلا من متى ولوقا يقدم نسبا للمسيح يختلف معظمه عن الآخر بالنسبة للأسماء وبالنسبة لعدد الأسلاف أيضا . وهذا يبين بجلاء أن البشيرين بعيدان كل البعد عن أن تكون كتابتهما بوحى من الروح القدس .

ومشكلة التوفيق بين هذه المتناقضات فى النسب بين الإنجلين يصبح مستحيلا فى نظر المحققين يقول بوكاى : « لا شك أن نسب المسيح فى الأناجيل موضوع قد دفع المعلقين المسيحيين إلى بهلوانيات جدلية متميزة صارخة تكافىء الوهم والهوى عند كل من لوقا ومتى(١) .

نعم قد تخف الدهشة من هـــذا التناقض إذا أدركنا أن مترجم متى مجهول الحال كما تبين سابقا ، وكذلك لوقا ليس من الحواريين أو التلاميذ بالتأكيد ، وعلى ذلك فلاوحى ولا إلهام للأناجيل ، وأنها لاتعدو أن تكون كتابات مثل كتابات السيرة يكتب كل حسب وجهة نظره .

---

(١) دراسة الكتب المقدسة ص ١١٦

٢ـ الاختلاف والتناقض فى رواية العشاء الربانى وتأسيس القربان المقدس:

التعريف بالقربان فى العرف المسيحى :

القربان فى العرف المسيحى هو طقس من طقوس الكنيسة يزعمون أن المسيح أسسه أثناء تناوله العشاء الأخير مع الحواريين فى عيد الفصح ليلة قبض عليه ، والعشاء هذا هو مايعرف فى العرف المسيحى بالعشاء الربانى .

وتأسيس القربان هو إشارة المسيح بأن الطعام الذى تناولوه معه والشراب الذى شربوه معه ممثلين فى الخبز والخمر قد تحول إلى جسد المسيح ودمه الحقيقين، فإذا فعلوه مكررا باسمه كل عام فى هذا العيد تذكارا له تحول الخبز إلى جسده والخمر إلى دمه ، فمن تناول شيئا من هذا الخبز فى عيد الميلاد فقد أكل جسد المسيح حقيقة واتحد به ، ومن تناول من هذا الخمر أيضا فى هذه المناسبة فقد شرب دم المسيح حقيقة واتحد به ،وصنع الخبز أو الفطير وإعداد الخمر إنما يكون من عمل القسيس ثم يتلوا عليه مايزعمون أن به يحصل التحول .

الأصل فى هذا العشاء :

هناك عيد مقرر عند اليهود يسمى (عيد الفصح) يحتفلون به فيذبحون ويأكلون [فالفصح اليهودى يرمز إلى خلاص إسرائيل قديما](١) .

ولأن المسيح قد جاء لتقرير تعاليم التوراة وشعائرها فيجب أن يكون الاحتفال بعيد الفصح شعار النصارى أيضا ، ولذلك اجتمع المسيح فى العشاء الأخير مع حوارييه لتناول الطعام والشراب فى هذه المناسبة .

---

(١) بترسن سميث/حياة يسوع ، ترجمة : حبيب سعيد ص٣٠٢

ولكن المسيحيين ألبسوه ثوبا آخر يرمز إلى خلاص المسيحيين وحدهم، يقول بترسن سميث: (سيلبس — الفصح — الآن ثوبا قشيبا[١] يرمز إلى خلاص أعظم)[٢] .

ولكن هذه الصبغة الجديدة ليست عطاء من المسيح ولكنها من تشريع قد يسها الأعظم (بولس الرسول) فقد علمهم أن وقوع هذا الحدث عن المسيح وحوارييه من قول وفعل يرمز إلى تقديم نفسه فى تلك الليلة ذبيحة قربانا للآب فداء وكفارة عن خطايا البشر حيث قبض عليه فيها .

يقول بترسن سمث: (ومن هنا جاء الفصح المسيحى ، ومر العشاء الربانى، وأولى التقاليد التى تسلمناها عن حوادث تلك الليلة ، هى التى تلقيناها عن بولس الرسول فى قوله : الرب يسوع هو الذى فى تلك الليلة التى أسلم فيها أخذ خبزا وبعد أن شكر كسر وأعطى تلاميذه قائلا خذوا كلوا هذا هو جسدى الذى يبذل عنكم ، فاصنعوا هذا لذكرى ، وعلى مثال ذلك بعد العشاء أخذ الكأس وبعد أن شكر أعطاها لهم قائلا ، إشربوا من هذا كلكم فإن هذا دمى لعهد جديد ، فاصنعوا هذا لذكرى كلما شربتم منه»[٣]. وليس هنا مجال بسط القول والجدل حول هذا السر المقدس ، فكل المسيحيين يرون فيه شعارا للشركة المسيحية ، وذكرى دائمة لمن مات عن خطاياهم ، وكثرة المسيحيين يرون فيه وسيلة لانسياب حياة المسيح فى حياة البشر ، وتقوية نفوسنا وإنعاشها بجسد ودم المسيح كما تقوى وتنتعش أجسادنا بالخبز والخمر»[٤] هذا هو الأصل فى العشاء الربانى عند المسيحيين.

---

(١) الثوب القشيب هو الجديد

(٢) المرجع السابق

(٣) كورنثوس الأولى ١١ : ٢٣ — ٢٥

(٤) بترسن/حياة المسيح ص٣٩٢

هذا، ولنعد إلى دراسة نص الأناجيل لنعرف مدى اختلافهم وتناقضهم في رواية هذه القضية . جاء في متى :

« وفي أول أيام الفطير تقدم التلاميذ إلى يسوع قائلين له أين تريد أن نعد لك لنأكل الفصح ، فقال اذهبوا إلى المدينة إلى فلان وقولوا له المعلم يقول إن وقتي قريب ، عندك أصنع الفصح مع تلاميذي ، ففعل التلاميذ كما أمرهم يسوع وأعدوا الفصح . . . وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي ، وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا وأقول لكم إني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديدا في ملكوت أبي »(١).

وجاء في مرقس مثل متى إلا أنه جعل المسيح هو الذي بدأ الحديث « فأرسل اثنين من التلاميذ من غير أن يذكر اسمهما وقال لهما اذهبا إلى المدينة فيلاقيكما إنسان حامل جرة ماء واتبعاه وحينما يدخل فقولا لرب البيت إن المعلم يقول أين المنزل حيث آكل الفصح مع تلاميذ فهو يريكما عليه كبيرة مفروشة معدة هناك أعدا لنا ، فخرج تلميذاه وأتيا إلى المدينة ووجدا كما قال لهما فأعدا الفصح ... »(٢) .

ويكاد يتفق مع متى في صيغة تأسيس القربان مع اختلاف في بعض الألفاظ، وقد أورد القصة على سبيل المعجزة، كما أنه لم يعين اسم التلميذين الذين أرسلهما .

أما لوقا ، فذكرها مثل مرقس وعلى سبيل المعجزة أيضاً، إلا أنه خالف فعين اسم التلميذين وأنهما بطرس ويوحنا .

---

(١) متى ٢٦ : ١٧ — ١٩ ، ٢٦ — ٢٩

(٢) مرقس ١٤ : ١٢ — ١٦ ، ٢٢ — ٢٥

أما يوحنا فقد ذكر العشاء بطريقة عامة ضمنها خطبة طويلة للمسيح نحو تلاميذه احتلت أربع إصحاحات (من ١٤ إلى ١٧) أعطى فيها آخر إرشاداته لتلاميذه الذين سيتركهم وليس هناك أى أثر لهذا فى الأناجيل الأخرى ، وعلى العكس يرد متى ومرقس ولوقا صلاة المسيح فى ضيعة جسثيمانى ولا يشير إليها يوحنا .

بيان أوجه الاختلاف والتناقض :

لا نود أن نذكر الاختلاف فى الألفاظ أو التقديم والتأخير بين نصوص الأناجيل مادامت المعانى بين النصوص متقاربة أو متخالفة ولكن يمكنهم الإجابة عنها ولو من بعيد ، ولكنى لا أظهر إلا ما لا يمكن الإجابة عنه وإن أجيب فبتلفيق وتمحل لا يقنعان العقل ، وإليك هذا الاختلاف والتناقض :

١ — هناك اختلاف فى تيعين الزمن الذى وقع فيه هذا العشاء ، فيوحنا يقول بوقوعه قبل عيد الفصح بستة أيام(١) .

أما الأناجيل الثلاثة المتوافقة فتجعل وقوعه أثناء عيد الفصح نفسه وحيث إن عيد الفصح ذو أهمية عظمى فى الطقوس اليهودية ، وأن العشاء الذى ودع فيه المسيح حوارييه اكتسب أهميته العظمى فى المسيحية أيضا لوقوعه فى عيد الفصح المعظم عند المسيح وحوارييه فإننا لا نستطيع أن نتصور أن أصحاب الأناجيل قد نسوا زمن هذا العشاء بالنسبة إلى عيد الفصح لأنه يحظى بالتعظيم لدى اليهود والنصارى على سواء ، وزمنه معين محدود .

---

(١) يوحنا ١٢ : ١

فهذا الاختلاف فى زمن وقوع العشاء الربانى يدل على عدم معقوليته وأنه يستحيل التصديق بوقوعه بالنسبة لزمانين مختلفين ، فأيهما نصدق وأيهما تكذب !.؟

٢ — إن إنجيل يوحنا لا يشير أية إشارة إلى تأسيس القربان المقدس فى أثناء عشاء المسيح الأخير مع الحواريين « ومع أن الأناجيل تذكر أن يوحنا — الذى يعتقدون أنه واضع الإنجيل الرابع — كان يجلس فى هذا العشاء بجوار المسيح ، فكيف يتغاضى عن ذكره مع أهميته العظمى فى الشعائر المسيحية ؟ يقول بوكاى : « إن غالبية المتخصصين لا يعتبرون أن يوحنا الحوارى هو مؤلف الإنجيل الرابع ، حيث لا يشير إلى تأسيس القربان المقدس ، هذا على حين أن تقديس الخبز والخمر اللذين يصبحان جسد وروح المسيح هو الفعل الطقسى الكنسى الجوهرى للمسيحية ، إن الأناجيل الثلاثة الأخرى تتحدث عن هذا الفعل أما يوحنا فلا يقول عنه كلمة واحدة »(١) .

وعدم ذكر يوحنا لهذا الحديث الذى تأسست عليه عقيدة مسيحية من أعظم البراهين الدالة على أن العشاء الربانى ، بصفته الكنسية هذه بدعة ابتدعوها بعد انقراض التلاميذ . وبهذا لا يكون ذكرها فى الأناجيل الأخرى وحيا أو إلهاما ، لأن يوحنا أولى بالوحى والإلهام من مرقس ولوقا ، لأنه الذى يحبه المسيح ويجلسه بجواره دائما وخاصة فى العشاء الأخير هذا .

٣ — إن اتفاق الأناجيل الثلاثة على ذكر هذا العشاء دليل على أنه كان مفروضا فى دين المسيح طبقا لأحكام التوراة التى جاء المسيح لتقريرها والالتزام بأحكامها ، وكان هذا العيد آخر أيام المسيح وفيه رفع ، وبهذه

---

(١) دراسة الكتب المقدسة ص ١١٨

الحادثة بكون المسيح قد أيد التوراة فى تعاليمها ، وهو بهذا يبطل القول بنسخ المسيح للتوراة خلافاً لشريعة بولس القائم عليها دين المسيحية المعاصرة .

٤ — لم يذكر يوحنا فى مناسبة هذا العشاء سوى قيام المسيح بغسل أرجل تلاميذه، ولم يذكر ذلك غيره من الثلاثة الآخرين ، وكأنه استعاض بهذا الغسل عن ذكر التقديس، ومعلوم أن تقديس هذا العشاء عقيدة أصيلة فى المسيحية وسر من أسرار الكنيسة، فكيف يضرب يوحنا عنه صفحا وهو الأجدر بالإثبات ؟ مع أنه قد أفاض فى ذكر أمور ليست بالأهمية التى لتقديس العشاء ، مثل قصة شفائه الأعمى وسكب الطيب على قدميه وغير ذلك . فما ذاك إلا أن يكون هذا التقديس بدعة ابتدعوها وليست من الدين فى شىء .

٥ — إن لوقا ليس حواريا ، ولم يكن من أتباع المسيح ، ولم يشاهد من المسيح حادثة العشاء ، فمن أين أتى بفكرة العشاء الربانى هذه ؟ فإن كان قد أخذها رواية عن غيره فإنها لا تكون وحيا ولا إلهاما .

٦ — لو صح القول بقلب الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه لزم عنه إبطال جميع العبادات البدنية والمالية ، والتكليفات الدينية ، ولم يبق للقسيس سلطان على ذوى الخطيئات لغفران خطيئاتهم ، لأن الحصول على الحياة الأبدية يكون للمرء بمجرد أكله مضغة أو (هبرة) من ذلك الجسد المنقلب عن تلك الكسرة من الخبز ، ومصة من ذلك الدم المنقلب عن رشفة من الخمر . وصار المرء بذلك مطهرا من الذنوب والآثام حتى يلقى المسيح فى ملكوته . فلا حاجة إذن لغفران الخطايا على يد القسيس الذى هو فرض من فروض للكنيسة .

٧ — من العجب أنهم يؤمنون بانقلاب الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه مع تنافره مع الحس والعقل ، ولا يؤمنون بإلقاء شبهه على غيره مع ما فيه من تكريم الله له بعدم تمكين الأعداء منه ، مع أن إلقاء شبهه على

غيره أهون من تحول الخبز والخمر إلى جسده ودمه . وأدعى إلى القول بألوهيته مما يخترعونه من خرافات .

٨ — يقول متى فى النص السابق إن المسيح قال: «وأقول لكم من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديدا فى ملكوت أبى » .

ونقول : إن كان المراد بملكوت الله هنا هو الجنة فى الآخرة ، فهذا يناقض القول بألوهية المسيح ، لأنه بعد الصلب قد انسلخ من ناسوته ، واستعلى بلاهوته على كرسيه فى عرش عظمته . وحينئذ لا تجوز عليه صفات الحوادث من شرب أو خلافه، فإن صح القول بشربه من نتاج الكرمة فهو إذن بشر بإقراره هذا ، لأنه لم ينفك ناسوته عنه فى الدنيا ولا فى الآخرة

هذا ، مع ملاحظة أن النصوص توحى بأن قيامه من القبر كان بناسوته ولاهوته لأن القبر — كما أخبروا — كان خاليا من ناسوته (جسده)

٩ — إن تحول الخبز والخمر إلى ذات جسد المسيح ودمه إما أن يكون المتحول قد تحول إلى الناسوت فقط ، أو إلى اللاهوت فقط ، أو إليهما معا .

فإن كان التحول إلى الناسوت فقط ، فإن الناسوت مادة تنفذ عند الاستهلاك وتفنى بالتناول أكلا وهضما ، ولا تتكرر بعينها مرة ثانية ، فيلزم أن توجد مريم عذراء ثانية حتى يتجسد فيها مسيح آخر بكلمة أخرى ثم يتحول عند ما يريد القسيس كل ذكرى وهلم جرا ، إلى ما لا نهاية .

وإن كان التحول إلى اللاهوت فقط أو هو مع الناسوت ، فهذا يخالف العقيدة المسيحية ، لأن اللاهوت إذا استحال دخل فى حيز الحدوث ، وبطل كونه لاهوتا ، بل يكون كله ناسوتا .

١٠ — وأخيرا نقول : إن عقيدة التحول هذه شبيهة بما يروى عن مشركى العرب ، فإنهم كانوا يتخذون آلهة من تمر ، وعند ما يحسون بألم الجوع يلجأون إلى تلك الآلهة فيأكلونها ، إلى أن أتى الإسلام ، وهداهم الله إليه ، فكانوا يتذكرون ذلك العهد ، ويضحكون منه على أنفسهم، فهل يعقل أن يؤكل لحم الإنسان ويشرب دمه ؟ اللهم إلا ما كان من بعض الأمم المتوحشة الذين خرجوا عن الطور الإنسانى .

هذا ، وهناك ملاحظات أخرى على معطيات ألفاظ النصوص نضرب عنها صفحا حيث قد طال البحث فى هذه المسألة .

ليس المراد بأكل الخبز جسد المسيح ولكنه الإيمان به :

إن ما ورد فى الأناجيل من هذه النصوص الموهمة أكل حقيقة جسد المسيح وشرب دمه — إن صحت هذه النصوص — يجب صرفها عن ظاهرها بتأويلها إلى ما يوافق العقل لئلا يتعارض العقل مع النقل ، وهذا هو واجب حملة الشرائع الربانية ، واتباع النواميس الإلهية ، كما يجب عليهم صيانتها من كل ما يشينها أو يثير الشبهات حولها .

ونرى أن النصوص لا يفهم منها يقينا ذلك المعنى الذى أرادوه من الخبز والدم. فهذا هو يوحنا يجلى لنا هذه الفكرة فيحكى عن المسيح قوله : «أبى يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم ، فقالوا له ياسيد أعطنا فى كل حين هذا الخبز ، فقال لهم يسوع أنا هو خبز الحياة من يقبل إلى فلا يجوع ومن يؤمن بى فلا يعطش أبدا»(1) .

---

(1) يوحنا ٦ : ٣٢ — ٣٦

فانظر كيف فسر كونه خبز الحياة بأنه عبارة عن الإقبال على دعوته والسماع المتفهم المستجيب لرسالته ، وأن الإيمان بهذه الرسالة وبمن جاء بها لا يظمأ فى الحياة الأبدية ، وهذا كناية عن كونه سببا لحياة الأرواح التى تحيـا بالإيمـان ، وتتغذى بالتقوى ، وتهلك وتموت بالكفر ، وتمرض بالعصيان ، كما أن الخبز الحقيقى يغذى الأجسام ، ويكون لها وقاية من الهلاك ، فهذا تقرير لقوله : « أنا هو خبز الحياة » ، ولما تذمر اليهود عليه لأنه قال : « أنا هو الخبز الذى نزل من السماء »(١) .

قال موضحا ذلك « الحق أقول لكم من يؤمن بى فله حياة أبدية أنا هو خبز الحياة ، آباؤكم أكلوا المن فى البرية وماتوا،هذا هو الخبز النازل من السماء لكى يأكل منه الإنسان ولا يموت،أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد(٢) .

فلكى يوضح لليهود المعنى المراد من الخبر عقد مقارنة بين (المن) الخبز المادى الذى كان طعام بنى إسرائيل على عهد موسى ، وبين الخبز المعنوى الذى به حياة الأرواح وهو الإيمان به كنبى وبدعوته، وقال مهما أكل الإنسان من الخبز المادى الذى هو غذاء الأجساد فإنه لا بد أن يموت ، أما الخبز الذى هو الإيمان بالمسيح الذى هو غذاء الأرواح فإن آكله لا يموت بل يحيا فى الجنة حياة أبدية .

ولما قال المسيح : « من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير »(٣) .

---

(١) يوحنا ٦ : ٤١

(٢) يوحنا ٦ : ٤٧ — ٥١

(٣) يوحنا ٦ : ٥٤

« فقال كثيرون من تلاميذه إذ سمعوا أن هذا الكلام صعب : من يقدر أن يسمعه ، فعلم يسوع فى نفسه أن تلاميذه يتذمرون على هذا فقال لهم ، أهـذا يعثركم فإن رأيتم ابن الإنسان صاعدا إلى حيث كان أولا ، الروح هو الذى يحي ، أما الجسد فلا يفيد شيئا ، الكلام الذى أكلمكم به هو روح وحياة ، ولكن منكم قوم لا يؤمنون» فقد زادهم الأمر وضوحا، فأكد بأن الذى يحي هو الروح، أما الجسد القائم على الغذاء المادى فلا يفيده هذا النوع من الغذاء ، وهو الإيمان ، لأنه غذاء الروح .

وإذن فلم يرد المسيح بجسده الجسد المركب من لحم ودم ، بل يريد به الروح التى هى الكلمة ، أى الإيمان بأنه كلمة الله وروح منه ، وليس المراد جسده ودمه الحقيقى .

وعليه فلا ينبغى أن نفسر النصوص تفسيرا حرفيا بما يجعلها صعبة المنال جامدة أمام العقل والفكر .

قال صاحب مرشد الطالبين فى الفصل الثالث عشر من الجزء الثانى من كتابه : بوجوب تأويل ما ورد فى العهدين على سبيل المجاز والاستعارة فقال ما نصه : « إن بعض معلمى النصارى شرحوها شرحا حرفيا فاشتهرت من ذلك آراء كثيرة فاسدة ، ثم ذكر من ذلك أمثلة من جملتها نص عبارته بإصحاح ٦ فقرة ٥١ »(١) وقد سبق ذكره فى الصفحة السابقة .

ومن هذا التوجيه لهذه النصوص بحملها على غير ظاهرها الحرفى نرى أن عدم ذكر يوحنا لتأسيس القربان هو الحق ، ووروده فى الأناجيل الثلاثة الأخرى بدعة إبتدعوها بعد انقراض التلاميذ .

---

(١) أنظر كتاب الفارق صـ ٢١٦

٣ـ الاختلاف والتناقض فى رواية قيام المسيح من الموت وظهوره للناس :

لقد اشتملت الأناجيل على قصة تقرر أن المسيح عليه السلام قد قام من القبر بعد موته . وظهر لبعض أتباعه قبل صعوده إلى السماء ليعتلى عرش سلطانه مع أبيه .

وقد اشتملت هذه الأقصوصة على متناقضات تبعث على الحيرة وعدم معقوليتها . وإلى القارى نص القصة فى الأناجيل :

(فى متى إصحاح ٢٨) : « وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر . وإذا زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج . فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كأموات . فأجاب الملاك وقال للمرأتين لا تخافا أنتما ، فإنى أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب ليس هو ههنا لأنه قام كما قال ، هلما انظرا الموضع الذى كان الرب مضطجعا فيه وأذهبا سريعا وقولا لتلاميذه إنه قد قام من الأموات ، هاهو يسبقكم إلى الجليل ترونه فخرجتا سريعا من القبر بخوف وفرح عظيم راكضتين لتخبرا تلاميذه ، وفيما هما منطلقتان لتخبرا تلاميذه إذ يسوع لاقاهما وقال سلام لكما ، فتقدمتا وأمسكتا بقدميه . وسجدتا له وقد طلب منهما أن يخبرا التلاميذ بملاقاته فى الجليل... وأما الأحد عشر تلميذا فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل حيث أمرهم يسوع ، ولما رأوه سجدوا ولكن بعضهم شكوا » (١) .

(وفى مرقس إصحا ١٦) « وبعد ما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطا ليأتين ويدهنه ، وباكر جدا فى أول

(١) متى ٢٨ : ١ — ١٠،١٦،١٧

الأسبوع أتين إلى القبر إذ طلعت الشمس ، فتطلعن ورأين أن الحجر قد دحرج لأنه كان عظيما جداً ، ولما دخلن القبر رأين شابا جالسا على اليمين لابسا حلة بيضاء فاندهش فقال لهن لاتندهشن هوذا الموضع الذى وضعوه فيه لكن اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس إنه يسبقكم إلى الجليل هناك ترونه كما قال لكم فخرجن سريعا وهربن من القبر لأن الرعدة والحيرة أخذتاهن ولم يقلن لأحد شيئا . وبعد ماقام باكرا فى أو الأسبوع ظهر أولا لمريم المجدلية ، فذهبت هذه وأخبرت الذين كانوا معه : فلما سمع أولئك أنه حى وقد نظرنه لم يصدقوا ، وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى لاثنين منهم وهما يمشيان منطلقين إلى البرية وذهب هذان وأخبرا الباقين فلم يصدقوا ولا هذين . أخيرا ظهر للأحد عشر وهم متكئون ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام (١) » .

(وفى لوقا إصحاح ٢٤) « فى أول الأسبوع أول الفجر أتين ـ أى نساء ـ إلى القبر حاملات الحنوط الذى أعددنه ومعهن أناس ، وجدن الحجر مدحرجا عن القبر فدخلن ولم يجدن جسد الرب يسوع ، وفيما هن محتارات فى ذلك إذ رجلان وقفا بهن بثياب براقة ، قال لهن لماذا تطلبن الحى بين الأموات ، ليس هو هنا لكنه قام ، فتذكرن كلامه ورجعن من القبر وأخبرن الأحد عشر وجميع الباقين بهذا كله . وكانت مريم المجدلية ، ويونا ومريم أم يعقوب والباقيات معهن اللواتى قلن هذا للرسل ، فقام بطرس وركض إلى القبر فانحنى ونظر الأكفان موضوعة وحدها ، فمضى متعجبا فى نفسه مما كان... سار ــ أى المسيح ــ مع رجلين من قرية اسمها عمواس ، فعرفاه ثم أختفى عنهما ، فقاما فى تلك الساعة ورجعا إلى أورشليم ووجد الأحد عشر مجتمعين هم والذين معهم ، وهم يقولون : إن الرب قام بالحقيقة وظهر لسمعان(٢)» .

---

(١) مرقس ١٦ : ١ ــ ١٤ (٢) لوقا ٢٤ : ١ ــ ١٢ ، ٣٢ ــ ٣٤

(وفى يوحنا إصحاح ٢٠) «وفى الأسبوع الأول جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكرا والظلام باق فنظرت الحجر مرفوعا عن القبر ، فركضت وجاءت إلى سمعان بطرس وإلى التلميذ الآخر الذى كان يسوع يحبه ، وقالت لهما أخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه ، فخرج بطرس والتلميذ الآخر وآتيا إلى القبر . . . ودخل بطرس القبر ونظر الأكفان موضوعة والمنديل الذى كان على رأسه ليس موضوعا مع الأكفان بل ملفوفا فى موضع وحده ، فحينئذ دخل أيضا التلميذ الآخر ... إلى القبر ورأى فآمن لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب أنه ينبغى أن يقوم من الأموات ، أما مريم فكانت واقفة عند القبر انحنت إلى القبر فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين واحد عند الرأس والآخر عند الرجلين حيث كان جسد يسوع موضوعا ... التفتت إلى الوراء فنظرت يسوع واقفا ولم تعلم أنه يسوع قال لها يسوع يا امرأة لماذا تبكين من تطلبين فظنت تلك أنه البستانى ... قال لها يسوع يا مريم فالتفتت تلك وقالت له ربونى الذى تفسيره يا معلم قال لها يسوع لا تلمسينى لأنى لم أصعد بعد إلى أبى ، ولكن اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ أنها رأت الرب وأنه قال لها هذا) .

أولا : بيان أوجه الاختلاف والتناقض فى ملابسات القيامة :

بالنظر فى رواية الأناجيل آنفة الذكر نجـد الاختلاف والتناقض بينها باديا ملء السمع والبصر ، كما نجد اسم مريم المجدلية يحتفظ بذكره كل إنجيل لدى عرضه لقصة من حضروا لزيارة المسيح ، وكأنها بطلة المشاهدات لهذه القصة . وإليك ما فيها من تناقض .

١ — ليس هناك تطابق تام فى الأناجيل الثلاثة المتوافقه (الأولى) فى قائمة النساء اللاتى أتين إلى القبر ، أما انجيل يوحنا فليس هناك إلا امرأة واحدة وهى مريم المجدليـة ، ولكنها تتحدث بضمير الجماعة كما لو كانت هناك رفيقات ، فهى تقول : « لا تعرف أين وضعوه » . أمـا فى إنجيل (متى) فملاك هو الذى يعلن للنساء أنهن سيرين المسيح فى الجليل ، ولكن المسيح بعد لحظة يقابلهن على مقربة من القبر .

٢ — يظهر التناقض جليا فى الزمن الذى حضرت فيـــه المجدلية وصويحباتها إلى القبر والسبب الذى من أجله أتين .

فى (متى) أن ذهابها ومن معها من النسوة إلى القبر كان بعد السبب عند فجر أول الأسبوع ، من غير بيان لسبب هذه الزيارة .

أما (مرقس) فكا ذلك وقت طلوع الشمس ، أما سبب الحضور فكان بقصد إحضار الحنوط لتحنيط الميت . وإذن فليس فى عقيـدتها أى علم بقيامه بعد الموت

أما فى (يوحنا) فكانت مريم المجدلية وحدها التى حضرت إلى القبر ، وكان حضورها باكرا جـدا والظلام باق ، ولم ندر هل كان ذلك قبل الفجر أم بعده ؟ ،

فالروايات متناقضة فى تحديد الزمن الذى حضرت فيه النسوة إلى القبر والسبب الذى كان حضورهن من أجـله ، فهل الأختلاف كان فى رواية مريم ، أم فى رواية الأناجيل عن مريم ؟

وعلى كل فإن تعارض الروايات يسقط صحـة خبرها ، فإن الخبرين إذا تعارضا تساقطا ، لعدم اليقين بصدق أحدهما .

٣ — هنـاك تناقض واضح بالنسبة لمن أعلن للنسوة قيام المسيح من الموت والملابسات التى صاحبت ذلك .

(أ) فى (متى) أنهن رأين زلزلة عظيمة حدثت بعد وصولهن لأن ملاك الرب نزل من السماء ودحرج الحجر وجلس عليـه ، وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج ، وأن مريم دخلت القبر .

أما (مرقس) فيقول : إن الذى رأته مريم هو شاب وليس ملاكا ، وأنه كان جالسا داخل القبر وكان لابسا حلة بيضاء .

أما (لوقا) فإن الذى رأينه رجلين بثياب براقة . فليس ملاكا ولاشابا واحدا ، كما لم يبين ما إذا كانا داخل القبر أم خارجه .

أما (يوحنا) فلم يذكر أنها دخلت القبر كما قال الثلاثة الأولون ، بل انحنت ونظرت إلى القبر فرأت ملاكين داخله أحدهما عند رأس الميت والآخر عند رجليه .

والذى يستوقف النظر هنا أن كتاب الأناجيل تقاسموا صورة الخبر عن قيامة المسيح .

فإن الحواريين (متى ويوحنا) تصوراه من الملائكة ، إلا أن أولهما اختار أن يكون ملاكا واحـدا ، أما الثانى فاختار أن يكون ملاكين . فانظر كيف صار التناقض بين الحراريين ؟

أما الآخران (مرقس ولوقا) فتصوراه من فصيـلة البشر ، إلا أن أولهما اختار أن يكون شابا واحدا ، أما الثانى فاختار أن يكون هذا المخبر رجلين ، وليس شابا واحدا .

وأرى أن أدعو القارىء معى للحكم فى مثل هذه القضية ، إن وجود هذا التناقض البين فى كتاب مقدس لهو إحدى الكبر التى تزلزل الفكر .

(ب) إن الذى يثير دهشة قارىء الأناجيل حقا هو كيفية التعرف على ذلك الذى ظهر عند القبر ليخبر النسوة عن قيامة المسيح ، فإذا كان ملكا أو ملاكين ، كيف عرفته ؟ هــل عرفنه على هيئته الملائكية ، إن ذلك لا يعرفه إلا نبى أو رسول ، فإن كان ولا بد أن يخاطب الملاك البشر ، فلا بد أن يظهر فى صورة البشر ، كما ظهر جبريل عليه السلام فى صورة (دحية الكلبى) كما ورد فى الآثار ، وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى ردا على الكفار الذين طلبوا أن يكون رســوله إلى البشر ملكا : « ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون »[1] .

فإذا ادعى أحد أن المراد بالشاب عند مرقس هو الملاك عند متى والمراد بالرجلين عند لوقا هما الملاكان عند يوحنا ، نقول له : فكيف اكتشفت أن الشاب أو الرجلين أصلهما من فصيلة الملائكة ؟ هل هو الوحى أم هى الفراسة وادعاء التنبؤ ؟ إن تاريخ المسيحية مفعم بالأعاجيب واللامعقول وهذا أمر ليس بالمستغرب .

(جـ) يمكن لقارىء الأناجيل أن يتساءل عن مناسبة ظهور الشاب الذى وجدته مريم عند القبر ، وما حقيقته ، وهل يؤخذ خبره بقيامة المسيح قضية مسلمة دون مراجعة أو تثبيت لخبرة هذا ، ثم ما هوية الرجلين المذكورين عند لوقا ، وما صلة كل من الشاب أو الرجلين بالمسيح ؟ إنه إذا كان هناك من يعرف شيئا عن مكارم المسيح فإن حوارييه أفضل من يعرف ذلك وأولى به من أشخاص لم تعلم هويتهم ولا صلتهم بالمسيح فى الحياة أو بعد الممات مثل هذا الشباب أو هذين الرجلين .

(د) لم لم يوح المسيح — وهو المزعوم إلها — إلى تلاميذه بمكان وموعد لقائه بهم بعد قيامته بدلا من أن يجعل فى ذلك وسيطا يخبر النسوة

---

(١) سورة الأنعام ٩ .

بقيامته ليخبرن بدورهن التلاميذ بوعد ومكان لقائه بهم ؟ وإذا زعم أحد علمهم بذلك مسبقاً نقول : ولم لم يصحبن معهن أياً من الحواريين وهم أربط جأشاً منهن فى مثل هـــذه المواقف الذى يفتقر فيها إلى عزم الرجال وقوتهم .

ثانياً : بيان التناقض فى ملابسات ظهوره للناس :

فى (متى) إنه يتحدث عن ظهور المسيح مرة واحدة بالجليل ، وكان الظهور قبل الجليل لمريم المجدلية ، ومريم الأخرى (أم يعقوب) وكان ذلك وقت انطلاقهما لإخبار التلاميذ بقصة القيام وانتظار لقائه ورؤيته ، ولما رأوه سجدوا ولكن بعضهم شكوا فى حقيقة ما رأوه .

أما فى (مرقس) فيذكر أنه ظهر ثلاث مرات ؛ فظهر أولا للمجدلية وحدها ، ثم ظهر بهيئة أخرى لاثنين كانا يمشيان فى البرية ، ثم ظهر للأحد عشر ، ووبخهم على عدم إيمانهم بقيامته ، وهنا يجدر بنا أن نعيد إلى الذاكرة أن المعلقين يستبعدون خاتمة إنجيل مرقس التى تتحدث عن ظهور المسيح اعتقاداً منهم بأنها إلحاقية قد كتبت بقلم غير قلم مرقس .

أما (لوقا) فلم يذكر أنه ظهر للمجدلية ولا غيرها من النسوة ، ولكنها لما أخبرت التلاميذ بقيامته كما ذكر لها الرجلان فى القبر ، جاء بطرس ؛ ونظر الأكفان فوجدها وحدها ، وسار فى عودته مع رجلين من عمواس ، فعرفاه بعد أن كشف لهما عن نفسه ثم اختفى عنهما . والفهم هنا يكاد ينغلق ، فهل (سمعان بطرس أحد الإثنين اللذين رأياه ؟ فقد كانوا ثلاثة ، الظاهر من النص أن الإثنين اللذين رأياه هما اللذان من قرية (عمواس) لأنهما رجعا إلى أورشليم ووجدا الأحد عشر مجتمعين ، وبالقطع كان (بطرس : سمعان) أحد الأحد عشر ، والعجيب أن النص يقول بعد ذلك : إن الرجلين

من عمواس وجدوا الأحد عشر والذين معهم يقولون : إن الرب بالحقيقة قام وظهر لسمعان (بطرس) وفى هذه الأثناء ظهر وسط التلاميذ .

أما (يوحنا) فيذكر أنه ظهر للمجدلية ولم يظهر لغيرها من النسوة، فقد عرفته بعد أن ظنت أنه البستانى ، ثم أمرها بإخبار التلاميذ بأنه صاعد إلى أبيه وأبيهم ،وإلهه وإلههم ، وبينما كان التلاميذ خلف الأبواب المغلقة خوفا من اليهود ظهر عيسى فى وسط التلاميذ وقال سلام لكم ، ولكيلا يشكوا فى ظهوره حياً بينهم بعد قيامته أراهم يديه وجنبه .

ولما كان (توما) أحد التلاميذ لم يكن حاضراً معهم حينئذ ، عاد فظهر لهم بعد ثمانية أيام من هذا الظهور ليراه توما ، وكانوا وراء الأبواب المغلقة أيضاً فطلب عيسى من (توما) أن يجس يديه وجنبه فى موضع المسامير حتى يتأكد أن الذى يراه ويظهر أمامه هو عيسى المسيح .

ثم ظهر بعد ذلك للتلاميذ وهم يصطادون على بحيرة طبرية(١) .

ومن قصة الظهور نستخلص ما يلى :

١ — عدد مرات الظهور :

عند (متى) مرتان ، وعند (مرقس ولوقا) ثلاث مرات ، وعند (يوحنا) أربع مرات .



---

(١) راجع يوحنا ٢٠ : ١٤ — ٣١ ، ٢١ : ١ — ١٤

٢ — الذين ظهر لهم المسيح :

عند متى :

١ — مريم الجدلية ومريم (أم يعقوب) .

٢ — التلاميذ الأحد عشر .

عند مرقس :

١ — المجدلية .

٢ — إثنان من أتباع المسيح ليسا من الحواريين .

٣ — التلاميذ الأحد عشر :

عند لوقا :

١ — سمعان .(بطرس)

٢ — إثنان من أتباع عيسى ليسا من الحواريين .

٣ — تلاميذ المسيح .

عند يوحنا :

١ — مريم المجدلية .

٢ — التلاميذ بدون توما .

٣ — التلاميذ ومعهم توما :

٤ — التلاميذ الذين كانوا يصطادون من بحيرة طبرية .

٣ — إن كل هذه الأمور تتناقض مع ما جاء فى رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس (١٥ . ٥ — ٨) بشأن ظهور المسيح ، إذ يقول : إنه

ظهر لأكثر من خمسمائة شخص فى وقت واحد، وليعقوب ولكل الحواريين بل وبولس أيضاً الذى لم ينس نفسه ضمن الذين ظهر لهم.

٤ — هناك تناقض بين بين الحواريين (متى ويوحنا) وهما المزعوم أنهما ملهمان .

فقد قال متى : إن المجدلية ومريم الأخرى لما لاقاهما المسيح ، تقدمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له .

أما يوحنا فقال إن يسوع قال لمريم المجدلية حين عرفته : لاتلمسينى لأنى لم أصعد بعد إلى أبى. فهذا تناقض لايجوز أن يصدر عن الملهمين ، ثم ماالمراد بقدميه هاتين التين أمسكت بهما المرأتين ؟ هل هما قدما إنسان أم قدما إله ؟ فإن كانتا قدما إنسان فإنه لم ينسلخ بعد عن إنسانيته ، فلماذا السجود له؟ ثم إن وجود قدمين للإله يخرجانه عن أن يكون إلهاً.

٥ — يقول متى : إن المسيح ظهر للتلاميذ فى الجليل ، أمالوقا فيقول: إنه ظهر لهم فى الناصرة(١) ، فهذا تناقض بين الإنجيليين .

٦ — أما التناقض بين لوقا ويوحنا ، فإن الحدث الذى يرويه يوحنا (إصحاح ٢١ فقرات من ١ — ١٤) الذى يروى فيه ظهور المسيح للصيادين بعد قيامته على شاطىء بحيرة طبرية ، وحصولهم على سمك كثير حتى إنهم لا يستطيعون حمله ، ليس إلا رواية معادة لنفس حدث معجزة الصيد بنفس المكان فى حياة المسيح فى رواية لوقا (إصحاح ٥:١—١١) .

وبعد : فهذه بعض الإختلافات والتناقضات بين نصوص الأناجيل فى قصة قيامة المسيح من الموت وظهوره للناس ، وقد رأينا كيف أن

(١) أنظر لوقا ٢٤ : ٥٠

المعول عليه فى رواية الأناجيل لهذه القصة هو ماروته مريم المجدلية فى ذلك، والأناجيل بذلك تخرج عن كونها إلهامية ، أللهم إلا أن يكون الإلهام هنا مختصا بالمجدلية ، وقد أخذ عنها البشرون ، فهى إذن شريكة فى الإنجيل ، وهنا نقول : ليس فى الإنجيل بشير بأفضل من بشيرة .

ومن هنا يمكن للقارىء المحقق أن يدرك القيمة الوثائقية لخبر مريم هذا فى مثل هذه العقيدة .

كما يكون فى وسعنا أن نقول : إذا كان ولابد للمسيح أن يظهر للناس أو لتلاميذه ، فما وجه الحاجة إلى من يخبر تلاميذه عن ذلك؟ سواء تمثلى فى ملك أو بشر ، فإن ظهوره لهم كاف فى الإعلان عن قيامته من الموت .

ظهور المسيح بعد زعمهم موته تكذيب لزعم صلبه وقتله :

لقد صرحت الأناجيل الأربعة بعدم تصديق التلاميذ والحواريين بقيامة المسيح من القبر ، واستنكروا ظهوره بعد موته ، وهذا الإنكار يلقى الضوء الواضح على نجاة المسيح من الصلب المزعوم للسيد المسيح عليه الصلاة والسلام .

ففى [متى ٢٨ : ١٧] [أن التلاميذ لما رأوه — أى ظهر بعد أن زعموا موته — سجدوا له ولكن بعضهم شكوا] فمن أى شىء كان شكهم ؟ هل شكوا فى حقيقة موته بعد إذ قد رأوه مازال حيا بحياته الدنيوية المعهودة لهم من قبل ، كما يتأكد ذلك من نص (لوقا) الآتى؟ أم أنهم شكوا فى حياته بعد موته، حيث لم تجر العادة فى تاريخ البشرية أن يقوم إنسان حيا بعد موته؟ أللهم إلا ما قد رأوه من إحياء المسيح أثناء رسالته لبعض الموتى كمعجزة له على صدق دعوته ، وآية من آيات الله على تصديقه .

إن القرآن الكريم يفصح عن هذه الحقيقة فيؤكد أن شكهم قد تسرب

إلى قلوبهم فى اعتقاد موته ، فلم يعد موته بعد ظهوره حقيقة واقعة ، بل حقيقة مشكوكا فى وقوعها .

قال سبحانه : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه »(١) .

أما فى (مرقس ١٦ : ١٠ — ١٤) فإن التلاميذ لم يصدقوا مريم المجدلية حين أخبرتهم بظهوره ، ولما ظهر لاثنين من التلاميذ كانا يمشيان فى البرية ثم ذهبا وأخبرا باقى التلاميذ (الحوارين) فلم يصدقوهما ، كما لم يصدق هذان الرجلان ذلك الظهور أيضا ، وأخيراً ظهر للأحد عشر ووبخهم على عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا بظهوره بعد إذ نظروه قد قام .

إن الأناجيل تزعم أنه أخبرهم قبل موته أنه ينبغى أن يقوم من الموت بعد ثلاث، فلماذا أنكروا قيامته؟ إن هذا الإنكار يدل على التلفيق فى النصوص من أجل تبرير هذا القيام ، ولكن الحق يعلو على الزيف والباطل ، فإن المسيح لم يخبرهم بذلك من قبل ، وما كان له أن يقول ذلك ، اللهم إلا إذا كان إخباره لهم بظهوره نبوءة له على أنه لن تمسه أيدى أعـــدائه بقتل ولا بصلب، وآية ذلك أنه سيبرهن لهم على ذلك بظوره بعد أن يحدث ما يحدث ويختلط عليهم الأمر ثم يكون ظهوره برهانا عـــلى تكريم الله له بنجاته وإلقاء شبهه على غيره ، وقد كان ما كان من عدم إمكانهم الجمع بين حادثتين يقينيتين فى عقولهم: صلبه وموته ودفنه وهو فى صورة الشبيه أمام أعينهم، وظهوره ووجوده بينهم حيا حياة دنيوية جسدية بلحمه وعظمه جسداً وروحا، فأصبحوا لا يستطيعون الركون إلى أى من الحقيقتين: حقيقة موته وقد تأكدوا منها قبلا ، وحقيقة وجوده وهم متأكدون منها حال ظهوره، فأصبحوا فى شك أمام أمر مريج ، فهذا الإحتمال تحتمله نصوص الأناجيل بحسب حكم العقل .

---

(١) النساء / ١٥٧ ، ١٥٨

وفى [لوقا ٢٤ : ١٠ — ٣٩] رأى التلاميذ أن إخبار النسوة بظهوره هذيان فى القول ولم يصدقوهن . ولما ذهب الرجلان من قرية (عمواس) للتأكد من تلاميذه مما حسبوه من ظهوره وجداهم يقولون: لقد ظهر لسمعان (بطرس) وبينما هم كذلك إذ ظهر المسيح فى وسطهم، فجزعوا منه وخافوا ، ووبخهم على ذلك ، ومع ذلك فلم يصدقوا ، فطلب منهم أن يجسوه فى يديه ورجليه ليعلموا ويتأكدوا أنه ليس روحا بل هو جسد من لحم وعظم ، ولما جسوه تعجبوا ولم يصدقوا إلا بعد أن طلب منهم طعاماً فأكل معهم سمكا مشويا وعسلا .

وفى بداية القول نرى تناقضا ظاهرا : إذ كيف يقولون إنه ظهر لسمعان ، ولما جاء فى وسطهم جزعوا ولم يصدقوا ذلك ؟

ثم نعود فنقول : إذا كان المسيح وهو فى حياته الناسوتية كان يأكل الطعام ويشرب الشراب ، أفنراه بعد موته — وقد زعموا أن الموت وقع على الناسوت دون اللاهوت — يأكل الطعام ويبقى معهم مؤنسا ومحدثا ؟ والمفروض أنه بعد الموت قد عاد سيرته الأولى قبل التجسد إلهيا — كما زعموا — ليصعد إلى الآب حيث عرش سلطانه فى الأعالى ، فلماذا وكيف عاد جسدا لحما وعظما ؟

لأجل هذا لم يصدقوا قيامه من الموت ، وجزعوا وخافوا ، ولكنهم لما تحسسوه لحما وعظما صدقوا بوجوده ، وآمنوا ببقائه حيا ، وشكوا فى حقيقة موته . وتأكد ذلك لديهم بعد أن طلب الطعام وتناوله معهم . فماذا بعد الحق إلا الضلال .

وفى [يوحنا ٢١ : ١٩ — ٢٥] مثل ما قال لوقا . فهو يروى أن المسيح عليه السلام لما ظهر وسطهم لم يصدقوه فى قيامه من الموت حتى قدم لهم برهانا على حياته ، فأراهم يديه وجنبه ، وقدم نفسه ليتحسسوه ، وكان

التلميذ (توما) أحد الاثنى عشر غائبا، ولما أخبره إخوانه بما رأوه من المسيح لم يصدق أيضا حتى حضر المسيح إليهم مرة أخرى بعد ثمانية أيام وقدم نفسه لتوما ليجسه فى يده وجنبه، ولما جسه آمن بما أحس ورأى. ولكن بماذا آمن ؟ أرى أنه آمن بأن المسيح مازال يبقى بحياته الجسدية التى عرفه عليها سلفا، وزال من فكره عوارض صلبه وموته.

إن نصوص الأناجيل الأربعة تنكر على ألسنة التلاميذ قيامه من الموت، وأن ظهوره بين ظهرانيهم بلحمه وشحمه وعظمه إنما هو تصحيح لما التبس عليهم من أمر موته، وأنه نجا مما دبره له أعداؤه من مؤامرة للقضاء على حياته، والله بالغ أمره، وصدق الحق سبحانه وتعالى: «وقولهم إنا قتلنا المسيح بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما». [النساء / ١٥٧، ١٥٨]

ونقول أخيرا: إن بين موت المسيح وقدرته الإلهية تناقض لا يخفى على بسطاء العقول.

تناقض الأناجيل فى التسلسل التاريخى للأحداث:

لقد كانت محاولات التنسيق بين النصوص المتناقضة شغل الكثير من المهتمين بتحرير الأناجيل قبيل نهاية القرن الأول، ولكنهم لم يستطيعوا تنقيتها والوصول بها إلى حد الانسجام، فقد كان من العسير عليهم التفريق بين الحدث التاريخى الحقيق وبين إضافات وحى الروح وتهيؤات الرؤى ذات النشوة الإيمانية. يقول جينيبير:

«قد حاول المحررون المتتابعون لتلك الأناجيل خلال الثلث الأخير من القرن الأول المسيحى أن ينسقوا رواياتهم ويدخلوا عليها شيئا من الانسجام، ولكنهم وجدوا أنفسهم أمام مادة يصعب مراسها فضلا عن

شبه استحالة تحقيق الواقع وتخليصه من الإضافات الخيالية التى كانت فى طيات الروايات المتوارثة ولقد كان من العسير التمييز بين الأحداث التاريخية وبين تلك التى فرض الإيمان وقوعها ... أى بين الذكريات الحقيقية الحية وبين وحى الروح ، ولم يكن هناك إلى جانب ذلك دافع يدفعهم إلى الجد فى طلب هذا التحقيق وهذا التمييز »(١) .

ومن هنا كان تفسير هذه النصوص صعبا ، والجمع بين أطراف معانيها عسير عند قراءتها ، مما جعل الحيرة تستولى على جمهو قرائها لما يجدونه من التنافر والغموض بين طياتها ، لأنها جمعت من أصول قد اختلفت كلها فى اتجاهات كتاباتها ، مما جعل الكثير بل الجمهور يعجز عن حل غموضها والتوفيق بين محتملاتها .

يقول فؤاد حسنين : «والواقع أنه لا يوجد كتاب قديم يتطلب مجهوداً شاقاً لدراسته كما يتطلب العهد الجديد ، وذلك بسبب تعدد رواياته واختلاف مصادره ، فجمعه وقراءته ومقارنة أسفاره المختلفة كل ذلك يتطلب قدرة جبارة ومجهوداً عظيما ، فهذا العمل يتطلب قبل كل شىء إتقانا تاماً للمخطوط ثم تاريخ دور الكتب إلى جانب اللغات والآداب »(٢) .

« وكذلك كان الأمر بالنسبه لما يتعلق بالروايات الخاصة بالسيرة ذاتها ، فهى لا تحكى سوى فصول ومقتطفات من حياة المسيح لا رابط بينها ، وتختلف تفاصيلها باختلاف الرواة ، فكان على محررى الأناجيل أن يغربلوا ، ثم يختادوا ، ثم ينسقوا سيرة متكاملة من هذه المتناثرات المشوشة »(٣) .

---

(١) نشأة المسيحية وتطورها ص ٢٨

(٢) اليهودية واليهوديه المسيحية ص ١٥٢

(٣) نشأة المسيحية ص ٢٨

ولما كان من الصعب بمكان بعد ذلك على الشارحين والمفسرين لنصوص الأناجيل جمع المتناقضات فى إطار من الانسجام المتناغم .. أغفلوا التوفيق بين هذه النصوص وتنقيتها وتنسيقها فى إطار متكامل إلى أن جاء وقته تقدم النقد العلمى ليسدد لها سهام نقده العلمى من حيث مضامينها، ونقده التاريخى من حيث تاريخيتها.

وهنا نرى من المحققين من يلتمس السبب فى إحداث الاضطراب والتناقض فى النصوص «بأن هذا قد نتج عن أخطاء غير إرادية : إما أن يكون الناسخ قد أسقط كلمة، وإما أن يكون قد كتبها مرتين متتاليتين ، وإما أن يكون قد حذف سهوا جزءا من الجملة كان موضوعا فى النص المطلوب نسخه بين كلمتين متماثلتين . وقد يكون المقصود به أيضا تصحيحات إرادية : إما لأن الناسخ قد سمح لنفسه بتصحيح النص حسب أفكاره الشخصية، وإما أنه يبحث عن التوفيق بين النص ونص آخر مواز حتى يقلل الاختلاف بينهما بشكل قد يقل أو يزيد مهارة ، وبهذا التدرج ازداد تردد النساخ فى إجراء مثل هذه التصحيحات التى كان يقوم بها من سلفهم ، وبهذا اعتقدوا أنهم ينقلون النص الصحيح وبهذا ثبتوا النقاط التفصيلية المختلفة ، أحيانا أخرى يكتب الناسخ تعليقا على هامش النص ليشرح عبارة مبهمة، ويأتى الناسخ التالى ويظن أن العبارة المكتوبة على هامش النص قد سقطت عند ناسخ آخر ، ويرى ضروريا إدخال التعليق الهامشى على النص ، وبهذا يصبح النص الجديد المنقول أكثر غموضا»(١) .

ويقول فؤاد حسنين: «وقد أدت مقارنة النصوص ببعضها إلى اكتشاف اختلاط بينها ، وأصبحت التفرقة بينها من حيث قيمتها وحجتها متعذرة

---

(١) موريس بوكاى/ دراسة الكتب المقدسة ص ١٠٢

جدا حتى إن الباحث ليعجز عن إدراك أى النصين يجب أن يكون هو الأصل الذى يعتمد عليه وأيها هو المحرف الدخيل»(١) .

إن الفوارق والمخالفات بين أسفار العهد الجديد وأجزائه جاءت بسبب إعطاء الكاتب لنفسه حرية التعديل والحذف والإضافة فى النصوص من غير اعتماد على خطة مسلسلة مرتبة مترابطة الأحداث الحقيقية عن المسيح ورسالته ، فقد كتب كل كاتب أحداث سفره حسب هواه وترتيبه الخاص بعيدا عن تقفى الآثار الواقعية ، كأنما كل همه أن يدون من المرويات ما ينمو إلى علمه دون مراعات لتناسق هـذه المرويات . أو ملاحظة لمتناقضاتها . يقول جينيبير :

« وتصفح الأناجيل وحده يكفى لإقناعنا بأن مؤلفيها قد توصلوا إلى تركيبات واضحة التعارض لنفس الأحداث والأحاديث مما يتحتم معه القول بأنهم لم يلتمسوا الحقيقة الواقعية ، ولم يستلهموا تاريخا ثابتا يفرض تسلسل حوادثه عليهم ، بل على العكس من ذلك : إتبع كل هواه وخطته الخاصة فى تنسيق وترتيب مؤلفه ، ولا شك أيضا فى أنه لم يعتمد أحـد منهم على سلسلة كاملة مترابطة من الوقائع تسمح له بأن يضع صورة واضحة لحياة المسيح ، فلم يكن عملهم إذن سوى أن يربطوا — فى كثير أو قليل من المهارة — بين أطراف من المرويات ، وأن يشكلوا منها سيرة افتقرت إلى الوحدة الحقيقية ، كما أن عناصرها تبدو مجموعة فى إطار مصطنع ، ومن الواضح ألا يربط أيامنها بالواقع التاريخى علاقة تذكر ، وإنا لنلحظ فى ثنايا هذه السيرة الإنجيلية نقصا كثيرا وفجوات خطيرة »(٢) .

إن التناقض فى نصوص الأناجيل موضوعيا وتاريخيا أصبح أمرا

---

(١) اليهودية واليهودية المسيحة ص ١٥٣

(٢) نشأة المسيحية ص ٢٨، ٢٩

متعارفا عليه بين المحققين والملقين من المسيحيين ينطق به القاصي والداني، وقد جرى ذلك على ألسنة نقادها .

يقول ول ديورانت : «وملاك القول أن ثمة تناقضا كثيرا بين بعض الأناجيل والبعض الآخر، وإن فيها نقطا تاريخية مشكوكا فى صحتها ، وكثيرا من القصص الباعثة على الريبة والشبهة بما يروى عن آلهة الوثنيين ، وكثيرا من الحوادث التى يبدو أنهـا وضعت عن قصد لإثبات وقوع كثير من النبوءات الواردة فى العهد القديم ، وفقرات كثيرة ربما كان المقصود منها تقدير أساس تاريخى لعقيدة متأخرة من عقائد الكنيسة ، أو طقس متأخر من طقوسها . لقد كان المبشرون بالإنجيل يرون كما يرى [شيشرون] [وسالست] [وتاستس] أن التاريخ وسيلة لنشر المبادىء السامية ، ويبدو أن ماتنقله الأناجيل من أحاديث وخطب قد تعرضت لما تتعرض له ذاكرة الأميين من ضعف وعيوب، ولما يرتكبه النساخ من أخطاء أو تصحيح»(١) .

ومع ذلك فإن الثابت من التاريخ لدى المحققين أن مضامين هـــذه المكتوبات الإنجيلية قد غير فيه كثيرا بالتعديل الذى لم يكن ليقره كاتبوه الأولون ، وكان ذلك خلال فترة زمنية ليست بالقصيرة ، يقرر سلسس(٢): بأن التحريف أصاب الأناجيل منذ وجودها المبكر فيقول : «بدل النصاري أناجيلهم ثلاث أو أربع مرات . بل أكثر من هذا تبديلا كأن مضامينها بدلت»(٣) .

---

(١) قصة الحضارة جـ ٣ م ٣ صـ ٣١٠
(٢) سلسس أحد العلماء الوثنيين فى القرن الثاني الميلادى
(٣) أنظر عقيدة الصلب والفداء للسيد رشيد رضا صـ ٤١

الباب الرابع

أناجيل أخرى وفرق في المسيحية المبكرة

ويشتمل على الفصول التالية :

١ ــ الفصل الأول : قصة اختيار الأناجيل الرسمية من بين عشرات الأناجيل

٢ ــ الفصل الثاني : برنابا والإنجيل .

٣ ــ الفصل الثالث : فرق موحدة ولها أناجيل

٤ ــ الفصل الرابع : فرق منشقة ولها أناجيل



الباب الرابع

أناجيل أخرى وفرق فى المسيحية المبكرة

قال تعالى : « وإن الذين اختلفوا فى الكتاب
لفى شقاق بعيد » البقرة ١٧٦

لا خلاف بيننا وبين المسيحيين فى أن الإنجيل الذى جاء به المسيح - عليه السلام - إنجيل واحد ، لا تعارض فى آياته ، ولا تنافر بين معانيه وكلماته ، لأنه وحى من الله الحق ، والحق لا يتعارض مع الحق .

ويجمع مؤرخوا المسيحية وقدماء المفسرين للكتاب المقدس على أن تلاميذ المسيح (الحواريين) لم يتسلموا منه الإنجيل مكتوبا ، وإنما تلقوه منه شفاها ، ورفع المسيح ولم يكتبه عنه ولا واحد . وما كاد يمضى على رفعه بضع عشرة سنة حتى ظهر فى عالم النصرانية عدة مكتوبات مختلفة النصوص والمعانى من الوجهة الدينية ، وكان كل مكتوب منها يحمل اسم (إنجيل المسيح) وقد تفرقت الأمة بسبب هذه الكتب إلى شيع وإلى كنائس يخطىء بعضها بعضا ، فكان لكل شيعة كتاب تقدره وغيرها ينكره ، وتعتقد أنها على دين المسيح ، وما عداها ليس على شىء من الحق ، واستمر الحال على ذلك طيلة ثلاثة قرون .

الفصل الأول

قصة اختيار الأناجيل الرسمية من بين عشرات الأناجيل

لسبب سياسى أظهر الإمبراطور الرومانى قسطنطين إيمانه مبدئيا بالدين المسيحى ، ولما أعلن إظهار هذا الدين أطلت برؤوسها التصورات العديدة فى تحديد شخصية المسيح كنبى أو كإله ، كما ظهرت عشرات الأناجيل وكان كل إنجيل منها يؤيد أحد هذه التصورات ويعارض الآخرين ، وصار الأمر إلى معارضات ومناقضات حول أهم قضيتين فى الدين :

الأولى : تحديد مكانة المسيح .

الثانية : إختيار الأناجيل التى يرون قدسيتها .

وكان لابد من حسم الأمر ، فدعا الامبراطرر إلى اجتماع دينى ، وانعقد المجمع الأكبر بمدينة (نيقية) بآسيا الصغرى ، من كهنة ورؤساء دينيين قد دعوا وحضروا من أقاليم متباعدة من أرجاء الامبراطورية الرومانية ، ذكر التاريخ الكنسى أن عددهم كان ألفين وثمانية وأربعين بين تابع ومتبوع ، وكان كل رئيس منهم زعيما لشيعة تسير على منهاجه وتخضع لرأيه ، وكان كل زعيم بيده كتاب يسميه (إنجيل) .

كان هذا الاجتماع سنة ٣٢٥ ميلادية بطلب من الملك قسطنطين الأول الذى ندبهم إليه وغمرهم بعطفه وإكرامه ، وأجرى عليهم الأرزاق ، وقد أشار عليهم بأن يكفوا عن الشقاق وأن يتجنبوا النفاق ، وأن يحلوا المسائل المتنازع فيها وفق الحق الذى شرعه الله فى إنجيل المسيح ، غير أن أولئك الزعماء الدينيون الذين كان الملك ينظر إليهم بعين العطف والاحترام والإجلال بدلا من أن يتباحثوا ويتفاوضوا بصفاء وينشدوا الحق بالتفاهم

عن طريق المعقول والمنقول ، لكنهم تدرجوا من المباحثة إلى المنازعة والمشاتمة،ومن المجادلة إلى المجالدة والمضاربة ، حتى كأنهم قد نسوا الغرض الذي لأجله جمعهم الملك ،فلم يزدادوا فى ذلك إلا نفورا ، ولم يزيدوا مجرى الوفاق إلا تكديرا .

وحينئذ رأى الملك أن هذه المسألة الخطيرة لا يمكن الفصل فيها إلا بالتدابير الشديدة فأطلق يد صديقه البطريك كاهن رومية الذي أخرج من المجمع أكثر من سبعمائة من الأساقفة ، وكان عدد حزبه وقتئذ ثمانية عشر وثلثمائة أسقف فهم الذين أبقاهم لاجتماع خاص يحسم بهم المسألة ، وكان فى مقدمتهم (ألكسندروس) بطريرك الأسكندرية ، وانتهى أمرهم فى هذا الاجتماع بتقرير ألوهية المسيح مع الله الآب — حسب مقالة بولس — ثم تألفت من هؤلاء لجنة بأمر بطريرك رومية ، وعهد إليها مهمة تصفية الأناجيل ، وكان عددها إذ ذاك قد فاق عن السبعين إنجيلا ، فاختاروا منها الأربعة أناجيل المعتمدة حاليا وحكموا ببطلان ماعداها من الأناجيل الأخرى كلها ، وقرروا أنها مكذوبة ، أما الأناجيل الأربعة التى اعتمدت فى هذا المجمع وأصبحت الأناجيل الرسمية فإليك بيانها وعدد إصحاحاتها :

١ — إنجيل متى : وعدد إصحاحاته ثمانية وعشرون .

٢ — إنجيل مرقس : وعدد إصحاحاته ستة عشر .

٣ — إنجيل لوقا : وعدد إصحاحاتة أربعة وعشرون .

٤ — إنجيل يوحنا : وعدد إصحاحاته واحد وعشرون[1] .

---

(١) يقول الدكتور على وافى فى كتابه « الأسفار المقدسة السابقة =

وأما الأناجيل التى حكموا ببطلانها وردوها فقد قال الشيخ محى الدين البغدادى فى بيانها:

بأن أحد المحققين المسيحيين قد ذكرها فى آخر كتاب أسماه (اكسيهومو) وكان قد ألفه للرد على فرقة بروتستانت ، وطبع فى لندن سنة ١٨١٣ ميلادية حيث قال : « هذه فهرست الكتب التى ذكرها المشايخ القدماء المسيحيون مع بيان أسماء الذين نسبت إليهم ، وهى غير الكتب المعمول بها اليوم عند فرقة بروتستانت .

المنسوب منها إلى المسيح :

(١) رسالته إلى أبكرس مالك أديسه (٢) رسالته إلى بطرس وبولس (٣) كتاب التمثيلات والوعظ (٤) زبوره الذى كان يعلمه للحواريين خفية (٥) كتاب الشعبذات والسحر (٦) كتاب مسقط رأس يسوع (٧) رسالته التى هبطت من السماء فى المائة الثالثة .

= على الإسلام ص ٨١ ، ٨٢ « إن هذه الأناجيل الأربعة المعتمدة كانت قبل اختيارها فى مجمع نيقية أقل ذيوعا وشهرة من بعض الأناجيل الأخرى ، بل كانت مجهولة لكثير من المسيحيين ، وأول من أذاع ذكر هذه الأناجيل القديس (إرينيه) إذ قرر فى سنة ٢٠٩ ميلادية أن هذه الأناجيل الأربعة هى مجرد صور لإنجيل واحد ، ثم جاء من بعده القديس كليمان الأسكندرى (وهو من كبـــار رجال الكنيسة وفقهائها مات سنة ٢٢٠ م) وقرر فى سنة ٢١٦ م أن من واجب المسيحى التسليم بصحة هذه الأناجيل الأربعة » .

المنسوب إلى مريم أم المسيح :

١) رسالتها إلى إكناس . ٢) رسالتها إلى سيسليان .
٣) مسقط رأس مريم . ٤) كتاب مريم وطفلها .
٥) تاريخ مريم وحديثها . ٦) كتاب معجزات يسوع .
٧) كتاب السؤالات الصغار والكبار لمريم .
٨) كتاب نسل مريم والخاتم السليمانى .

المنسوب إلى بطرس الحوارى :

١) إنجيل بطرس ٢) أعمال بطرس .
٣) مشاهدات بطرس الأولى ٤) مشاهدات بطرس الثانية .
٥) رسالته إلى كليمنس . ٦) مباحثات بطرس .
٧) تعليم بطرس . ٨) وعظ بطرس .
٩) آداب صلاة بطرس . ١٠) كتاب مسافرة بطرس .
١١) كتاب قياس بطرس .

المنسوب إلى يوحنا :

١) أعمال يوحنا . ٢) الإنجيل الثانى ليوحنا .
٣) كتاب مسافرة يوحنا . ٤) حديث يوحنا .
٥) رسالة يوحنا إلى هيدوبك ٦) كتاب وفاة مريم .
٧) تذكرة يسوع ونزوله ٨) مشاهدات يوحنا الثانية .
٩) آداب صلاة يوحنا .

المنسوب إلى أندياه الحوارى :

١) إنجيل اندرياه . ٢) أعمال إندرياه .

المنسوب إلى متى الحوارى :

١) إنجيل الطفولة . ٢) آداب صلاة متى .

المنسوب إلى فيليبس :

١) إنجيل فيليبس . ٢) أعمال فيليبس .

المنسوب إلى بروثولماس الحوارى :

١) إنجيل بروثولماوس .

المنسوب إلى توما الحوارى :

١) إنجيل توما . ٢) أعمال توما .
٣) إنجيل طفولة يسوع . ٤) مشاهدات توما.
٥) كتاب مسافرة توما.

المنسوب إلى يعقوب الحوارى :

١) إنجيل يعقوب[1] . ٢) آداب صلاة يعقوب .
٣) كتاب وفاة مريم .

---

(١) إن هذا الأنجيل يقص أموراً عن تاريخ مريم وطفولة المسيح أغفلتها الأناجيل الأربعة المعتمدة .

المنسوب إلى متياس(١) الحواري:

١) إنجيل متياس . ٢) حديث متياس .

٣) أعمال متياس .

المنسوب إلى مرقس:

١) إنجيل المصريين . ٢) آداب صلاة مرقس .

٣) كتاب بيشن برهاز .

المنسوب إلى برنابا:

١) إنجيل برنابا . ٢) رسالة برنابا .

المنسوب إلى تهيودوس:

١) إنجيل تهيودوس .

المنسوب إلى بولس(٢):

١) أعمال بولس ٢) أعمال تهكاء .

٣) رسالته إلى لادوكبين ٤) رسالته الثانية إلى أهل سالونيكى .

٥) رسالته الثالثة إلى أهل كورنثوس .

٦) رسالته أهل كورنثوس إليه وجوابه عليها .

---

(١) متياس هذا لم يكن من الحواريين، ولم تسبق له صحبة المسيح ، وإنما أدخلوه فى زمرة الحواريين بدلا من يهوذا الإسخريوطى الذى هلك وذلك بعد رفع المسيح . إقرأ سفر الأعمال ١ : ٢١

(٢) هذه الكتب المذكورة له هنا هى غير رسائله المدونة فى مجموعة العهد الجديد .

٧) رسالته إلى سنيكا وجواب سانيكا عليها .

٨) شاهدات بولس الأولى ٩) مشاهدات بولس الثانية.

١٠) ميزات بولس. ١١) أنا بيكش بولس .

١٢) إنجيل بولس ١٣) وعظ بولس .

١٤) كتاب رقية الحية لبولس . ١٥) بربسبت بطرس ديولس .

ثم قال صاحب كتاب (اكسيهومو) بعدما سرد أسماء هذه الأناجيل والرسائل وأسماء من نسبت إليهم : « هكذا ظهر طغيان الأناجيل والرسائل والمشاهدات إلى هذا الحد ، ولازال أكثرها مسلما ومعمولا به عند بعض الفرق المسيحية إلى عصرنا هذا — أى عصر مؤلف كتاب اكسيهومو — فكيف تستطيع فرقه بروتستانت أن تثبت أنها كتب باطلة واجبة الرد ، وأن الكتب التى فى يدها واجبة التسليم؟؟ مع أننا عندما نلاحظ أن جميع هذه الكتب المسلمة أو المردودة كانت قبل إيجـــاد صناعة الطبع قابلة للإلحاق والتحريف ، فحينئذ يقع الإشكال الذى لا يمكن حله بوجه من الوجوه » .

هذا هو رأى صاحب كتاب [اكسيهومو] وتوقعات ملاحظته(٢) عليها ،

---

(١) راجع محي الدين البغدادى — مجلة الاسلام — السنة السادسة عدد ٣٧ (رأى وتعليل)

(٢) هناك إنجيـــل آخر ذكره الدكتور (وافى) لأهميته فى العقيدة المسيحية ، ذلك هو الإنجيل المنسوب إلى القديس (نيكوديم) (أحد رؤساء اليهود فى عهد المسيح ، وقد لقى المسيح وجرت له معه مناقشات فى الشئون الدينية ، وآمن رسالته ،وأظهر إيمانه بعد رفع المسيح — وقد كتب إنجيله باليونانية ، ويعطى فيه بعض تفاصيل لم تذكرها الأناجيل

كما أن هناك أناجيل أخرى أيضا ذات شهرة فائقة التعاليم فى المسيحية وهى:
(إنجيل السبعين) وينسب تلامس .

وإنجيل يقال له (إنجيل الإثنى عشر) وانجيل اشتهر باسم (انجيل التذكرة) .

وإنجيل كان يسمى (إنجيل العبريين أو الناصريين) وإنجيل كان يسمى (إنجيل المصريين) .

وقد ألقى الدكتور على وافى بيانا فى كتابه عن إنجيل متى غير المعتمد فقال عنه : (أن أهم مايختلف فيه هذا الإنجيل عن الأناجيل الأربعة ما يذهب إليه فى تاريخ مريم أم المسيح ، وذلك أن الأناجيل[1] الأربعة تذكر أن مريم كانت مخطوبة أو زوجة ليوسف النجار ، وأنها جاءت بالمسيح بدون أن يمسها يوسف هذا . وأما إنجيل متى غير المعتمد عندهم فيقرر أنها لم تكن زوجة ولا مخطوبة ، وانما كانت من العذارى اللائى نذرن أنفسهم ، ونذرهن أهلهن لخدمة المعبد ، أى أنها كانت من الراهبات اللائى كن يتوفرن على العبادة وخدمة المعابد التى يعتكفن فيها ، وهذه الطائفة كان يحرم على أفرادها الزواج والإتصال بالرجال كشأن الراهبات المسيحيات فى الوقت الحاضر ، ويتفق هذا من بعض نواحيه مع ماورد القرآن فى هذا الصدد إذ يقول : « إذ قالت امرأة عمران رب إنى نذرت

= الأربعة عن موت المسيح ونزوله الى «المطهر» أو البرزخ ، أو الأعراف (والمطهر عند المسيحيين : مقر الأرواح الطيبة التى مات أصحابها قبل بعث المسيح ، ومقر أرواح الأطفال الذين ماتوا من قبل أن يعمدوا ، ومقر مرتكبى الخطايا من المسيحيين . ويجتاز هؤلاء جميعا فى المطهر مرحلة ألم وعذاب قبل أن يدخلوا الجنة » .

لك ما فى بطنى محرراً فتقبل منى انك أنت السميع العليم — إلى قوله تعالى: إن الله يرزق من يشاء بغير(١) حساب(٢)) .

وبعد : فإن من حقنا التعقيب بما يأتى على ماذهبوا إليه من قبول بعض الأناجيل واعتبارها رسمية ورد الكثرة الكاثرة من هذه الأناجيل:

أولا : نقول لهم : بأى دليل عقلى أو نقلى أمكنهم أن يحكموا بصحة هذه الكتب التى قبلوها وأى مسوغ لهم فى ذلك ؟ وبأى دليل عقلى أو نقلى أيضا أمكنهم أن يحكموا بفساد الكتب التى رفضوها ، مع أن جميعها منسوبة إلى أناس يحظون باحترام الكنيسة ويعتقدون فيهم الصدق وأمانة النقل وفضلا عن كونهم ملقبين بالقديسين ؟ .

ثانيا : بما أن تلك الكتب والرسائل المتعددة التى ظهرت فى عالم النصرانية منذ العصر الأول،قد نسبت إلى أناس بعضهم لم يجتمع بالمسيح ولا تلقى عنه شيئا ، وقد كانت قابلة للتحريف والزيادة والنقص حينما كانت تخط باليد قبل إيجاد صناعة الطبع ، حتى أصبحت مدعاة للتنازل فى شأن قبول بعضها ورفض الآخر ، وما يكون منها مسلما فى زمن يكون مردوداً فى زمن آخر ، فلا ينبغى لأحد أن يحفل بها أو يعتبرها شيئا من الوجهة الدينية . بل العقل السليم يحكم برفضها أجمع بما فيها الأناجيل والرسائل الرسمية لأنها من عند غير الله .

ومن المعلوم أن المسيح دعا قومه إلى الإيمان بإنجيله المنزل عليه من الله فقال (توبوا وآمنوا بالإنجيل) وهو بلا ريب إنجيل واحد لا يجرأ أحد على أن يفعل به كما فعلوا بتلك الكتب ، أى أن يغير منه جملة أو كلمة

---

(١) من سورة آل عمران ٣٥ — ٣٧

(٢) الأسفار المقدسة ص ٨٢ ، ٨٣

أو حرفا أو حتى نقطة واحدة ، ولا أن يختلف اثنان فى آية من آياته ، فيصير متبعوه بين مؤمن ببعضها وكافر بالبعض الآخر ، لأنه كلام الله الذى لا يأتيه الباطل ، وهو الناموس الإلهى القوي الدعائم المتين الأركان الذى أقيم عليه صرح الشريعة العيسوية ، فذلك هو الكتاب الذى كان يجب على الأمة أن تحصل عليه ، وتقتدى به ، وتهتدى بهديه ، وتحرص عليه حرصها على الحياة الأبدية ، وذلك هو الكتاب الذى جاء ذكره فى القرآن الكريم باسم (إنجيل) وهو الذى نعتبره الإنجيل الحق ونؤمن بأنه كلام الله الحق .

ولكن أنى لهذه الأمة أن تحصل على إنجيل المسيح وهو لم يكتب فى حضرته ، ولا وجدت منه نسخة واحدة مسطورة من بعده ؟ فكأنه رفع برفعه ، وزال من العالم بزواله .

أما ما حفظه الحواريون من تعاليم المسيح ومواعظه وآدابه التى قاموا بنشرها من بعده بقصد أنها تمثل ما فى الإنجيل من مبادىء وقواعد ، فما كاد يمضى زمانهم حتى حدث الشقاق بين تابعيهم ، واختلفوا فيما ورثوه من تعليمهم ، فتعددت الكتب ، وتضاربت النصوص ، واختلط الحق بالباطل ، والصحيح بالكاذب ومن الواضح الجلى أن أولئك الحواريين لو كانوا ورثوا انجيل المسيح الأصلى مكتوبا فى مصحف ثم أورثوه تابعيهم يدأ بيد كما تسلموه ، لبقى هو وحده الكتاب المصون من العبث ، بحيث لو ظهر كتاب آخر يختلف عنه فى شىء لكذبوه وعدوا مخترعه مزورا ، لأن من يؤمن بالله ورسوله ، ويصدق بكلمات الله الموحى بها إلى أنبيائه محال عليه أن يهجر كتاب الله ويتبع كتبا هى من تصانيف البشر .

وصفوة القول أن إنجيل المسيح الحق لم يوجد فى العالم ، بدليل أنه

لو وجد لما انصرفت عنه الأمة وتعلقت بغيره لأن من يعرف الأصل لا يحفل بالتقليد(١).

هذا، وسنقوم فى الفصول التالية بدراسة على بعض من الأناجيل غير المعتمدة وفرقها لاختلافها من حيث الجوهر عن الأناجيل الأربعة المعتمدة من حيث العقيدة، وشخصية المسيح وتاريخه، وتاريخ مريم عليهما السلام .



---

(١) راجع فى هذه الفقرة مقال الشيخ محي الدين البغدادى - مجلة الإسلام عدد ٣٧ ديسمبر سنة ١٩٣٧م

الفصل الثانى

برنابا والإنجيل

تناول العلماء الباحثون الأوربيون انجيل (برنابا) بالبحث والدراسة تاريخياً وعلمياً ، ولم يحل دون جهودهم هذه تحريم الكنيسة له وإنكاره .

والذى حدا بالكنيسة إلى ذلك هو ما أنتجه البحث العلمى من كشف غير مرتقب فى ظهوره المفاجىء ، إذ قد تضمن هذا الإنجيل قضايا ضد تعاليم الكنيسة على ما سنعرفه .

وقد قام بترجمة هذا الإنجيل من الإنجليزية إلى اللغة العربية الدكتور (خليل سعادة) فى أول هذا القرن (العشرين)وقدم له بمقدمة علمية تاريخية وقام بنشره السيد / رشيد رضا ، وقدم له بمقدمة علمية تاريخية ناقدة .

التعريف بالكاتب :

كاتب هذا الإنجيل هو(يوسف) وقد تسمى بين الرسل والدعاة (برنابا) ومعناه (ابن الوعظ) وهو لاوى ، من فرع لاوى بن يعقوب عليه السلام أحد أسباط بنى إسرائيل الإثنى عشر ، وبرنابا قبرصى الجنسية ، وكان له حقل باعه وأتى بالدراهم ووضعها تحت تصرف الرسل(١) (الحواريين) فقد كانت حياة المسيح مع أتباعه حياة اشتراكية،فكل الذين كانوا أصحاب

---

(١) راجع سفر أعمال الرسل ٤ : ٣٦ ، ٣٧

حقول أو بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويضعونها تحت تصرف الجميع فكان يوزع على كل حسب احتياجه(١) .

وقد اختاره المسيح ضمن رسل النصرانية وداعية من دعاتها إلى قرى ومدن بنى اسرائيل .

وهو أحد قديسيهم الأوائل المبرزين باجماع المسيحيين ، وكان من أوائل المرسلين إلى المدن المختلفة بعد المسيح ، وهو الذى قام على حماسته أعظم أركان الدعاية لهذا الدين فى عصره المبكر .

مكانة برنابا بين الرسل والحواريين :

أما مكانة برنابا بين الرسل والحواريين ، فإنه أحد الحواريين الإثنى عشر على ماجاء فى إنجيله . فقد ورد فيه قوله : « فلما رأى يسوع أن الجمهور الذى عاد إلى نفسه ليسلك فى شريعة الله جمهور غفير صعد الجبل ومكث كل الليل بالصلاة ، فلما طلع النهار نزل من الجبل وانتخب اثنى عشر سماهم رسلا منهم يهوذا الذى صلب ، أما أسماؤهم فهى :

إندراوس ، وأخوه بطرس الصياد ، وبرنابا الذى كتب هذا مع متى العشار الذى كان يجلس للجباية ، ويوحنا ويعقوب ابنا زيدى ، وتداوس ويهوذا ، وبرثو لماوس ، وفيلبس . ويعقوب ويهوذا الإسخريوطى(٢)

فإذا تجاوزنا هذا الإنجيل إلى العهد الجديد فإننا نجده أحد الرسل

---

(١) أعمال ٢ : ٤٥ و ٣ : ٣٤ ، ٣٥

(٢) إنجيل برنابا ١٤ : ٩ - ١٣

السبعين الذين أرسلهم المسيح إلى المدن والقرى اليهودية فى حياته على الأرض وهؤلاء لا يفترقون فى الوظيفة الدينية عن الحواريين .

وأيا ما كان الأمر فقد باشر (برنابا) مهمة التبشير بالدين وخاصة بعد المسيح عليه السلام(١) .

وكان يتمتع بالثقة التامة بين النصارى من الحواريين والرسل الأوائل فى الإيمان والدعوة حتى نراه وهو الشاهد الوحيد لدى الرؤساء والمشايخ والتلاميذ على إيمان بولس الرسول كما جاء فى سفر الأعمال .

ولم يأخذ القديس بولس مكانته فى الكنيسة والاطمئنان إلى إيمانه إلا بعد تزكية برنابا له ، مما يدل على أن قوله حجة ، ورأيه له حسابه فى الكنيسة الأولى الرئيسية .

ونستنتج من كل ذلك أنه من القديسين ، وقد تضمن سفر أعمال الرسل من العهد الجديد الكثير من عمله وإبراز شخصيته ، وهو سفر يعتبر الأهم فى تاريخ أعمال الرسل والحواريين فى عرف الكنيسة ، بل إنه المؤشر الوحيد إلى محاور الديانة المسيحية فى أصولها ومنعرجاتها واتجاهات دعاتها .



---

(١) أعمال الرسل ١٣ : ٢ ، ٧ وقد سجل هذا السفر نشاطه فى الدعوة فى مواضع كثيرة .

شهادات العهد الجديد لمكانة برنابا فى الكنيسة:

فى مجال البيان لاسمه وجنسيته وإخلاصه فى العقيدة ، وبيعه كل مايملك ووضعه ذلك بين أيدى الرسل والتلاميذ ، ماجاء فى سفر الأعمال من قوله : ويوسف الذى دعى بين الرسل برنابا الذى يترجم ابن الوعظ ، وهو لاوى قبرص الجنس إذا كان له حقل باعه وأتى بالدراهم ووضعها عند أرجل الرسل »(١)

وينطق هذا السفر بشهادة برنابا على إيمان (شاول) المشهور باسم (بولس) الرسول ، وهى شهادة تبين مدى تمكن الشاهد فى مكانته من الكنيسة .

« ولما جاء شاول (بولس) إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وحدثهم كيف أبصر الرب فى الطريق وأنه كلمه (٢) وكيف جاهر فى دمشق باسم يسوع »(٣) وهذا مع تحفظنا على ماأسند إلى برنابا من حديثه بأن بولس أبصر الرب وكلمه ، فهذا الاسناد إليه زور .

وزعموا أن الروح القدس خصه بشرف التعليم والتبشير وأرسله لهذا الغرض إلى بلاد عديدة : « وكان فى أنطاكية فى الكنيسة هناك أنبياء ومعلمون برنابا وسمعان الذى يدعى نيجر ولوكيوس القيروانى ومناين الذى تربى مع هيرودس رئيس الربع ، وشاول ، وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس إفرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما

---

(١) أ ع : ٤ : ٣٦ ، ٣٧

(٢) لنا على ذلك ملاحظات :

(٣) أ ع ٩ : ٢٦ ، ٢٧

إليه ، فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليهما الأيادى ثم أطلقوهما ، فهذان إذ أرسلا من الروح القدس انحدرا إلى سلوكية، ومن هنا سافرا فى البحر إلى قبرص ولما صارا فى سلاميس ناديا بكلمة الله فى مجامع اليهود وكان معهما يوحنا(١) خادما(٢) »

ومن المعلوم أن واضع سفر الأعمال هو لوقا تلميذ بولس كما سبق بيان ذلك ، فإذا احتمل العقل أن لوقا جامل بولس فى إسناده اختيار الروح القدس له للتبشير فانه من المستبعد أن يجامل برنابا بنفس الدرجة ، وعليه فان القول باختيار برنابا للقيام بهذه المهمة يكون قولا له نصيب كبير من الحقيقة، خاصة وأنه كان من التلاميذ السبعين المرسلين من عيسى إلى مدن وقرى بنى إسرائيل .

ويتابع هذا السفر بيان إسناد مهام الدعوة إلى برنابا واختياره من أجل تبصير المهتدين إلى الإيمان بهذا الدين فيقول :

« فسمع الخبر عنهم فى آذان الكنيسة التى فى أورشليم فأرسلوا إلى برنابا لكى يجتاز إلى أنطاكية الذى لما أتى ورأى نعمة الله فرح ووعظ الجميع أن يثبتوا فى الرب بعزم القلب، لأنه كان رجلا صالحا وممتلئا من الروح القدس والإيمان، فانضم إلى الرب جمع غفير ، ثم خرج برنابا إلى طرسوس ليطلب شاول، ولما وجده جاء به إلى أنطاكية، فحدث أنهما اجتمعا فى الكنيسة سنة كاملة وعلما جمعا غفيرا ودعى التلاميذ مسيحيين فى أنطاكية أولا . فحتم التلاميذ حسبما تيسر كل منهم أن يرسل كل واحد شيئا خدمة إلى الأخوة الساكنين فى اليهودية ففعلوا ذلك مرسلين إلى المشايخ بيد برنابا وشاول»(١)

---

(١) يفهم من السياق الآتى أنه يوحنا الملقب مرقس الانجيلى

(٢) أع ١٣ : ١ - ٥

(٣) أع ١١ : ٢٢ — ٣٠

ثم يستمر السفر فى متابعة هذه الرحلة فيقول :

« وأما كلمة الله فكانت تنمو أو تزيد ورجع برنابا وشاول من أورشليم بعدما كملا الخدمة وأخذا معهما يوحنا الملقب مرقس »(١) ثم يقول :

ولما انفضت الجماعة تبع كثيرون من اليهود والدخلاء والمتعبين بولس وبرنابا اللذين كانا يكلمانهم ويقنعانهم أن يثبتوا فى نعمة الرب »(٢) .

وفى موضع آخر يتحدث هذا السفر ليستكمل ملابسات هذه القضية فيقول :

« لكن بنعمة الرب يسوع المسيح نؤمن أن نخلص كما أولئك أيضا ، فسكت الجمهور كله وكانوا يسمعون برنابا وبولس يتحدثان بجميع ماصنع الله من الآيات والعجائب فى الأمم بواسطتهم »(٣)

ويذكر سفر الأعمال أن برنابا وبولس وجها الدعوة للأمم من غير اليهود ، وهذا طبعا على خلاف دعوة المسيح الذى لم يرسل إلا لبنى إسرائيل خاصة ، ومن المحتمل أن من الأمميين من أراد الدخول فى ديانة عيسى ، ولكنهم فوجئوا بأن من تعاليم الشريعة ختان الذكور ، الأمر الذى لم يتحمله الوثنيون من الأمم غير الإسرائيلية فحصلت منازعة بين بولس وبرنابا وبين هؤلاء المدعوين إلى الإيمان ، ولكنهما لم يرتضيا التنازل عن الختان أو الإعفاء منه فرجعا إلى أورشليم لاستشارة المشايخ والرسل من الحواريين فى ذلك لأنهم الجماعة الأولى التى ترتكز الدعوة على مشورتهم

ويزعم السفر المذكور أنه بعد الاجتماع واتخاذ القرار أرسلوا آخرين لتبليغ قرارهم إلى الأمم لكن برنابا قد أرسلوه معهم لما يحوز من الثقة فى نظر هذه الجماعة الأولى فى النصرانية .

---

(١) أع ١٢ : ٢٤ ، ٢٥
(٢) أع ١٣ : ٤٣
(٣) أع ١٥ : ١١ ، ١٢

وقد كان لبرنابا القدح المعلى فى هذه الثقة بين هؤلاء الرسل والمشايخ إذ كان كواحد منهم فى جماعة الدعوة ، يقول سفر الأعمال :

« وانحدر قوم من اليهود وجعلوا يعلمون الإخوة أنه إن لم تختتنوا حسب عادة الناموس لا يمكنكم أن تخلصوا ، فلما حصل لبولس وبرنابا منازعة ومباحثة ليست بقليلة معهم رتبوا أن يصعد بولس وبرنابا وأناس آخرون منهم إلى الرسل والمشايخ إلى أورشليم من أجل هذه المسألة »(١) .

وكان القرار الذى قام بتبليغه يهوذا الملقب برسابا وسيلا هو قولهم .

« ونحن لا نضع عليكم ثقلا أكثر غير هذه الأشياء الواجبة أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام ، وعن الدم ، والمخنوق ، والزنا ، التى إن حفظتم أنفسكم منها فنعما تفعلون كونوا معافين . أما بولس وبرنابا فأقاما فى أنطاكية يعلمان ويبشران مع آخرين كثيرين أيضا بكلمة الرب »(٢) .

ونلاحظ من النص المذكور أن برنابا لم يتعرض لتبليغ قرار الإعفاء من الختان وغيره من قوانين الشريعة العيسوية المستمدة من الشريعة الموسوية .

وظل برنابا مع بولس يبشران ويعلمان بالديانة المسيحية حتى ظنهما الناس إلهين لما جرى على أيديهما من معجزات لكنهما نهيا الناس عن ذلك الاعتقاد بالحجة والبرهان(٣) .

---

(١) أع ١٥ : ١ ، ٢

(٢) أع ١٥ : ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٥

(٣) أع ٤ : ٨ — ١٧

هذا هو برنابا وتلك مكانته بين الحواريين والرسل والدعاة وما يتمتع به من الثقة وحجة القول فى الكنيسة الأولى ، وكان كلامه بالروح القدس وإجراء الخوارق على يديه حتى دعى فى نظر العامة إلها كما ورد فى ذلك السفر . فأقل شأنه فى ذلك أنه رسول المسيح إلى جمهـــور بنى إسرائيل إن لم يكن أحد الإثنى عشر الحواريين كما ورد فى إنجيل برنابا نفسه .

حول نسبة الإنجيل إليه وتحقيق قصة إكتشافه :

فى حركة من حركات الكشف العلمى وجد لهذا القديس إنجيل دون فيه حياة المسيح من مولده إلى نهايته على الأرض إلى رفعه، يشبه فى تتبع أحداثه سائر الأناجيل الأربعة لكنه يختلف عنهم فى جوهر العقيدة .

أما عن قصة إكتشافه فيقص ذلك علينا مترجمه الدكتور خليل سعادة فيقول :

إن الثقات من المؤرخين يتفقون على أن أقدم نسخة لهذا الإنجيل عثر عليها هى النسخة التى عثر عليها (كريمر) أحد مستشارى ملك بروسيا عام ١٧٠٩ ميلادية ، كان قد إستعارها من أحد وجهاء أمستردام ، ثم أهداها ذلك الوجيه إلى البرنس (أيوجين سافوى) ثم إنتقلت النسخة المذكورة سنة ١٧٣٨ ميلادية مع سائر مكتبة البرنس إلى مكتبة البلاط الملكى فى (فينا) حيث لا تزال موجودة حتى الآن ، وأن هذه النسخة مكتوبة باللغة الإيطالية ، وهى أصل لكل النسخ فى اللغات الأخرى ، وقد وجدت نسخة أخرى بأسبانيا مترجمة عن الإيطالية فى أواخر القرن الثامن عشر بعد ظهور الإيطالية ، وقيل بأن الأسبانية لم يكتب لها البقاء ، ولكن يعلم من مقدمة النسخة الأسبانية أن الذى اكتشف الإيطالية راهب لاتينى يدعى (فرامرينو) » .

وفى تلك المقدمة يقول ذلك الراهب : إنه قــرأ رسائل للكاتب (إيريانوس) يندد فيها بما كتبه بولس الرسول ، ويسند تنديده إلى إنجيل برنابا ، فأصبح ذلك الراهب شغوفا من ذلك الحين إلى العثور على إنجيل برنابا وحدث أن كان ذلك الراهب أحد المقربين إلى البابا (سكتس) الخامس ، فعثر على ذلك الإنجيل فى مكتبة البابا ، فأخفاها حتى خرج بها ولما قرأها اعتنق الإسلام .

هذه هى رواية الراهب فى كيفية العثور على النسخة الإيطالية كما رواها فى مقدمة النسخة الأسبانية ، وكما رواها المستشرق (سايل) مترجم الأسبانية إلى إنجليزية، وهذا هو ما علم من خطب الدكتور (هويت) مصدر العلم الوحيد عن النسخة الأسبانية كما يذكر الدكتور سعادة .

والدكتور خليل سعادة مترجم إنجيل برنابا يربط ما بين النسخة الإيطالية الموجودة فى مكتبة بلاط فينا والأخرى التى اختلسها الراهب ، بأن الثانية هى الأولى وأنهما نسخة واحدة لا نسختين ، وذلك بتعيين الزمن الذى كتبت فيه فيقول فى مقدمة الترجمة :

وإذا تحريت التاريخ وجدت أن زمن البابا (سكتس) المذكور نحو مغيب القرن السادس عشر الميلادى ، وقد علمت مما مر بك بيانه أن نوع الورق الذى سطرت عليه النسخة الإيطالية إنما هو ورق إيطالى يمكن تعيين أصله من الآثار المائية التى فيه ، والتى يمكن إتخاذها دليلا صادقا على تاريخ النسخة الإيطالية . والتاريخ الذى يخمنه العلماء من كل ما تقدم يتراوح بين منتصف القرن الخامس عشر والسادس عشر الميلادى . وعليه فمن الممكن أن تكون النسخة الإيطالية هى عينها التى اختلسها (فرامرينو) من مكتبة البابا على ما مرت الإشارة إليه » .

وبالنظر إلى كلام المترجم هذا يكون زمن هذه النسخة الإيطالية يمتد فى الماضى إلى منتصف القرن الخامس عشر أو أول القرن السادس عشر، وإذا كان تعيين زمنه مبينا على التخمين فإنه من المحتمل أن يمتد أصل التى بالإيطالية إلى أبعد من ذلك فى الماضى الزمنى . على أنه مما يبدو للمحققين أن أصل الإيطالية كان بلغة مغايرة .

ويمكن القول بناء على تقريرات المحققين أن أقدم إشارة إلى ذلك الأصل البعيد فى الزمن لهذا الإنجيل ما قاله الدكتور سعادة فى مقدمته :

[[يذكر التاريخ أمر أصدره البابا (جلاسيوس) الأول الذى جلس على الأريكة البابوية سنة ٤٩٢ ميلادية يعدد فيه أسماء الكتب المنهى عن مطالعتها وفى عدادها كتاب يسمى (إنجيل برنابا) فإذا صح ذلك كان هذا الإنجيل موجودا قبل ظهور فى الإسلام بزمن طويل]] .

ثم يذكر المترجم قولا يعزوه إلى بعض العلماء المدققين مؤداه « أن أمر البابا جلاسيوس المنوه عنه إنما هو برمته تزوير» .

وفى الوسع أن نواجه من يدعى التزوير لقرار البابا جلاسيوس فيقول :

كيف يصح هذا القول وقرار البابا جلاسيوس لم يخرج فى ذلك عما جرى عليه أسلافه وأخلافه من تحريم كل كتابة فى الإنجيل تخالف ما عليه الأربعة المعتمدة أو تقاريرها مهما كان موقعها من التعاليم القريبة من الصحة أو البعيدة عنها .

ومما يدفع القول بتزوير قرار البابا جلاسيوس ويبطل طعنه بالتزوير ما عرفناه عن برنابا من سفر الأعمال فى العهد الجديد ، وما قد حباه به من

صدارة فى الدعوة النصرانية والحفاظ عليها ، وأنه كان أنشط من بولس فى ذلك ، وماله من فضل السبق عليه .

وإنه لمما يثير الدهشة حقا أن يجوز هؤلاء المرسومون بالتدقيق من العلماء التزوير فى قرار البابا جلاسيوس قاصدين التوهين من أصالة إسناد إنجيل برنابا .

ولا يشكون فى رسائل بولس مع ما يثيره الكثير من المحققين المعتدلين من التشكيك فى نسبة الكثير من الرسائل المعزوة إليه . علما بأن الاعتقاد بنسبة إنجيل برنابا إليه أشد تأكيداً من نسبة إنجيل متى ومرقس ولوقا ، بل ويوحنا إلى أصحابها كما مر تحقيق ذلك

فإن قديسا يعظمه سفر الأعمال هكذا يبعد ألا يكون له إنجيل أو حتى رسائل كبولس أو غيره من الرسل الذين ليس لهم مرتبة نشطة فى الدعوة مثل مرتبته .

ومن المعلوم أن سفر الأعمال لم يذكر نشاطا يذكر فى الدعوة لأصحاب الأناجيل المعتمدة مثل ما ذكره للقديس برنابا .

وتعقيبا على ذلك فإن وجود أمر البابا جلاسيوس يعنى عدم شيوع ذلك الإنجيل فى زمن محمد ﷺ مادام الحظر كان مفروضا على قراءته أو اقتنائه ، سيما وأن قرار البابا مقدس التنفيذ حتمى الاتباع ، ويقطع من الكنيسة ويحرم استحقاق الملكوت كل من خالفه .

فكيف يتصور ظهوره وشيوعه فى زمن نبى الإسلام كما زعم مترجمه الدكتور سعادة ؟

على أن ما بين ذلك القرار وظهور نبى الإسلام قرنان من الزمان ،

وهيهات أن يبقى له ذكر بعـد ما أطمر بين طيات النسيان بقرار التحريم والوعيد .

ومن كل ماتقدم يتبين أن نسبة إنجيل إلى برنابا هو الأرجح والأصح وإن تضاربت فى ذلك آراء الباحثين ، وتشعبت بخصوصه مذاهب المؤرخين وذلك للأسباب الآتية :

١ - ظهور هذا الإنجيل في مكتبة مسيحية تحت ملكية مسيحية .

٢ — لقد أشار إلى وجود هذا الإنجيل قرار البابا (جلاسيوس) فى مغيب القرن الخامس الميلادى كما تقدم ، وهو قرار يثبت وجوده قبل قرار البابا سكستس الخامس بنحو عشرة قرون .

٣ — النشاط المبكر لبرنابا فى مجال الدعوة إلى دين المسيح عليه السلام . مما يغلب أن يكون له إنجيل حكاه عن عيسى عليه السلام وإن حرمته الكنيسة .

• وإذا كان اختلاف الباحثين حول نسبة إنجيل إلى برنابا قد أنزل هذه النسبة إلى درجة دون درجة اليقين ووضعته فى درجة الظن فإن هذا ليس بأقل مما تسرب إلى نسبة الأناجيل المعتمدة الى أصحابها من شك وعدم يقين .



زعموا أن أصله عربى :

لقد زعم بعض المشككين فى إسناد إنجيل برنابا إليه أن أصله عربى إجحافا منهم فى الرأى وميلا عن الحق وسيراً فى ركاب الكنيسة ومزاعمها فى اقرار ما تقره وإنكار ما تنكره .

وهنا يقف الدكتور سعادة مترجمه إلى العربية متذبذبا بين ابطال هذا الزعم تارة واقراره وتدعيمه مرة أخرى .

فالدكتور سعادة ينكر كون أصله عربيا بقوله :

« ان مما يدفع هذا الرأى أنه لم يرد ذكر لهذا الإنجيل فى كتابات مشاهير الكتاب المسلمين فى الأعصر القديمة أو الحديثة ، حتى ولا فى مؤلفات من انقطع منهم إلى الأبحاث والمجادلات الدينية مع أن إنجيل برنابا أمضى سلاح لهم فى مثل تلك المناقشات ، وليس ذلك فقط بل لم يرد ذكر لهذا الإنجيل فى فهارس الكتب العربية القديمة عند الأعارب والأعاجم أو المستشرقين الذين وضعوا فهارس لأندر الكتب العربية من قديمة وحديثة »(١) .

ومع وجاهة هذا الترجيح ووضوحه الا أنه يحاول مناصرة الزاعمين بأصالته العربية فيرجع على عقبة قائلا : « انى أشد ميلا للاعتقاد بالأصل العربى منى بسواه »(٢) .

ويبنى زعمه هذا على .. « أن المطالع الشرقى يرى لأول وهلة إلمام

(١) راجع مقدمة المترجم — انجيل برنابا
(٢) راجع مقدمة المترجم

كاتب هذا الإنجيل بالقرآن إلى درجة أن كثيراً من فقراته تكاد تكون ترجمة حرفية أو معنوية لآيات قرآنية ومنها حديث إبراهيم لأبيه، وسبب سقوط إبليس بإبائه السجود لآدم ، إلى غير ذلك »(١) .

ثم يجزم بأن كاتب هـذا الإنجيل مسلم وإن لم يكن عربيا ، تمهيداً لتحمل يقصده ليبنى عليه زعما ينتهى فيـه إلى التوفيق بين ما تضمنه هـذا الإنجيل من مضامين لها أصول فى العهد القديم ، وأخرى أصولها فى القرآن الكريم وفى صميم شريعة الإسلام فركب بذلك مركبا صعبا ولم تسلم له النتائج التى ابتغاها :

فإنه لما رأى إلمام كاتب هذا الإنجيل بأسفار العهد القديم إلماما عجيبا يتعذر مثله على كثيرين من المتضلعين من النصارى الا النادر القليل منهم ، ذهب الى أنه يهودى تنصر ثم أسلم .

وأيد زعمه هذا بما يدعو إليه كاتبه من وجوب الختان الذى هو شريعة اليهود والمسلمين وعمق درايته بكثير من التقاليد التلمودية التى يتعذر على غير يهودى معرفتها ، وكذلك عمق إلمامه بالقصص الإسلامى وأحاديث الإسلام .

فلأجل كل هذه الاعتبارات كان كاتب هذا الإنجيل مسلما عربيا فى نظر المترجم أو هو مسلم وان لم ينتم الى عرق عربى .



---

(١) المصدر السابق

مناقشة وتصحيح :

نقول للسيد المترجم ان ما بنى عليه ميله وترجيحه من أن موافقة كثير من فقرات انجيل برنابا لآيات قرآنية دليل على تأسيسه على مفاهيم القرآن الكريم وقضاياه ، وأنه لذلك من عمل مسلم نسبه الى برنابا لا يقوم حجة على ما يقول .

ذلك أن الكتب السماوية تتفق فى مضامينها ونبوءاتها وأحكامها وأهدافها الا قليلا من متغيرات يقتضيها عدم التلاؤم للبيئة الجديدة التى أتى اليها أحد هذه الكتب المنزلة .

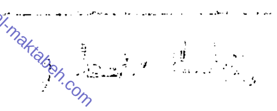
والقرآن الكريم كأحد هذه الكتب المنزلة أتى بالنص أو بالمضمون بما فى الكتب السماوية السابقة من القضايا ذات التشريع المؤبد أو التى تضمنت وضع الإصر والحرج عنهم فيها «الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم »(١) .

والقرآن الكريم يذكر كثيراً أنه قد أتى بما تضمنته الكتب السماوية السابقة عليه .

قال تعالى : « وانه لفى زبر الأولين »(٢) أى كتبهم ، وقال : « ان هذا لفى الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى »(٣) .

---

(١) سورة الأعراف / ١٥٧
(٢) الشعراء / ١٩٦
(٣) الأعلى / ١٨



بل قد أثبت القرآن مضمون كثير من نصوص التوراة على التفصيل مثل قوله تعالى : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص »(١) .

وجاء هذا المعنى فى التوراة الحالية : « لا تشفق عينك نفس بنفس عين بعين سن بسن يد بيد رجل برجل »(٢) .

وإذا أمات أحد إنسانا فإنه يقتل ... كسر بكسر وعين بعين وسن بسن كما أحدث عيبا فى الإنسان كذلك يحدث فيه ... »(٣) .

وقال تعالى فى كتابه العزيز: «وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة »(٤) .

وجاء هذا المعنى فى توراتهم : « وأنا مكثت فى الجبل كالأيام الأولى أربعين نهاراً وأربعين ليلة ... »(٥) .

وقال الرب لموسى أكتب لنفسك هذه الكلمات لأنى بحسب هذه الكلمات قطعت عهدا معك ومع إسرائيل ، وكان هناك عند الرب أربعين نهارا وأربعين ليلة لم يأكل خبزاً ولم يشرب ماء فكتب على اللوحين كلمات العهد الكلمات العشر »(٦) .

إلى غير ذلك وهو كثير وكثير مما اتفقت فيه مفاهيم القرآن مع بعض

---

(١) المائدة /٤٥
(٢) تثنية ١٠ : ٢١
(٣) لاويين ٢٤ : ١٧ ، ١٩
(٤) الأعراف /١٤٢
(٥) تثنية ١٠ : ١٠
(٦) خروج ٣٤ : ٢٧ ، ٢٨

مضامين التوراة التى أراد الله سبحانه إبقاءها فيها تصـــديقا لمعنى هيمنة القرآن لما كان بين يديه من الكتب، وتصديقا منه لهذه القضايا ليعلم أتباعها أن ما جاء ونزل على محمد ﷺ — حق لا مرية فيه ، ولا نحب أن نشحن هذه المناقشة بالإكثار من نصوص وردت فى التوراة بمثل ذلك .

وكذلك ما ورد فى الأناجيل المعاصرة على هذا المنوال مما يفيد مصادقة الكتاب العزيز وهيمنته على تلك الكتب تأكيداً لإلاهية مصدره وإثباتا لنبوة مبلغه ، على أنه إن صح قول المترجم بأن الاتفاق بين بعض ما فى إنجيل برنابا وبعض مما جاء فى القرآن الكريم حجة له على ميله وزعمه فإن الأناجيل الأربعة المعتمدة يكون أصحابها إذن يهود لا نصارى لكثرة اقتباسهم من التوراة وأسفار الأنبياء ، ولم يقل بذلك أحد ، وأيضا يكون القرآن بتضمنه لبعض من مضامين فقرات من التوراة تابعا ومتفرعا عنها ، وليس كتابا له ذاتيته واستقلاله ، وهذا أمر ظاهر البطلان ، وإذن فلا عجب إذا جاء فى إنجيل برنابا بما يلتقى فى مضمونه مع مفاهيم من القرآن الكريم سواء باللفظ أو بالمعنى .

ولماذا لا يكون إنجيل برنابا فى إسناده إليه صحيحا فى نقله عن سيده المسيح وسابقا على القرآن فى زمن وجوده بين الناس ، ثم جاء القرآن فكرر فى آياته ما جاء فى برنابا وغيره من كل ما كان منها بأمر الله صحيحا غير مبدل ؟

وقد وقع مثل هذا تماماً بالنسبة لأول إنجيل لوقا الذى ربط فيه مؤلفه بين موضوع الحمل بيوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) وجعله مقدمة لمفاجأة الحمل بعيسى ابن مريم لحكمة عليا أرادها الله سبحانه وتعالى ، وقد جاء القرآن فنسج على هذا المنوال فى سورتى آل عمران ومريم .

ونحن لا نقول ولا ندعى بأن إنجيل برنابا أو غيره سماويا بالمعنى

الحقيق ، وإنما نقول إنه صحيح الإسناد إلى برنابا وأنه كتبه عن معلمه عيسى عليه السلام بعد رفعه .

أما ما ذهب إليه المترجم من جعله موضوعا بواسطة يهودى تنصر ثم أسلم فهو من باب إلباس الحق بالباطل من غير شك ، وهو تمحك لا مبرر له بسبب حرج وقع فيه ، فإن المترجم لما عزا أصل الإنجيل اليونانى إلى العرب ووجد تمام دراية واضعه بالعهدين بفقه وإتقان مما لم يتيسر مثله لعربى ، زعم إعتناق واضعه للنصرانية وإتقان تعاليمها بعد تأصيله باليهودية حيث دينه الأول ، ثم انتقل من النصرانية إلى الإسلام .

وهذا زعم يعوزه الدليل مع إستحالته ، على أن عمق الواضع فى معرفته للعهدين : القديم والجديد وفقهه لهما لهو شاهد لنا لا علينا للأسباب الآتية :

١ — لم يوجد أحد من المسلمين من يجيد فقه العهدين فى الأعصر السابقة على اكتشافه .

٢ — لو كان من وضع مسلم لوجد فى مكتباتهم ، ولكن التاريخ العام والكنسى لم يسجل شيئا من ذلك .

٣ — لو وجد فى مكتبات المسلمين لكانوا أول من أظهره وأعلنه ، وكان فى إظهار فرصتهم الذهبية كما قرر المترجم ذلك بنفسه .

ولكن لم يوجد عندهم ولا نسخة واحدة ، ولم يتحقق إعلانه إلا من المكتاب المسيحية الرئيسية ومن أوساطهم .

وأما ما يستند إليه فى عزوه إلى مسلم لقوله بالختان ، فهو تعلق بخيط العنكبوت ، فإن شريعة الختان هى شريعة المسيح الحقيقة وشريعة تلاميذه ومنهم برنابا فضلا عن الحواريين وسائر الرسل ، فقد كانوا جميعا مختونين

وعلى رأسهم المسيح كما تثبت ذلك الأناجيل القانونية ، وعدم الختان مخالف لشرعه عليه الصلاة والسلام ، فإذا قال برنابا بالختان وأثبته فى إنجيله فإنما ينطق بالحق عن المسيح ، ويثبت اليقين عن سيده عيسى ابن مريم عليهما السلام ، وليس هو فى ذلك متبعا لملة أخرى .

أما ماحكاه سفر الأعمال من إلغاء الختان فى إحدى رحلاته التبشيرية المصاحبة لبولس فى إحدى رحلاته هو الآخر إلى الأمم فإن النص هناك لم يسند إليه تبليغ هذا القرار ، وإنما نراه قد تنزه عنه وعن تبليغه وإنما بلغه غيره زاعما تسامح المشايخ — الحوارين — فى ذلك ، ونحن نرى تلفيق اسناد العفو من الختان إلى المشايخ ، والدليل على هذا ما أثبته فى انجيله من وجوب الختان للمؤمنين لأنه شريعة أبينا ابراهيم عليه السلام .

وان مما يعزز المترجم به توهين أمر اسناد ذلك الإنجيل الى برنابا ، ما تضمنه من ذكر صريح لاسم (محمد) ﷺ — وذكره الشهادتين بأن آدم — عليه السلام — رآهما مسطورتين بأحرف من نور فوق باب الجنة .

فهذا أمر ليس بالغريب ذكره فى انجيل برنابا ، فإن القرآن بين أن انجيل عيسى عليه السلام ، ورد فيه ذكر (أحمد) بالتصريح من غير رمز ولا تلويح ، وليس هذا مستنكراً كما يقول السيد رشيد رضا : بأنه قد نقل الشيخ (محمد بيرم) عن رحالة انجليزى أنه رأى فى دار الكتب البابوية فى الفاتيكان نسخة من الإنجيل مكتوبة بالقلم الحميرى قبل بعثة النبى محمد — ﷺ — وفيها يقول المسيح « ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد »(١) .

---

(١) انظر مقدمة انجيل برنابا للسيد رشيد رضا .

قد ذكر فى تلك النسخة من هذا الإنجيل نص اسم نبى الإسلام حرفيا وصراحة من غير تلويح وبنفس النص الذى ورد فى سورة الصف من القرآن الكريم(١) .

وتنص الروايات القديمة المعتمدة للإنجيل أن اسم (أحمد) قد ذكر فى الترجمة اليونانية بمعناه فى اليونانية أو العبرية باسم « البارا كليت » ومعناه : « المحمد أو الحماد » .

وحين نقل الإنجيل هذا الى الإيطالية ترجم اسم « البارا كليت » الى اسم « محمد » فى برنابا كما ترجم حين النقل الى القلم الحميرى الى اسم « أحمد » حسبما أثر عن الرحالة الإنجليزى سالف الذكر المكتشف للنسخة الحميرية فى المكتبة البابوية بالفاتيكان .

وهذا أمر طبيعى ما دام أن أصل المادة اللغوية المروية عن المسيح تدور فى معنى (الحمد والحماد) حينما كان ينبىء عن النبى الذى يأتى بعده فيسميه بهذا المعنى ، فترجمته الحميرية بالمعنى الحرفى الوارد على لسان عيسى وفى لغته باسم « أحمد » وترجمته الإيطالية عن برنابا حسب تعبيره باسم « محمد » والمادة اللغوية فى كلا التعبيرين فى معنى واحد ولا شىء فى هذا .

أسباب وضع هذا الإنجيل وإنكار الكنيسة له :

لقد كان رفض الكنيسة لهذا الإنجيل وتحريمه يكمن فى تضمنه لأمور وقضايا جوهرية خالف فيها الأناجيل الأربعة القانونية ، بل ناقضها وأبطلها فى هذه الأمور ، وهى أمور جوهرية حقيقية كما يقول مترجمه الدكتور سعادة فى مقدمته .

---

(١) اقرأ الآية / ٦

وربما كانت أسباب وضعه هى عينها التى كانت فيها بعد أسباب رفضه وإنكاره من الكنيسة، إلا أن أظهرها فى سبب وضعه هو ما سنذكره فى السبب الأول من هذه الأسباب الأربعة، حيث أورد فيه تصريح برنابا بسبب وضعه لإنجيله هذا وإليك هذه الأمور :

الأول : قوله إن يسوع المسيح أنكر أنه آله وأنه ابن الله، وذلك على مرأى ومسمع من ستمائة ألف جندى وسكان مدينه اليهودية من رجال ونساء وأطفال كما تقول الرواية . وهذا الأمر مع رفض شريعة الختان وتجويز أكل النجس .. كل ذلك وغيره كان من الأسباب التى دعت برنابا إلى وضع إنجيله كما قال هو فى مستهله :

« أيها الأعزاء إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا فى هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التى اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين بتعليم شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله ورافضين الختان الذى أمر الله به دائما مجوزين كل لحم نجس الذى ضل فى عدادهم بولس الذى لا أتكلم عنه إلا مع الأسى، وهو السبب الذى لأجله أسطر ذلك الحق الذى رأيته وسمعته أثناء معاشرتى ليسوع لكى تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا فى دينونة الله، وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصا أبديا »(١) .

ولقد دعى المسيح إلها فى حياته الأرضية لما رأوا من آياته ومعجزاته كما تضمنت الأناجيل المعتمدة أيضا زعم أتباعه بوصفهم له بالألوهية فجاء

---

(١) افتتاحية إنجيل برنابا

فى برنابا: «أجاب الكاهن أن اليهودية قد اضطربت لآياتك وتعليمك حتى إنهم يجاهرون بأنك أنت الله ، فاضطررت بسبب الشعب أن آتى إلى هنا مع الوالى الرومانى والملك هيرووس فنرجوك من كل قلبنا أن ترضى بإزالة الفتنة التى ثارت بسببك لأن فريقا يقول إنك الله ، وآخرون أنك ابن الله ، ويقول فريق انك نبى، أجاب يسوع : وأنت يارئيس كهنة الله لماذا لم تخمد الفتنة ؟ هل جننت أنت أيضا ، هل أمست النبوات وشرعة الله نسيا منسيا ؟ أيها اليهودية الشقية التى ضللها الشيطان . ولما قال يسوع هذا عاد فقال : إنى أشهد أمام السماء وأشهد كل ساكن على الأرض أنى برىء من كل ما قال الناس عنى من أنى أعظم من بشر مولود من امرأة وعرضة لحكم الله، أعيش كسائر البشر عرضة للشقاء العام »(١).

ولقد كان المسيح — عليه السلام — يغضب على من ينعته بابن الله ولو كان الناعت له بطرس وصيه ، فكما ثبت استجوابه لتلاميذه فى حقيقة أمره فى الأناجيل المعتمدة ، كذلك قال برنابا حاكيا إنكار المسيح على من وصفه ببنوته لله — عز وجل — :

« أجاب يسوع وما قولكم أنتم فى ؟ أجاب بطرس : إنك المسيح ابن الله » فغضب حينئذ يسوع وانتهره بغضب قائلا : اذهب وانصرف عنى لأنك أنت الشيطان وتريد أن تسىء إلى »(٢) .

ويحس عيسى أو يتنبأ بأن بنى إسرائيل وجميع أتباعه سيضلون من بعده ويدعونه إلها فيقول : « الحق أقول لكم متكلما من القلب أنى أقشعر لأن

---

(١) برنابا ٩٢ : ٨ — ٢١ ، ٩٤ : ١ — ٤

(٢) برنابا ٧٠ : ٤ — ٦ ، واقرأ متى ١٤ : ٣٠ — ٣٢ ويوحنا ١٠ : ٣٣ — ٣٥

العالم سيدعونى إلها وعلى أن أقدم لأجل هذا حسابا ، لعمر الذى نفسى واقفة فى حضرته إنى رجل فان كسائر الناس ، على أنى وإن أقامنى الله نبيا على بيت إسرائيل لأجل صحة الضعفاء وإصلاح الخطاة خادم الله وأنتم شهداء على هذا »(١) .

الثانى : أن الابن الذى عزم إبراهيم الخليل — عليه السلام — على تقديمه ذبيحة لله تعالى إنما هو إسماعيل لا إسحق ، وأن الموعد إنما كان بإسماعيل، وليس بإسحق كما زعم المسيحيون وهم المتقدون مما بدله اليهود فى هذه القضية ، قال برنابا مقررا أن الذبيح إسماعيل — عليه السلام — : « فأجاب الملاك جبريل ، إنهض يا يسوع واذكر إبراهيم الذى كان يريد أن يقدم ابنه الوحيد إسماعيل ذبيحة لله ليتم كلمات الله ، فلما لم تقو المدية على ذبح ابنه قدم عملا بكلمتى كبشا »(٢) .

وفى الوسع أن نبادر هنا بلفتة يسيرة لمناقشة هذه القضية ، فإنه يستبين من قراءة الإصحاح الثانى عشر من سفر التكوين أن إسماعيل هو بكر إبراهيم ، فقد ولد له أولا قبل مولد ابنه إسحق بثلاث عشرة سنة ، وهذه قضية مشهورة ، فإذا قرأنا عقب ذلك أول الإصحاح الثانى والعشرين الذى يقول : « وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم فقال له يا إبراهيم ، فقال ها أنذا ، فقال خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحق واذهب إلى أرض المريا وأصعده محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك » .

وهنا نتساءل : كيف يكون إسحق وحيده وإسماعيل كان يزيد عمره يوم مولد إسحق عن ثلاث عشرة سنة ، والمعلوم أن الإبن يكون وحيدا إذا لم يكن له أخ ، وعليه فإن وصف ابن إبراهيم بالوحيد تنطبق على إسماعيل

---

(١) برنابا ٥٢ : ١٠ — ١٤

(٢) برنابا ١٣ : ١٥ ، ١٦ و ٤٤ : ٥ — ١١

المولود أولا، ولا يمكن أن تنطبق على إسحق المولود ثانيا، وبناء على ذلك يصدق حكم برنابا على أن الذبيح إنما هو إسماعيل لا اسحق .

هذا، ولدنيا أدلة كثيرة لإثبات ما قاله برنابا ، ولكن المقام هنا ليس أصلا فى هذه القضية .

الأمر الثالث : أنه ذكر أن «مسيا» أو «المسيح» المنتظر ليس هو يسوع بل هو محمد ، وقد ذكر برنابا محمدا باللفظ الصريح المتكرر فى فصول كثيرة ، وقال : انه رسول الله ، وأن آدم لما طرد من الجنة رأى مسطورا فوق بابها بأحرف من نور «لا إله إلا الله(١) محمد رسول الله» .

الأمر الرابع : أن يسوع لم يصلب بل حمل إلى السماء، وأن الذى صلب إنما كان «يهوذا» الخائن الذى شبه به ، وفى ذلك قال برنابا حاكيا قول المسيح :

« إعلم يا برنابا أنه سيبيعنى أحد تلا يذى بثلاثين قطعة من نقود وانى على يقين من أن من يبيعنى يقتل باسمى لأن الله سيصعدنى من الأرض وسيغير منظر الخائن حتى يظنه كل أحد إياى »(٢) .

ومن أراد أن يعرف كيفية القبض على يهوذا ومحاكمته ونجاة عيسى فليقرأ الفصول من الخامس عشر بعد المائة الى نهاية إنجيل برنابا .

هذه هى الأمور التى خالف فيها إنجيل برنابا سائر الأناجيل الأربعة المعتمدة قانونا لدى المسيحيين، وقد رفض هذا الأنجيل وحرم من الكنيسة بسبب تضمنه لهذه الأمور . وهى أمور جوهرية كما قال الدكتور سعادة

---

(١) راجع فى ذلك فصل ٤٢ ، ٤٣ ، ١٤ من برنابا

(٢) برنابا ١١٢ : ١٣ — ١٥

حقائق مقدمته ، وهى مسائل هامة تستحق لأهميتها إعادة النظر فى مراميها بالقياس إلى دين المسيحية ، وعساها تكون مفتاح الهداية لقوم حافظوا على تقليد الآباء فى الضلال المتراكم من أمشاج الديانة البولسية ، والله يهدى إلى سبيل الرشاد .

تقويم إنجيل برنابا :

نكتفى فى هذا المضمار بما قاله المترجم فى ذلك وإليك بعض مقالته : « وكيف كان الحال فيه فالحقيقة التى لامراء فيها أن كاتب إنجيل برنابا على جانب كبير من الفلسفة وسمو المدارك ، وقوة الحجة وشدة العارضة وجلاء البيان ، وأن مباحثه الفلسفية فى الجسد والحس والنفس من الوجهة الدينية لمن أسمى ما كتب الباحثون الدينيون فى هذا الموضوع .

وهذا الإنجيل قد أتى على آيات باهرة من الحكمة وطراز راق من الفلسفة الأدبية وأساليب تسحر الألباب ببلاغتها السامية على ما فيها من البساطة فى التعبير وهو يرمى إلى ترقية العواطف البشرية إلى أفق سام ، وتنزيهها عن الشهوات البهيمية ، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، حاثا على الفضائل مقبحا للرذائل ، داعيا الإنسان إلى تضحية نفسه فى سبيل الإحسان إلى الناس حتى يزول منه كل أثر للأنانية ويحيا لنفع إخوانه(١) .

هذا ، وما أجمله من منهج يقوم السلوك ويطب المجتمع الإنسانى بما ينطوى عليه من أرقى التعاليم التى إن تعرت عنها رسالة السماء تصبح جسدا بلا روح ، وشجرا بلا ورق ولا ثمر : بل إن هذه التعاليم المشار إليها فى تقرير المترجم لمن ألزم اللوازم لدين نبى الله عيسى ، عليه الصلاة والسلام .

---

(١) راجع فى ذلك مقدمة المترجم

هذا، وإذا كنا نؤكد أن إنجيل برنابا من وضع برنابا التلميذ للمسيح وناقش الشبهات الواردة عليه من كونه مزوراً من وضع مسلم نسبه إليه زوراً؛ ليصبح هذا الإنجيل أحد الأدلة على صدق رسالة الاسلام ودعوته فإنا في الختام نقول :

إن الإسلام ليس بحاجة إلى كتاب كهذا أصبح هدفاً لتسديد الشبهات والشكوك الكثيرة من كتاب المسيحية ورجالها — نتخذه لتأييد مايذكره القرآن عن المسيح ورسالته وحقيقة ديانته وتبشيره بالرسول محمد ﷺ، فالقرآن وهو الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هو الذى نتخذه دليلاً فى الحكم على أناجيلهم المزعومة ومبلغ تحريفها للإنجيل الحقيق الذى أنزله الله على عيسى عليه السلام ، ولا ينبغى أن نتخذ سفراً يعطى فرصة للمشككين فيه دليلا على ذلك ، ولا أن نعتمد عليه لاقناع المسيحيين ببطلان ماأقروه من أناجيل ، فضلا عن أن بطلانها أظهر من أن يحتاج إلى دليل .



الفصل الثالث

فرق موحدة ولها أناجيل

لقد تحقق فيما سبق وجود أناجيل كثيرة خلال القرنين الأول والثانى الميلاديين والتى اختيرت من بينها الأربعة أناجيل المعتمدة، وأن هذه الأناجيل كانت تعبر عن عقائد أصحابها، وقد يكون من المحتمل أن يتضمن بعضها تعاليم صحيحة عن المسيح وأمه، وربما يكون رواة بعضها قد سجل عن سيده المسيح تعاليمه الحقة بإتقان وإحكام وصدق وفقه.

وقد رأينا فى الفصل الأول من هذا الباب كيف ذهب بعض النقاد إلى أن بعض مارفضته الكنيسة من الأناجيل كان أكثر شهرة وذيوعا من الأربعة الرسمية.

كما كان بعض الأناجيل المستبعدة من الكنيسة تدين بها بعض الفرق التى نشأت فى عصر المسيحية المبكر، ونرى أن نعرض للقارىء بعضا من هذه الفرق مع بيان أهم العقائد التى أودعتها أناجيلها تأكيدا للعلم بأن المسيحية كانت فى عصرها الأول مشحونة بأناجيل ذات عدد وفير تحتوى من العقائد والتعاليم مايتعسر معه الوقوف على إنجيل الحقيقة، لتضادها وتضاربها، وكان السبب فى ذلك هو سرعة تسرب عقائد الشرك والزيغ والانحراف الى معتقدات بعض الفرق، فانقسم المسيحيون بذلك إلى طائفتين :

أولاها : طائفة تمسكت بعقيدة التوحيد، محافظة عليه، مجاهدة فى سبيله.

ثانيها : طائفة أخرى جنحت إلى الشرك فى عقيدتها فى الله وتصورها للمسيح عليه السلام .

وكان لكل طائفة أتباع وأشياع ، ونذكر فى هذا الفصل أم الفرق المعتدلة التى استقامت على العقيدة الصحيحة فى المسيح ودينه ، عقيدة توحيد الله وأن المسيح إنسان نبى وليس إلها ، ومن هذه الفرق :

الإبيونية وإنجيلها :

لقد وجدت فرقة الإبيونية وتسبت إلى زعيمها (ابيون) وكانت معاصرة لبولس وأنكرت عليه مسيحيته حتى اعتبرته مرتدا .

هذه الفرقة كان لها إنجيل سمى بإنجيل (متى) قد دون باللغة الآرامية وأنكرت ما عداه من الأناجيل ، لكنه ليس إنجيل (متى) المعتمد الآن والذى كان ظهوره فى مجمع (نيقية) برئاسة قسطنطين . وإنجيلهم لم يكن فيه البابان الأولان من الإنجيل الحالى لمتى، وكثير من المواضع فى هذا الإنجيل محرف فى نظرها ، والذين يعتقدون فى إنجيل متى الحالى يرمون إنجيل فرقة الإبيونية بالتحريف .

ويذهب (على وافى) ، إلى أن هذه الفرقة كانت تقر جميع شرائع موسى وتعتبر المسيح رسولا الى البشر كرمه الله برسالته ، وأنه المسيح المنتظر المبشر به فى التوراة، وتنكر ألوهيته ويقول: ان لهذه الفرقة عقائد تفصيلية أودعتها إنجيلا خاصا بها ، وأن ماجاء فى هذا الإنجيل يتفق مع العقائد الإسلامية المستمدة من نصوص القرآن(١) وقد ظل لهذه الطائفة أتباع حتى انقرضت فى نهاية القرن الرابع الميلادى .

---

(١) الأسفار المقدسة ص ١٠٠

السمسطائيون :

السمسطائيون هم أتباع (بولس السمساطى) وقد ينطقون السين شينا في اللقب فيقولون بولس الشمشاطي ، وقد تسمت ، طائفته باسمه ، وكا السمساطى بطريركا على أنطاكية سنة ٢٦٠ ميلادية ، ومن عقيدته أنه كان ينكر ألوهية المسيح ، ويقول : إنه بشر رسول .

وجاء فى تاريخ النساطرة : « أن بولس السمساطى كان بطريركا على أنطاكية ، ثم أظهر قوله بأن الله إنما يوصف بالآب والإبن والروح القدس على المجاز ، وأن المسيح إنسان محض لا لاهوت فيه (١) » .

ويذكر ابن حزم فى كتابه (الفصل فى الملل والنحل) عن بولس هذا « أنه كان بطريركا بأنطاكية وكان قوله التوحيد المجرد الصحيح ، وأن عيسى عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء عليهم السلام ، خلقه الله فى بطن مريم من غير ذكر ، وأنه إنسان لا إلاهية فيه ، وكان يقول : لا أدرى ما الكلمة (أى الإبن) ولا روح القدس »

ويقول ابن البطريق فى بيان مذهبه ، « إن بولس السمساطى كان يقول إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا فى جوهره ، وأن ابتداء الابن من مريم (أى أنه محدث وليس قديما) .

ويقول إن الله جوهر واحد وأقنوم (٢) واحد ، ولا يؤمنون بالكلمة

---

(١) تاريخ النساطرة ج١ ص ٢١ ترجمة عادلى بشير

(٢) لا يجوز أن يطلق على الله تعالى (جوهر ولا أقنوم) لا فى العقل ولا فى الشرع ، لأن الجوهر جسم يحتاج إلى حيزه ، والأقنوم هو الشخص ذو التعين .

(أى الإبن) ولا بروح القدس ، وهى مقالة بولس الشمشاطى بطريرك أنطاكية وهم البوليقانيون »(١)

فهذه الفرقة حسبما نقل عنها كانت تدين بوحدانية الله ونبوة عيسى ورسالته وبشريته من غير إلاهية فيه ، وذلك فى وضوح لا يستوجب التعليق أوزيادة بيان ،ويقول (على وافى) ،وقد عقد بأنطاكية من سنة ٢٦٤ - ٢٦٩ ميلادية مجمعا للنظر فى شأنه ، وانتهى الأمر بحرمانه وطرده»(٢).

وقد ظل أتباع هذه الفرقة يدينون بعقيدته حتى القرن السابع الميلادى رغم حرب الكنيسة لهم حربا لا هوادة فيها .

الآريوسيون :

هم أتباع (آريوس) وقد تسموا باسمه ، وكان آريوس أحد قساوسة كنيسة الأسكندرية وهو من الموحدين ، وقد نصب نفسه مدافعا عن عقيدة التوحيد ، مناضلا ضد القول بألوهية المسيح وبنوته لله ، وقاوم كنيسة الأسكندرية التى كانت تذهب متعصبة لتأليه المسيح ، ولم يثنه عن رأيه وعقيدته أنه حرم وطرد من جمهور المسيحيين وكنيستهم وقسوتهم عليه ، وكان ذلك فى أوائل القرن الرابع الميلادي ، وقد كان مذهبه سببا في انعقاد مجمع نيقية ، أول مجمع مسكونى فى تاريخ الكنيسة بعد إعلانها وإظهارها من قسطنطين .

وهو يرى أن المسيح ليس إلها وليس إبنا للإله ، بل هو إنسان مخلوق كواحد من البشر قد منحه الله منحة النبوة .

---

(١) راجع تاريخ ابن بطريق ج ١ ص ١٢٨
(٢) الأسفار المقدسة ص ١٠٠

وكان آريوس صلبا فى عقيدته ، صلدا فى موقفه ، قويا فى حجته ، بارعا فى تأثيره ، كما كان داعية قوى الحجة فى غير مبالاة ، تفوق جرأته حد التصور ، وأنكر كل ما أوهم ألوهية المسيح فى آيات الأناجيل مدعيا الوضع والتحريف فيها .

وكان يشايعه فى مذهبه الكثير من الأساقفة ، وكانت كنيسة أسيوط على مذهبه وعلى رأسها ميليتوس ، وفى الأسكندرية كان أتباعه يفوقون الحد رغم أن الأسكندرية كانت هى المتبنية لفكرة تأليه المسيح

وكان صوت أتباعه فيها عاليا يجاهدون كشخص زعيمهم، ثم امتد سلطان مذهبه خلال الزمان والمكان إلى أن ساد مذهبه على القسطنطينية، وأنطاكية وبابل ، وفلسطين ، ومقدونية وغيرها ، ومكث ذلك الامتداد إلى زمن استغرق شغله عددا مهولا من البطاركة الجالسين على كراسى تلك البلاد، وقد تتابع الصراع بين أتباع آريوس ومخالفيهم — وعلى رأسهم كنيسة الأسكندرية التى لم تأل جهداً فى محاربته ومحاربة آرائه — إلى حد بلغ القتل لكل من ليس آريوسيا .

وهذا دليل قوى على إيقان الآريوسيين ببطلان ألوهية المسيح وكل عقيدة ضد عقيدة التوحيد الخالص .

تحدثنا لجنة التوفيق القبطى عن آريوس بأنه : «ظهر مذهب فى أوائل القرن الرابع فى عهد بطرس الأول البابا السابع عشر (٣٠٠ — ٣١٢). وكان آريوس قسا واسع الاطلاع ، غزير المادة فى العلوم الدينية من خريجى المدرسة اللاهوتية ، إذ أخذ يعلم بأن أقنوم الإبن غير مساو لأقنوم الآب فى أزليته »(١).

(١) كتاب خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر الحلقة الثانية ص ٨٠

ويقول ابن بطريق ملخصا: «إن آريوس يقول : إن الآب وحده الله والإبن مخلوق مصنوع ، وقد كان الآب إذ لم يكن الإبن»[1] .

وقد ناضل فى سبيل ذلك آريوس وأتباعه حتى كاد التوحيد يتغلب على التثليث لولا تدخل القيصر ، وكان مجمع (نيقية) الذى أحرق كل إنجيل وكل كتاب فى المسيحية إلا الأناجيل الأربعة والرسائل الموجودة الآن.

هذا ، ولم يذكر التاريخ أن للطائفة الآريوسية والسمساطية إنجيلا يخصهم ويتضمن عقيدتهم ، ولعلهم كانوا يعرفون إنجيل المسيح الصحيح فاعتقدوه ولم يبدعوا غيره ، وأنه أحرق بأمر المجمع المذكور .

يقول ول ديو رانت فى آخر حديثه عن قرارات مجمع نيقية «وصدر مرسوم إمبراطورى يأمر باحراق كتب آريوس جميعها ويجعل إخفاء أى كتاب منها جريمة يعاقب عليها بالإعدام»[2] .

وأنه بسبب تضييق الخناق على أتباعه ومطاردتهم فى كل مكان بقوة السلطان لم يكتب له البقاء حتى إنقرض المذهب فى أواخر القرن الخامس الميلادى.

المنتانية :

فى منتصف القرن الثانى الميلادى أى فى حوالى ١٥٦ ميلادية فى (ميسيا) بآسيا الصغرى ظهرت طائفة «المنتانية» وزعيمها «منتانس» وكان هذا الزعيم وثنيا ثم آمن بالمسيح وأخذ صيت مذهبه يعم الشرق والغرب،

---

(١) إبن بطريق ج١ ص ١١٦ طبع إبيروت

(٢) قصة الحضارة ج٣ م ٣ ص ٣٩٦

وكان من دعوته : التنديد بتعلق المسيحيين الشديد بشئون هذا العالم الحاضر ، وبازدياد سلطان الأساقفة المطلق على الكنيسة ، ثم أخذ ينادى بالرجوع إلى بساطة المسيحية الأولى وصرامتها . وادعى أن لديه رسالة جديدة تلقاها عن روح القدس ، وأخذيها جم الأساقفة وينكر عليهم سلطانهم الكنسى ، مدعيا أن الأنبياء هم الذين لهم الحق فى قبــــول توبة الساقطين .

لقد لقيت دعوة منتانس نجاحا عظيما فى بعض الأوساط ، وأذاع أن كل النظم المسيحية آنذاك باطلة ولا قيمة لها ، وأن كنيسة القديسين هى العروس الطاهرة النقية التى تترقب عودة عريسها .

وينادى بأن الكنيسة يجب ألا تمتزج بالعالم وتندمج فيه ، وحث على استعادة الرجاء الذى ملأ صدور المسيحيين فى بدء الدعوة وجعلهم يترقبون بفارغ الصبر عودة سيدهم المسيح .

وكان منتانس يتنبأ فى أثناء نشوته الروحية ، ومن نبوءاتهم أن ملكوت السموات قد حانت ساعتها ، وأن أورشليم الجديدة التى جاء وصفها فى سفر الرؤيا ستنزل من السماء على سهل قريب بعد زمن ليس بالكثير .

ثم سار بنفسه إلى هذه الأرض الموعودة على رأس حشد من الناس بلغ من الكثرة درجة خلت معها بعض المدن من سكانها .

وقد أحدثت دعوته رد فعل عظيم . فعاد الناس إلى نظام الكنيسة الأولى من الامتناع عن الزواج والتناسل وشيوع ملكية المتاع ووزعوا أملاكهم بينهم ، وأصبح الزهد والتقشف هو مظهر الجميع استعدادا لمجىء المسيح وعودته ثانية .

وقد اضطهدت هذه الشيعة، إلا أنها عاشت إلى القرن السادس الميلادى حتى حل بهم من طغيان الحاكم «جستنيان» فأبادهم عن آخرهم فأحرقوا أحياء فى كنائسهم التى أحرقت بهم . وأعلنت الكنيسة أن تعاليم منتانس كفر وضلال(١).

ومن الملامح الظاهرة من تعاليم هذه الفرقة نرى أن موقفها من التوحيد غير بين وإن كانت دعوتها توحى بالعودة إلى تعاليم المسيح الأولى مما يحتمل معه أن تكون قائمة على التوحيد وإن لم يبلغ ذلك درجة الوضوح واليقين ، ومع ذلك فإن من الملامح أيضا الخلط فى عقيدتهم فى الإله والمسيح .



(١) راجع الحضارة ج ١٢ م ٣ ص ٢٩٣ . ٢٩٤ بتصرف

الفصل الرابع

فرق منشقة ولها أناجيل

١ — المرقيونية وإنجيلها :

مما كان يتراءى فى أطياف المسيحية خلال القرن الثانى الميلادى طائفة المرقيونية ، ومن عقيدتها أن زعمت وجود آلهة ثلاثة ليست على نظام الآب والإبن والروح القدس ، بل اختلقت لها أسماء أخرى .

وقد سميت هذه الطائفة باسم زعيمها (مرقيون) ، وكان قسيساً ثم حكم عليه بالطرد والحرمان .

يقول ابن بطريق فى معرض الكلام عن الفرق المسيحية التى وجدت إبان الفترة التى سبقت مجمع نيقية ، « منهم من كان يقول إنهم ثلاثة آلهة لم تزل صالح وطالح وعدل بينهما ، وهى مقالة مرقيون اللعين وأصحابه ، وزعموا أن مرقيون هو رئيس الحواريين وأنكروا بطرس »[1] .

ويرى بعض المحققين: أن مرقيون هذا كان فى الكنيسة ، ويقوم مذهبه على اطراح العهد القديم — كتب اليهود المقدسة — فى الجملة والتفاصيل ، وكذلك لا يعترف بمعظم أسفار العهد الجديد وكل مايعترف به من أسفار العهد الجديد هو إنجيل (لوقا) ولا يعترف برسائل بولس إلا بعد أن يدخل

---

(١) ابن بطريق — نظم الجوهر أو الكتاب المجموع على التحقيق ج١ ص ١٢٦ ، وانظر المسيحية فى الإسلام ص ٧٤ إبراهيم لوقا .

قال بعضهم : إنه كان لهذه الفرقة إنجيل أوضاعها ومدلولاتها الأولى، بل على نصوصها تغييرات كثيرة تخرجها عن خاص(١) .

وذهب الشيخ أبو زهرة(٢) إلى أن فرقة المرقونية أثر من آثار المجوس، وتابعه على ذلك على وافى فى كتابه الأسفار المقدسة(٣) . . . ثم عقب الدكتور وافى فقال :

وعلى الرغم من الحرب الشعواء التى شنتها الكنيسة على المذهب ، فإنه قد انتشر وتبعه خلق كثير فى إيطاليا وأفريقيا ومصر ، وظل كذلك حتى منتصف القرن الثالث الميلادى ثم أخذ يضمحل ويتناقص أتباعه تناقصاً كبيراً ، ولكنه لم ينقرض انقراضاً تاماً إلا حوالى القرن العاشر(٤) .

مرقيون والغنوسية المسيحية :

يرى الأستاذ يوسف كرم(٥) أن مرقيون هذا أحد ثلاثة هم: (مرقيون) و (باسيليدس) و (فالنتين) وثلاثتهم أشهر الغنوسيين المتفلسفين الذين أصابوا نجاحا كبيراً فى ذيوع مذاهبهم .

والغنوسية ضرب من ضروب التصوف المبنى على العرفان ، والحدث

---

(١) على وافى — الأسفار المقدسة السابقة على الإسلام ص ٩٨

(٢) انظر محاضرات فى النصرانية — محمد أبو زهرة .

(٣) على وافى — الأسفار المقدسة ص ٩٨

(٤) المرجع نفسه .

(٥) راجع كتاب الفلسفة اليونانية — يوسف كرم ٢٥٦ — ٢٥٨ ، والمؤلف مسيحى وكان أستاذاً للفلسفة فى الجامعة المصرية .

التجريبي الحاصل على اتحاد العارف بالمعروف ، وتعاليمها مزيج من الآراء والأساطير الشائعة آنذاك .

وهي تمثل ميول كل عصر تعيش فيه سواء مع الوثنية أو الصهيونية ، أو المسيحية ، والذي يعنينا هنا ما يقوله الكاتب من أن الغنوسية المسيحية تقيم الثنائية على ما يزعم أصحـــابها من تعارض بين التوراة والإنجيل ، أو يقولون: إن التوراة تصور إلهاً قاسياً جباراً ، بينما الإنجيل يكشف لنا عن إله وديع حليم خير للغاية .

وذهب (باسيليدس) إلى أن إله العهد القديم ما هو إلا رئيس الملائكة الأشرار ، وألح مرقيون في هذا المعنى وألف كتاباً أسماه (الأضداد) جمع فيه آيات متقابلة .. ليستنتج منها تغاير الإلهين والشريعتين .

إله العهد الجديد ، هو الإله الأعلى ، الإله الحق ، الإله الآب ، خالق العالم المعقول ، أبو المسيح وإله المسيحيين .

وإله العهد القديم ، هو صانع العالم المحسوس وإله اليهود عني بهم وقهر أعداءهم من أجلهم .

الأول يعلم العالم المعقول والعالم المحسوس وصانعه .

والثاني يجهل الأول جهلاً تاماً ، فاستطاع أن يقول : أنا الإله الأوحد، وليس فوقي إله آخر ، ولم يعرف أنبياؤه شيئاً عن الإله الأعلى بما فيهم آخرهم يوحنا المعمدان ... الشريعة القديمة قائمة على أن العين بالعين والسن بالسن، والشريعة الجديدة هي العظة على الجبل — أي المبنية على التسامح عن الضارب والمسخر ... إلخ . ولا صلة بين المسيح المخلص وبين المسيح الحربي الذي وعد به أنبياء العهد القديم الناطقون عن وحي إلههم ، ولكن المسيح جاء لتحقيق رسالة معارضة للمسيحية التي ينتظرها اليهود ، فكان الغنوسيون

ينبذون التوراة نبذا تاماً ، ويقبلون من بين الأناجيل والرسائل ما يروقهم ، ويحذفون مما يقبلون الفصول والآيات المناقضة لآرائهم . وأراد الآب أن يقضى على العمل المشئوم الذى عمله الصانع ، وأن يخلص الإنسانية التعسة التى لم يخلقها ، والتى لم تكن تعرفه ، فنزل المسيح من السماء لم يولد من العذراء مريم ، بل ظهر تام التكوين ، وأخذ يعلم ويعرف الناس بالآب ، ولم يتخذ له جسما ماديا بل ظهر فى شبه جسم ، لأن المادة رديئة ، ولأنها ملك الصانع .

ويختلف الرأى بين الغنوسيين ، فيقول البعض إن المسيح لم يتألم ولم يمت ، ولكن الشيطان تألم ومات مكانه وبصورته . ويقول مرقيون : بل مات من أجل البشر ، لحررهم من سلطان الصانع ، وكان بعضهم يضع المسيح فى مرتبة أدنى من الملائكة ، وبعض آخر يضعه فى مرتبة أعلى . انتهى إكرم .

المرسيونية وانحلالها :

المرسيونية فرقة من فرق المسيحية أتبــاع (مرسيون) سميت باسم رئيسها ، وكان مرسيون شابا ثريا أتى إلى رومة عام ١٤١ ميلادية ، ونادى بأنه سيقوم بإتمـام رسالة بولس التى تهدف إلى تخليص المسيحية من اليهودية .



ومن أهم تعاليمه :

من تعاليمه أن المسيح قد قال بأن الآب إله رحيم غفور محب ، على حين أن (يهوه) إله اليهود كما وصفه العهد القديم إله غليظ القلب ، صارم فى عدله ، مستبد ، إله حرب ، ولا يمكن أن يكون يهوه هذا أبا لذلك المسيح الوادع .

ثم يتساءل مرسيون : أى خير فى ذلك الإله ، الذى طاوعته نفسه أن يقضى بالشقاء على سائر البشر لأن أباهم — آدم — أكل تفاحة ، أو رغب فى معرفة الخير والشر .

ثم أخذ مرسيون يقرر أن إله المسيح أكبر وأعظم من يهوه — ثم لم ينكر وجود يهوه ، ذلك الإله الضعيف الذى لم يتسام فى نظره إلى مرتبة إله المسيح ، فقال إن يهوه موجود وخالق العالم ، ولكنه خلق لحم الإنسان وعظامه من المادة ، وترك روح الإنسان مسجونة فى قالب من الشر ، لهذا حاول إله أكبر من يهوه أن يطلق هذه الروح من ذلك السجن ، فأرسل ابنه إلى الأرض وظهر المسيح ، وكان ظهوره فى سن الثلاثين فى جسم طيفى غير حقيقى ، وكسب بموته لخيار الناس ميزة البعث الروحانى الخالص .

ثم أخذ مرسيون فى تقرير مذهب بولس فى نبذه للشريعة اليهودية ، وتعاليمها وجميع كتبها ، رافضاً ألوهية يهوه وما يترتب عليها فيقول : إن الأخيار هم الذين يفعلون مافعله بولس ، فينبذون يهوه والشريعة اليهودية ، ويرفضون الكنيسة اليهودية المقدسة ، ويتجنبون الزواج ، ويتغلبون على ميول الجسد بالزهد فى الشهوات .

ورفضت هذه الفكرة جميع كتب العهد القديم ، ورفضت أيضاً العهد

الجديد بشكله المعروف ، ووضع مرسيون لنفسه عهداً آخر يتكون من إنجيل لوقا ورسائل بولس ، ولكن عهده هذا رفضته الكنيسة ، واعتبرت تعاليمه مضللة ، مما يرجح أن ما يتألف منه عهده الذى كان يؤمن به يخالف ما عليه النصارى اليوم ويرمونه بالتزييف(١) .

المانوية وإنجيلها :

المانوية من الفرق المسيحية التى طعمت المسيحية بأفكارها ، فأودعت عقائدها إنجيلا نسبته إلى المسيح كغيرها من الفرق ذات الأناجيل والتعاليم الخاصة وهم أتباع (مانى) .

مانى وآراؤه :

ولد (مانى) الطشقونى عام ٢١٤ م فى مملكة بابل ، وقد نسبت المانونية إليه ، ويعتبر (مانى) من أخطر الدعاة فى بلاد الشرق ، وكان شابا صوفياً من أصل فارسى ظهر بدعوته فى القرن الثالث الميلادى سنة ٢٥٢م ، وكان له مذهب فى المسيحية أقرب ما يكون إلى المجوسية ، وقد ادعى أنه رسول المسيح الذى هو ابن الإله الصالح . وجعل لنفسه اثنى عشر تلميذاً على عدد حواريي المسيح . وادعى أن له إنجيلا سماه (الإنجيل الصحيح) وقد عين قسيسا وصار معلما(٢) .

وجاء فى تاريخ الدراسات المسيحية عن تاريخ الكنيسة لموسهيم أن : (مانى) أعلن أنه المسيح المنتظر ، وأن الإله الحق أرسله إلى الأرض ليقوم

---

(١) راجع قصة الحضارة ج٣ م ٣ ص ٢٩٢

(٢) راجع تاريخ النساطرة ج١ م ١ ص ١٥ — ١٨ — ترجمة عادل بشير .

حياة البشر الدينية والأخلاقية ، وأخذ عقائده من الزرادشتية والمثراسية واليهودية والأدرية(١) .

وقال ول ديورانت :

(قسم مانى العالم مملكتين متنافستين هما مملكة الظلمة والنور ، وقال إن الأرض تتبع مملكة الظلمة ، وأن الشيطان هو الذى خلق الإنسان ، ولكن ملائكة إله النور ، استطاعت بطريقة خفيفة أن تدخل إلى البشرية بعض عناصر النور ، وهى العقل والذكاء والتفكير . وقال مانى إن فى النساء أنفسهم بصيصاً قليلا من النور ، ولكن المرأة هى خير ماصنع الشيطان ، فهى عامله الأكبر فى إغواء الرجل وإيقاعه فى الذنوب . فإذا امتنع الرجل عن العلاقات الجنسية ، والكف عن بالنساء وعن السحر ، وعاش عيشة الزهد ، ولم يطعم إلا الأغذية النباتية ، وصام عن الطعام بعض الوقت ، فإن ما فيه من عناصر النور ما يتغلب به على الدوافع الشيطانية ، ويهديه إلى النجاة ، كما يهديه النور الرحيم)(٢) .

ويقول يوسف كرم : « ويذهب مانى إلى أن المسيح لم يولد ، بل جاء رجلا كاملا ، وأنه لم يمت على الصليب بل الذى صلب الشيطان ، وكان يرفض العهد القديم ، وكانت المانوية منظمة فى كنيسة على رأسها (الإمام) مقره بابل ، ويليه اثنا عشر معلما تشبيهاً بالحواريين الاثنى عشر ، يليهم اثنان وسبعون أسقفا ، فجماعة الكهنة والشمامسة ، وكان لها (سران) يمنحان للصديقين : المعمودية والقربان ، وكانت لها طقوس وأعياد)(٣) .

---

(١) سلسلة دراسات فى المسيحية لموريس ديمترى ص ٦٦

(٢) قصة الحضارة جـ ٣ م ٣ ص ٢٩٥

(٣) يوسف كرم — تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٥٩

موطن دعوته :

لقد ذكر موسهيم بأن مدة دعوته ظلت ثلاثين عاماً يطلقها بنجاح. ثم صلب عام ٢٧٧م فأحدث صلبه ردفعل عنيف جعل الناس يعتنقون مذهبه فانتشرت مبادئه فى غربى آسيا وشمالى أفريقيا واعتنقها أوغسطين مدى عشرين عاماً ، وعاشت مبادئه بعد اضطهاد (قلديانوس) وفتوح المسلمين. وظلت هذه المبادىء مدى ألف عام حتى ظهر جانكيزخان »(١) .

٤ — البربرانية :

تزعم فرقة البربرانية أن مريم والمسيح إلهان من دون الله ، يقرر ابن البطريق مذهب هذه الفرقة فيقول : « ومنهم من كان يقول إن المسيح وأمه إلهان من دون الله ، وهم البربرانية ويسمون بالمريميتيين »(٢) .

هذا ، ولعل هؤلاء هم الذين يشير إليهم القرآن الكريم فيما يخاطب به الله عيسى عليه السلام إذ يقول : « وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ، قال سبحانك مايكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم .) إلى قوله : (وأنت على كل شيء شهيد »(٣) .

---

(١) موريس ديمترى — سلسلة دراسات فى المسيحية ص٦٦

(٢) أنظر تاريخ ابن البطريق ح ٢

(٣) آخر سورة المائدة ١١٧ .

ويبدوا من حديث القرآن الكريم أن بعض معتنقي هذه المبادىء كانوا موجودين في عهد نزوله على محمد ﷺ — فكان حديث القرآن تطهيراً لساحة المسيح وأمه مما نسب إليهما من باطل الاعتقاد .

ومع ذلك فإن جذور عقيدة تأليه العذراء (مريم) وتقديسها قد تركت آثارا ورواسب امتدت جذورها إلى عصرنا الحاضر ومرت في غالبية الطوائف المسيحية باستثناء فرقة بروتستانت ؛ وتظهر هذه الآثار والرواسب في عديد من الطقوس والمعتقدات والأعياد الدينية تعظيماً وتقديسا للسيدة العذراء ؛ حتى إنه توجد بعض الملامح التي تنبىء عن أن السيدة العذراء ماتزال حية ، وأنها تظهر في أماكن مختلفة . وذلك تعضيد لزعمهم بأنها رفعت بعد المسيح بواسطته .

هذا ، ولم نعثر في المراجع التي بين أيدينا على ما يدل أن لهذه الفرقة إنجيلا .

الأدرية :

الأدرية من الفرق التي ظهرت في عهـــد المسيح الأول ، وهي فرقة تطلب العلم الرباني عن طريق التصوف ، وكانت تسير في طريقتها على ضرب المسيحية ، بل وكانت تنافسها ، وهذه الشيعة نشأت قبل المسيحية ، وهي تبشر بوجود المنقذ من قبل أن يولد المسيح ومذهبها : «أن المادة قديمة وأن الشر طريقها وتخلط بين النصرانية ومذهب الماديين والمجوس(١) » .



(١) أنظر قصة الحضارة جـ٣ م٣ ص ٢٩٢ مترجم .

الإليانية :

هم أتباع (إليان) وينقل الدكتور علي وافي عن ابن البطريق والشهرستاني في الملل والنحل أن هذه الفرقة كانت تقول له المسيح وتقرر أنه ابن الله، وتذكر حقيقته وحمل أمه به، وقصة صلبه وكل ذلك في صورة خاصة، فتذهب إلى أن مريم لم تحمل به كما تحمل النساء بالأجنة، وإنما مر في بطنها كما يمر الماء في الميزان، لأن الكلمة (الإبن) دخلت من أذنها وخرجت لتوها من حيث يخرج الولد، وأن ما ظهر من شخص المسيح في الأعين هو خيال شبيه بالصورة التي تظهر في المرآة، فلم يكن المسيح جسما متجسما كثيفاً في الحقيقة. وكذلك القتل والصلب فإنهما وقعا على الخيال والظن، لا على الحقيقة »(١).

وعن موطن انتشارها وزمان مكثها يقول الشهرستاني: «هؤلاء يقال لهم الإليانية وهم قوم بالشام واليمن وأرمينية، قالوا: وإنما صلب الإله من أجلنا حتى يخلصنا، وزعم بعضهم أن الكلمة كانت تداخل جسم المسيح، عليه السلام أحيانا، فتصدر عنه الآيات من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وتفارقه في بعض الأوقات فترد عليه الآلام والأوجاع»(٢) ويبدو أنه لا يزال لهذه الفرقة أتباع في عصر الشهرستاني (القرن السادس الهجري — الثالث عشر الميلادي).

---

(١) علي وافي — الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ط أولى ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م نهضة مصر — القاهرة.

(٢) الشهرستاني (الملل والنحل ص ٢٢٧ جـ ١ ط الحلبي ١٩٦١) نقلا المصدر السابق.

خلاصة المقال :

هكذا كان في المسيحية فوق ذلك بدع زادت في التطرف إلى حد أخرجها عن هيكل التدين بوجه عام ، فقد تمزقت العقيدة إلى بدع ، ذات شيع وطوائف لا تدخل تحت حصر كلما هب ريح الزيغ على عقل إنسان شديد التعلق بها ،أو متنبيء شغوف بالظهور على حسابها، يقول ول ديورنت: « إن أتباع المسيح قد انقسموا فى الثلاثة قرون الأولى من ظهوره إلى مائة عقيدة وعقيدة ، ولو أننا عمدنا إلى ذكر العقائد الدينية المختلفة التي حاولت أن تستحوز على الكنيسة الناشئة ثم عجزت عن الوصول إلى غرضها ، والتى اضطرت الكنيسة إلى أن تصمها واحدة بعد واحدة بأنها كفر وسعى إلى الانشقاق والتفريق لخرجنا عن الغرض من كتابة التاريخ »(١) .

ويقول : « أما الشيع الصغرى فقد كانت مما يخطئه الحصر »(٢) ، وقد نوه ابن بطريق إلى كثرة هذه الفرق فى كتابه :(نظم الجوهر) ويبعد أن تدعى فرقة مذهبا من غير أن تؤيده بأقوال تعزوها إلى المسيح ،وتدعوها بالإنجيل، وإن أغفل التاريخ ذكر جميعها إلا أن لنا فيما ذكره(آدم كلارك) غنية عن ذكر هذه الأناجيل ، وآدم كلارك من متأخرى علماء المسيحية ، يقول فى المجلد السادس من تفسيره فى شرح هذا المقام:« هذا الأمر محقق أن الأناجيل الكثيرة الكاذبة كانت رائجة فى أول القرون المسيحية ، وكثرة هذه الأقوال هيجت لوقا على تحرير الإنجيل ، ويوجد أكثر من سبعين من هذه الأناجيل الكاذبة ، والأجزاء الكثيرة من هذه الأناجيل باقية ، وكان (فابرى سيوس)جمع هذه الأناجيل الكاذبة وطبعها فى ثلاث

---

(١) قصة الحضارة جـ١ م ١ ص ٢٩٠

(٢) المرجع السابق ص ٢٩٤

مجلدات ، وبين فى بعضها وجوب طاعة الشريعة الموسوية ووجوب الختان مع إطاعة الإنجيل)(١) .

وكل واحد من هذه الأناجيل العديدة يخالف سائرها فى الجملة والتفاصيل ، ومنها الأناجيل الأربعة التى تخالفها وتختلف عنها .

وهذا ما دفع سلسس إلى أن يقول ساخرا : « إن المسيحيين تفرقوا شيعا كثيرة حتى أصبح هم كل فرد منهم أن يكون لنفسه حزبا ، واستطاع إيرنيوس فى عام ١٨٧ م أن يحصيها الى عشرين شيعة مسيحية ، وأحصى إيفانوس فى عام ٣٨٤ م ثمانين منها ، وكانت الأفكار الأجنبية تتسرب إلى العقيدة المسيحية فى كل نقطة من نقاطها : وقد انهمر المؤمنون من المسيحيين ينضمون إلى هذه الشيع المختلفة »(٢) .

وهذا بولس رسول المسيحية الأعظم يخبرنا قبل تحريره رسالته إلى أهل غلاطية بأن إنجيل المسيح الصحيح كان موجودا — ولو فى الصدور — ولكن الأتباع قد انصرفوا عنه وضلوا عنه ، فيقول متعجبا من ذلك الضلال والإمعان فى الانحراف : « انى أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذى دعاكم بنعمة المسيح إلى انجيل آخر ، ليس هو آخر — أى لا يستحق أن يدعى إنجيلا — غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح »(٣) .

فهذا تصريح من قديسهم الأعظم بأن التحول والتحويل عن انجيل المسيح بدأ مبكرا جدا ، وفى زمن الحواريين ، فما بالنا بالزمان اللاحق الذى لقى فيه المسيحيون من العنت والتدمير لكل من انتمى الى دين المسيح

---

(١) راجع كتاب الفاروق من ص١٠ وإظهار الحق ج١ ص ١٦٤

(٢) قصة الحضارة ج ٣ م ٣ بتصرف .

(٣) غلاطية ١ : ٦ ، ٧ .

أو عثر معه على مكتوب من الإنجيل ؟ هذا فضلا عما كان من تلقيح المسيحية بالوثنية مما عرفناه فى فصل سابق من هذا الكتاب ، وإذن فلا شك أن الوضع والتحريف فى الإنجيل قد عمت به البلوى .

وفى الوسع أن نقول بعد كل الذى سبق أنه وسط ذلك الخضم المائج المضطرب والمزدحم بالآراء والمذاهب والشيع أصبحت المسيحية فى عهدها الغابر أجمة من العقائد المتداخلة المتضادة ، والمتشابكة المتنافسة ، حتى كان الزمان فى الربع الأول من القرن الرابع الميلادى فأعلن الامبراطور قسطنطين إيمانه بالمسيح وأمن المسيحيين على دينهم وحياتهم بعد طول اضطهاد ، فهبت جميع الفرق من رقدتها ، وبزغت كل الطوائف التى كانت متمركزة فى نفسها ، مغذية لجذورها ، مترقبة فرصة ظهورها .. فأعلن كل منها عقيدته فى المسيح ومذهبه فى المسيحية ، وحملت كل فرقة إنجيلا منادية بأحقيته ، ولزوم طاعته ، كما ظهرت العقائد فى المسيح وتصـــور الألوهية بمظهر الأمشاج المتخالطة ، ولم يصبح لدين الحق معالم واضحة ، فرأى قسطنطين أن جمعهم على رأى واحد ، واختيار إنجيل يتفق مع الرأى المختار أصبح واجبا حتميا ، فاجتمع لذلك أول مجمع مسكونى فى بلدة (نيقية) وكان الضلال رائدهم والشيطان قائدهم ، فأقروا الأناجيل الأربعة الحالية ، ورفضوا كل ماعداها ، وأمر المجمع بتحريقها ، وطرد أصحابها ولعنهم ، وكان ذلك عام ٣٢٥ ميلادية وكانت هذه الأربعة قبل هذا التاريخ مثل غيرها فى التداول . يقول ول ديورانت : « إن الأربعة الأناجيل التى وصلت إلينا هى البقية الباقية من عدد أكبر منها كثيراً كانت فى وقت ما منتشرة بين المسيحيين فى القرنين الأول والثانى) .



---

(١) قصة الحضارة جـ٣ م ٣ ص ٢٠٦

الباب الخامس

الإنجيل السماوي في عرف الإسلام

معالم ، وشواهد ، ودحض مزاعم

قال تعالى : هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق نا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ، الجاثية ٢٩

يشتمل هذا الباب على الفصول التالية :

الفصل الأول : نقض الدليل على صحة ماتداول من الإناجيل

الفصل الثاني : من معالم إنجيل المسيح في القرآن الكريم

الفصل الثالث : القرآن ينفي مزاعم زعموها في الإنجيل .



الفصل الأول

نقض الدليل على صحة ماتدوال من الأناجيل

قال تعالى : « ويجادل الذين كفروا بالباطل
ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتى
ورسلى هزوا » [الكهف ٥٦] .

يتفق المسيحيون والمسلمون على أن المسيح — عليه السلام — قد جاء قومه بكتاب سماوى هو « الإنجيل » إلا أن حقيقة هذا الإنجيل فى تقدير الإسلام تختلف عنه فى تقدير المسيحية .

ففى تقدير الإسلام أن عيسى عليه السلام قد أعلن — وهو لم يزل فى مهده — أن الله آتاه الكتاب وجعله نبيا ، يحكى القرآن ذلك عنه فيقول « قال إنى عبدالله آتانى تعالى الكتاب وجعلنى نبيا »(١) .

ثم لما بلغ أشده إلى مستوى تحمل الرسالة بعثه الله بالإنجيل إلى بنى إسرائيل هدى ونوراً ، ومصدقا لما بين يديه من التوراة ، قال تعالى : « وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة »(٢) .

وهذا القدر من العلم بما فى تقدير المسلمين يؤمن به المسيحيون .

فقد ذكروا أن المسيح بشر بالإنجيل بنى إسرائيل فى صلاته إلى الآب: « الكلام الذى أعطيتنى قد أعطيتهم »(٣) .

---

(١) مريم ٣٠ (٢) المائدة ٤٧
(٣) يوحنا ١٧ : ٨

وقد مر أن المسيح أرسل به رسله إلى قرى ومدن بنى إسرائيل للتبشير به يقول الإنجيل عن المسيح : « ومن يهلك نفسه من أجلى ومن أجل الإنجيل فهو يخلصها »[1] .

وقضية النزاع بين المسلمين والمسيحيين فى هـــذا الباب تدور حول الحقيقة المرادة من هذا الإنجيل .

فحقيقة الإنجيل التى يؤمن بها المسلمون هى الإنجيل الذى آتاه الله عيسى عليه السلام ، ولم يصح فى العقيدة الإسلامية التصديق بإنجيل غيره مهما كان الآتى به ، وسند المسلمين فى ذلك هو ما جاء به القرآن الكريم من صريح القول آنف الذكر .

أما المسيحيون فيدعون أن الحقيقة المرادة من الإنجيل هو إنجيل العهد الجديد ، وبمعنى أوضح : هو الأناجيل المعلنة باسم أصحابها : متى ، مرقس ، لوقا ، يوحنا .

وأن هذه الأناجيل هى الصحيحة التى يجب الإيمان بها ، ويغضون النظر عن إنجيل بلسان المسيح نفسه قد أخذه عن الله ، ووعظ به ، ودعا إليه ، وبلغه إلى قومه .

وسندهم فى الاستدلال على هذه الدعوى يتمثل فيما يلى :

أولا : نصوصهم المقدسة المفسرة بأقوال شراحهم بأن هذه الأناجيل موحى بها من الله .

ثانيا : نصوص من القرآن الكريم يميلون بمعناها عن المفهوم المراد

---

(١) مرقس ٨ : ٣

منها، ليجادلوا بها البسطاء، ظانين أن ذلك يوصل إلى ما يبتغون، ولكنهم يقولون على الله الكذب وهم يعلمون. ونعرض فيما يلي استدلالهم ثم نردفه بإظهار مفاسده.

الاستدلال الأول:

فى معرض الحديث عن الوحى يقول القس إبراهيم لوقا: «فالنظر إلى الوحى الإلهى من الناحية الإسلامية العامة يخالف النظر إليه من الناحية المسيحية، فنحن — معشر المسيحيين — نؤمن أن ليس عند الله لغات ولا حروف، فليس عنده إذن إنزال «ميكانيكى» فالاعتقاد المسيحى عن الوحى هو ما قاله الرسول بطرس فى رسالته الثانيـــة [٢ بط ١ : ٢١] «تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس».

فمعنى الوحى عندنا هو إظهار حقائق غير ممكن معرفتها بقوانا الطبيعية، وأما ما يمكن للعقل أن يصل إليه ولكن تحت خطر الضلال فيسمى إلهاماً، والوحى والإلهام أمر واحد بالنسبة لله تعالى، وأمران بالنسبة للعقل البشرى، وهما لا يعنيان أن الله لقن الكتبة الذين كتبوا الأسفار المقدسة ما سطروه حرفاً حرفاً من تعاليم وتواريخ، بل إنه حركهم للكتابة وأنار عقولهم بالمعرفة وحفظهم من الزلل»(١).

مفاسد هذا الاستدلال:

١ — إن الإلهام الذى بواسطته كتبت الأناجيل قد وصفه الكاتب: «بأنه يقع تحت دائرة الخطأ والضلال»، وهذا الوصف كاف فى رد دعوى إلهامية الأناجيل.

٢ — كون الوحى فى الاعتقاد المسيحى ليس بلغات ولا حروف وإنما يحرك الله كاتب الإنجيل إلى الكتابة بعد إنارة عقله وحفظه من الزلل،

(١) إبراهيم لوقا/ المسيحية فى الإسلام ص ٣٩.

يمكن أن نؤسس عليه إمكان أن يحرك الله كاتب المقالة الأدبية أو القصيدة الشعرية إلى الكتابة ويلقى فى روعه معانى ومفاهيم ما يريد كتابته ، ويعبر الكاتب عن ذلك — كما يعبر كاتب الانجيل — باللغة والحروف من عند نفسه ، ثم يلقيها على المسامع صادقة المعانى والمفاهيم محفوظة من الزلل ، مثل قول القائل :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

ومثل :

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته

يوما على آلة حدباء محمول

ومثل :

وفى كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

ومثل : البعرة تدل على البعير ، وأثر السير يدل على المسير .

فهذه أقوال صادقة المعنى والمبنى

فهل أصحاب هذه الأقوال ملهمون بالوحى معصومون من الزلل ؟

لئن صح ما يقول صاحب الاستدلال فإنه يصح ما نقول ، حيث تساوى تحريك الله لكلا الكاتبين — كاتب الإنجيل وكاتب المقالة — إلى الكتابة بعد إنارة عقليهما وحفظهما من الزلل .

على أن مذهبنا أن الله يخلق الفكرة فى نفس العبد ومفاهيمها وحروفها ، وللعبد الاختيار والكسب .

٣ — كون كتابة الأناجيل عن طريق الوحى بعد إنارة عقل كاتبيها وحفظهم من الزلل معناه عصمتهم من المعاصى ، وهذه درجة الأنبياء والمرسلين ، فهم وحدهم المعصومون من الزلل . وتأسيسا على ذلك نقول :

لقد جرت عادة الوحي في نزوله إلى أي من أنبياء الله ورسله أن يعلن للمرسل أنه رسول وأنه نبي، فكثيرا ما يخاطبه بقوله: «يا أيها النبي» «يا أيها الرسول» أو يخاطبه باسمه قائلا: يانوح. ياهود ... ياصالح ... ياإبراهيم ... ياموسى ... ياعيسى ... مردفا هذا الخطاب بصيغ التوجيه أو الأمر أو النهي، أو الإرشاد، كما في القرآن الكريم.

أما الأناجيل فلا نكاد نرى فيها ما يشعر بأنها رسالة موحى بها إلى نبي أو رسول، فلم نقرأ فيها شيئا مما يتميز به كلام الوحي، فلم نجد وحيا يقول: يامتى، ولا يامرقس، ولا يالوقا، ولا يايوحنا مثلا: إنا أرسلناك بكذا وكذا، وماوجدنا فيها غير مجموعات من الذكريات عن سيرة المسيح يشوبها الاختلاف والتضارب مع خلطها بفيوضات النشوة الإيمانية، وكلها كما قال صاحبهم واقعة تحت الوهم وخطر الضلال.

فمن أين نصبوا كتاب الأناجيل أنبياء ورسلا محفوظين من الزلل؟ إن هذه الدعوى لا ينهض عليها دليل من أصل شرعي، ولا حكم عقلي، وليس أحد يستطيع أن يعطيها صفة اليقين بأن مصدرها وحي الله خالق الأرض والسموات.

٤ — وصف الوحي بأنه حركة فكرية حركها الله للكتابة وصف يخرج الوحي المعصوم عن أن يكون وحيا، فضلا عن كونه وصف لا حدود لمفهومه.



الاستدلال الثانى :

فى معرض حديثهم عن شهادة القرآن بصحة العقيدة المسيحية زاعمين من خلال ذلك أنها تدل على صحة الأناجيل الرسمية ، يقول القس إبراهيم لوقا :

« رابعا : حكم الإسلام بالفسق على من لم يقم أحكام الإنجيل ، فقد جاء فى سورة المائدة : « وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » [المائدة / ٤٧] وقد ذكر البيضاوى فى تفسيره : « فأولئك هم الفاسقون » عن حكمه أو عن الأيمان إن كان مستهينا به ، والآية تدل على أن الإنجيل مشتمل على الأحكام ، وأن اليهودية منسوخة ببعثة عيسى » .

خامساً : أقر الإسلام بحقائق تعاليم المسيحية ، وحض على الإيمان بها ، فقد جاء فى سورة العنكبوت / ٤٦ « وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد » — ولم يذكر الكاتب ختام الآية « ونحن له مسلمون » — .

سادساً : دعا الإسلام إلى الإيمان بالتعاليم الواردة فى التوراة والإنجيل ، فقد جاء فى سورة النساء / ١٣٦ « يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا » كما جاء فى سورة آل عمران / ٨٤ « قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم » (١) — وطبعا لم يأت بتمام الآية « ونحن له مسلمون » — كما سبق فى البند (خامسا) .

---

(١) إبراهيم لوقا المسيحية فى الإسلام ص ٧ ، ٨

هذا هو مجمل ما يستدل به من القرآن فى هذا المقام ، ونحن نضيف إليه بأن هذا المعنى جاء أيضا فى سورة البقرة / ١٣٦

مفاسد الاستدلال الثانى :

١ — لقد احتكم النصارى إلى آية المائدة / ٤٧ فى صحة العقيدة المسيحية بابتنائها على صحة الأناجيل الرسمية .

والآية الكريمة تقضى بضرورة أن يحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه من عقائد وأحكام ، والإسلام قد حكم بالفسق على من لم يقم أحكامه ، وهذا حق لا مرية فيه ، فحكم القرآن حق وقضاؤه مبرم ، لأنه الكتاب المنزل من لدن رب العالمين .

وقد نسى النصارى ما ذكروا به ، وفاتهم أن المراد بالإنجيل المحكم فيهم بأمر القرآن هو الكتاب الذى آتاه الله عيسى ونطق به بلسانه الشريف كما هو قول الله تعالى : « وآتيناه الإنجيل » وليس هو الإنجيل أو الأناجيل التى أعيدت كتابتها بالفكر الذى حركه الله للكتابة وصاغوه بحروف وكلمات من عند أنفسهم ، ونسبوه إلى الله زورا وبهتانا ، فإن من المتفق عليه أن الأناجيل الرسمية ليست هى عين ما آتاه الله المسيح وأوحى به إليه .

٢ — تضمن البند (رابعا) أن الآية الكريمة تدل على أن الإنجيل مشتمل على الأحكام ، وهذه الدلالة حق ، إلا أن الأناجيل المتداولة لا تشتمل على أحكام، ولكنها أحالت معرفة الأحكام إلى ماجاء فى التوراة من شريعة وتعاليم (١) .

---

(١) اقر أمتى ٥ : ١٧

٣ — تضمن البنـد (رابعا) من كلام القس إبراهيم لوقا أن اليهودية منسوخة ببعثة عيسى .

ونرى أن هـذا زعم باطل إذ يناقضه ماجاء فى متى ٥ :١٧ « لاتظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ماجئت لأنقض بل لأكمل ... » فهذا النص يؤكد لهم وجوب استمرارية العمل بشريعة التوراة (الناموس) والالتزام بتعاليمها . ولم تتضمن الأناجيل نصاً يفيد نسخ اليهودية ببعثة عيسى عليه السلام ، ولا ندرى أيهما يؤخذ به كلام القساوسة أم كلام قصهم المقدس ؟

هذا فضلا عن أن الآية الكريمة لاتدل على شيء من هذا الزعم إطلاقا ولكنه التقول على الله بغير الحق .

٤ — جاء فى البند (خامساً) أن الإسلام أقر بحقائق تعاليم المسيحية وحض على الإيمان بها ، مستشهداً بآية العنكبوت / ٤٦

والآية الكريمة تأمر المسلمين أن يقولوا لأهل الكتاب : آمنـا بالذى أنزل إلينا ـ أى بالقرآن ـ وأنزل إليكم ـ أى بالتوراة والإنجيل الموصوفين بكونهما منزلين من الله تعالى على النبيين موسى وعيسى ـ لا ماكتبه غيرهما من غير إنزال وحى . ولو أنهم آمنوا بما نزل على المسيح حقيقة لوجدوا فيه أمراً بالإيمان بالنبى محمد الآتى بعد المسيح عليه السلام ، فكتاب عيسى المنزل عليه يسلمهم إلى كتاب محمد ﷺ (القرآن الكريم) .

كما تأمر الآية بالإيمان بوحدانية الله تعالى ، فبأى وحدانية يريدها داعيهم أهى وحدانية الثالوث ؟ إن كون الثلاثة واحدا لايقره عقل الصبى .

إنه الإيمان بأحدية الله المطلقة ، وبشرية عيسى المسيح ونبوته . فماذا بعد الكفر إلا الضلال ؟ فهل أنتم منتهون ؟

٥ — جاء فى البند (سادسا) من استدلاله المذكور : أن الإسلام دعا إلى الإيمان بالتعاليم الواردة فى التوراة والإنجيل، مستشهداً على ذلك بآية النساء / ١٣٦ ، « يأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل » الآية .

وهم هنا يلوون عقولهم بمفاهيم الكتاب ليحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب . والنزاع هنا فى تحديد المعنى المراد من الكتاب الذى أنزل من قبل، فالمسيحيون يريدون به الكتاب المكتوب بأيديهم الذى ينسبونه إلى الله — التوراة المكتوبة بأيدى كتبة بنى إسرائيل والأناجيل المنسوبة إلى متى ومرقس ولوقا ويوحنا والمكتوبة بأيديهم — . أما الآية الكريمة فإنها تنص على أنه الكتاب الذى أنزله الله على رسله الأكرمين وتلقوه عن الوحى الإلهى مباشرة بصفتهم أنبياء ورسلا .

وفرق بين كتاب آتاه الله نبيه ونعت بأنه كتاب الله ، وكتاب وضعه بشر وكتب كما تكتب الملاحم والسير وتسمى باسم واضعه .

٦ — فى البند (سادسا) أردف الكاتب آية النساء بآية آل عمران / ٨٤ والآية تقول : « قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم .» إلى أن قال تعالى : « وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم »

والآية الكريمة لاتصلح دليلا على دعوة الإسلام إلى الإيمان بإنجيلهم المكتوب بأيديهم فهى تقول « وما أوتى موسى وعيسى » ولم تقل « وما أوتى متى ومرقس ولوقا ويوحنا » وإذا كان هناك من التحقيق والتدقيق العلمى فإنه يجب الأخذ فى الاعتبار أن هذه الآية المستشهد بها تختتم بقوله تعالى : « ونحن له مسلمون » وأن الآية التالية لهــــذه الآية هى قوله تعالى : « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الخاسرين » فلماذا الأخذ ببعض الكتاب والكفر ببعضه ؟؟ . فالآية بتمامها وما تلاها حجة عليهم لا لهم ، ولكنهم يأخذون من كتاب الله الذى جاء بالصدق ليجعلوا

منه مادة لجدل هو من إيحاء الشيطان : « وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم(١)، ليذسبوا إلى الله ما كتبوه بأيديهم «فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » ،

والخلاصة : أن الأناجيل الرسمية يتفق الجميع على أنها من وضع أصحابها ومن زعم أنها وحي من الله فليقدم الدليل على أن أصحابها رسل من رب العالمين ، ولشد ما تتبدد الثقة بإلهاميتها إذا ما تبين للقارىء أن الإلهام في العرف المسيحي يقع تحت خطر الضلال .



(١) الأنعام/١٢١

الفصل الثانى

من معالم إنجيل المسيح فى القرآن الكريم

قال تعالى : « ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ».

[المائدة / ١٥]

تمهيد :

أسوق هذا الفصل والذى يليه فى مواجهة من يزعم أن القرآن الكريم يأمر المسيحيين أن يتحاكموا إلى أناجيلهم الوضعية الرسمية ، وذلك قوله تعالى : « وليحكم أهل الأنجيل بما أنزل الله فيه» ومستدلين من خلال ذلك على صحة مابأيديهم من مؤلفات الأناجيل

كما أريد أيضا بيان ماتقصده الآية الكريمة من الأنجيل المراد تحكيمه فى أهل الإنجيل .

لقد قطعنا شوطاً طويلا من الجدال والحوار بحثاً عن طبيعة الإنجيل السماوى — إنجيل المسيح عليه السلام — تلك الحقيقة الموضوعية والتاريخية التى طالما تراكمت عليها ركامات من التصورات والاعتقادات تقاربت أو تباعدت عن الحقيقة حسبما تراءت لكاتبيها وانتهت إليها نزعاتهم .

وسواء علينا أكتب الإنجيل صحيحا واتبعه الموحدون أتباع (آريوس)

وأمثالهم ، ثم فقد تماما بفعل المثلثين اضطهادا منهم لأهل التوحيد بسلطان من الأمبراطور (قسطنطين) أو اتبعوه محفوظا فى صدورهم ، أم كتب بالطريقة التى كتب عليها الآن بعد مروره بأطواره المختلفة .

سواء علينا هذا أو ذاك فإن القرآن الكريم باعتباره مصدقا لما تقدمه من كتب سماوية والإنجيل إحداها ، وباعتباره مهيمناً ، أى حافظا لمضامينها وقضاياها التى يجب استمرار العمل بها. قد سجل معالم لإنجيل المسيح وبين أنها مذكورة فيه وأن اعتقادها ودوام العمل بها مقرر فى الإسلام ، ولتكون معالم وأمارات للحق أن يتبع . وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه)(١) .

كما نفى مزاعم ابتدعها المسيحيون فى الدين ، واعتقدوها ، وآمنوا بها — مما سنذكره فى الفصل التالى إن شاء الله — فنزه القرآن المسيح والإنجيل عنها ، ومن اعتقادها ، أو العمل بها، ليفرز الكتاب الذى هو من عند الله من الذى هو من صنع البشر :« كتاب أنزلناه إليك مبـــارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب »(٢) « ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة »(٣) .

لقد ذكر القرآن بالنص الصريح بعض الشواهد من إنجيل المسيح ليذكر قومه بأنهم تركوا إنجيله الحقيقى وراءهم ظهريا ، وتدعوهم هذه الشواهد فى الوقت نفسه إلى إعادة النظر فيما بين أيديهم من أناجيل ، ولسان حال هذه الشواهد يقول : إن كانت أناجيلكم تحمل بين طياتها ومضامينها هذه الشواهد وتلك الدلائل فهى إنجيل المسيح الصحيح الذى يجب اتباعه دون مراء . وإن خلا إنجيل منها أو من بعضها فإنه لا يتبع ولا يعتبر منزلا من عند الله. بل يكون منتحلا وليس له واقع من الحقيقة ككتاب سماوى .

---

(١) الأنعام / ٩٢ (٢) سورة ص / ٩٢ (٣) الأنفال / ٤٢

وأذكر هنا بعضا مما سجله القرآن من معالم ثابتة — دون استقصاء لهذه المعالم — فى إنجيل المسيح ذكرها القرآن وجهر بها على مسامع الخلائق ليعلم من خلال ذلك أحقية القرآن الكريم ، وهيمنته على ماسبقه من الكتاب، وليوقظ الغافلين للتعرف على حقيقة الكتاب، ولعله يهدى العمى عن ضلالتهم .

وهاهى بعض هذه المعالم :

١ — يذكر القرآن الكريم أن اسم (محمد) ﷺ ثابت فى الإنجيل الحقيقى بوصف كونه نبيا أميا له أوصاف معينة، وأنه يأتيهم بتعاليم خاصة تزيح علاتهم. وهذا فضلا عن ثبوته أيضا فى التوراة ، فهو فى الكتابين ثابت مع بيان وظيفته ، وبعض فقرات من رسالته التى سوف يقوم بتبليغها فى مستقبل زمان التوراة والإنجيل ، ودعوة أهل الكتابين باتباعه ، والإيمان به ، ومؤزاته : فقال تعالى فى كتابه العزيز :

« الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون »(١)

فانظر إلى ختام الآية المذكورة ، إنها تعطى وعدا من الله بالرضا والفلاح حالا ومآلا للذين يؤمنون برسالة محمد — ﷺ — ويعزرونه وينصرونه على مخالفيه بعدما يتبعون قرآنه الآتى به، والذى يهدى للتى هى أقوم ، والإيمان به من أهل الكتاب العالمون بكتابهم إنما يكون من خلال نظراتهم وتأملاتهم فيما كتب عن محمد ﷺ فى كتاب التوراة — إن كان

(١) الأعراف / ١٥٦

الناظر يهوديا! — أو الإنجيل — إن كان الناظر نصرانيا — فاتباعهم لمحمد إنما يكون بهداية وإرشاد لهم من كتبهم « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم »(١) فأين صريح هذا النص فى الأنجيل.؟

٢ — ذكر القرآن الكريم نصاً لأعظم عقـــد مبرد بين الله وعباده المجاهدين من المؤمنين ، وقد وعدهم الله فيه بالثمن وعـداً قاطعا ، ثم بين أن هذا العقد ببنوده ثابت فى الإنجيل ومن قبله فى التوراة ، ثم استمر تثبيته والعمل به فى القرآن كذلك ، بكل معالمه وبنوده إلى يوم الدين .

فقال تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم »(٢) .

وهكذا سجل الله العهد المقدس فى كتبه الثلاثة : التوراة ، والإنجيل والقرآن . وهو يقضى بأن الله اشترى أرواح المجاهدين وأموالهم بالجنة إذا بذلوهما خالصين لله ، تصديقاً للإيمان وتحقيقاً بالعمل .

ونحن إذا تصفحنا أسفار التوراة والإنجيل معا لا نجد فيهما مايدل على شريعة الجهاد فى سبيل الله والحض على بذل النفس والمال فى سبيل إعلاء كلمة الله ، اللهم إلا نصوصاً يفهم منها تمكين بنى إسرائيل فقط فى الأرض، وعونهم على اغتصاب أموال وأرض غيرهم من الأمم بقوة (يهوه) الإله المخيف القاسى غير الرحيم ، الخاص ببنى إسرائيل وكأن الأمم غير الإسرائيلية لا رب لها ولا إله خلقهم ويرعاهم ، على أن أحقيتهم فى اغتصاب حقوق الأمم بقوة إلههم ليس مبنياً على عصيان تلك الأمم وامتناعهم عن الإيمان

(١) المائدة / ١٥ ، ١٦

(٢) التوبة / ١١١

بالله الواحد بعد توجيه دعوة الحق إليهم. ولكنه مبنى على مدى استقامتهم، ـ أى بنى إسرائيل ـ وحدهم على تعاليمهم، فجوهر الغارة على الأمم المجاورة لهم أساسه اكتساب الأرض والأموال والبهائم وغيرها ولا يشتم من هذه النصوص التوراتية أن ذلك من أجل إعلاء كلمة الله وأنه جهاد فى سبيله عز وجل فضلا عن أن هذه النصوص لا تدل من قريب أو من بعيد على أن لهم فى الآخرة نصيباً كما نص العهد القرآنى .

فأين هذا العهد فى التوراة والإنجيل ؟ وإن كتاب الله العزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقوله هو الصدق وهو الحق ومخالفه هو الزيف وهو الباطل . فخلو التوراة والإنجيل عن هذا العهد دليل على كونه ليس سماويا .

٣ — كشف القرآن الكريم عن أوصاف لمحمد — ﷺ — وأتباعه ذكرت فى الإنجيل بمعان أخرى غير التى ذكرت فى التوراة ، وذكر أن كلا الوصفين ثابت فى الكتابين السماويين — التوراة والإنجيل — كل حسبما اختص به ، ولكون القرآن مصدقا لما بين يديه أعاد تسجيل هذه الأوصاف فى القرآن بمعنيها المذكورين فى الكتابين السابقين فقال عز وجل فى حكاية المعنى لهذه الأوصاف :

« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود وذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما »(١) .

فهذه أوصاف جماعة المسلمين فى التفافهم بسيدهم وقائدهم ومعلمهم

---

(١) سورة الفتح ٢٩

محمد ﷺ . وتمسكهم بشريعة الإسلام وسنة خير الأنام وتآزرهم فى الدفاع عن دينهم وقرآنهم ، وهذا وصفهم حال خلوتهم للعبادة بينهم وبين ربهم وآثار ذلك روحياً ومادياً على ظاهرهم وباطنهم ، وأنهم رهبان الليل وفرسان النهار ، ليوث على الأعداء موطئون أكنافاً مع الإخوان .

فأين هذه الأوصاف فى التوراة والإنجيل ، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين .

٤ — ينص القرآن فى صراحة لا غموض فيها ولا إبهام أن عيسى — عليه السلام — خاطب بنى إسرائيل بأنه رسول الله إليهم مؤكداً شريعة التوراة ومبشراً برسول إسمه (أحمد) يأتى من بعده ، وقوله هذا يعتبر إطاراً عاماً لدعوته إذ كل رسول هو مصدق لما قبله ممهد ومستفتح لما بعده ، ولقد حكى القرآن هذا المعنى الذى يبعد — كل البعد — ألا يثبت فى فى الإنجيل ، لأن فى التصديق على ماقبله بيان ووصل للمنهج الربانى ، والتبشير بالنبى الذى يأتى بعده دعوة لأمته باتباع رسالته والتزام شريعته والدخول فى دينه ، ولا إخال ذلك إلا من صميم الإنجيل ، بل هو أصل من أصوله ولذلك لما لم يكن بعد محمد ﷺ نبى نبه على ذلك وجعله أصلا من أصول دينه وأساسا من أسس شريعته فقال — ﷺ — « أنا العاقب فلا نبى بعدى » وقال « ... أنا خاتم النبيين » .

وقد سجلت هذه العقيدة فى القرآن الكريم حتى لا يضل الناس باتباع من يزعم النبوة بعد محمد — ﷺ — فقال الله تبارك وتعالى : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين »(١) .

هذا ، وان بشارة نبى الله عيسى بنبوة نبى الله أحمد الآتى بعده — فهو محمد وهو أحمد ، قد سجلها القرآن لتخلد هذه البشارة مع خلود القرآن

---

(١) سورة الأحزاب / ٤٠

الكريم فقال عز وجل فى سورة الصف : « وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد »(١) .

فهذه البشرى قد محيت من الأناجيل واستبدل بها غيرها ، فهل يوثق بعد ذلك فى كتاب وضع حسب أهواء واضعيه ؟ إن وجود هذه البشرى فيه علامة على صدقه ، ومحوها منه دليل قوى على زيفه وبطلانه، لأن العبث اذا تطرق إلى فقرة واحدة منه احتمل الأمر تطرق العبث الى سائر فقراته ، لأن ما يجوز على مثل يجوز على سائر أمثاله .

وإن التصديق بمجىء محمد — ﷺ — بعد عيسى ، وتبشير الأمم به عهد وميثاق أخذه الله من قديم على أنبيائه ورسله ومضمونه أن يوصوا أممهم بأن يؤمنوا به وينصرونه إذا أدركوه ، وعيسى — عليه السلام — أحد هؤلاء الرسل المذعنين لهذا الميثاق والمقرين به ، ولكى تتذكره الأمم ولا ينسوه لابد أن يسجل فى كتبهم السماوية ، ولقد سجله القرآن مبيناً شهادة الأنبياء عليه وشهادة الله معهم وعليهم فيه كما بين أن من خالفه يكون خارجاً عن دين الحق وخسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين ، يقول سبحانه فى كتابه العزيز :

« وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون »(٢) .

---

(١) سورة الصف / ٦

(٢) سورة آل عمران / ٨١ ، ٨٢

٥ — إن القرآن الكريم قد أثبت واقعة حمل مريم بعيسى — عليهما السلام — ثم وصف حالها وقت الوضع ، وصور آلامهـــا النفسية من مواجهة قومها بوليد من غير زرع بشر تمنت خلالها أن تكون خرقة اعتلت بها حائض ثم أهملت . يصور القرآن داخلها الكئيب فيحكى قولها : « ياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً » وذلك بعد أن ذكر القرآن مسبقاً أن واقعة هذا الحمل وملابساته ثابت أزلا فى الكتاب .

ثم أردف ذلك بما أثلج صدرها ، وطمأن نفسها ، وثبت قلبها بتأكيد براءتها فى مواجهة قومها ، بل زودها الله فى لحظتها بما تتقوى به جسديا على الوضع بعد أن قواها نفسيا ، فأينع لها جذع النخل ، وأثمره لها رطباً جنياً ، ثم أجرى لها للحظتها جدولا من الماء . هاتان خارقتان ، وخارقة أخرى لم تحدث إلا لمثل موقفها فأنطق الله وليدها الحديث الولادة ببراءتها ، لتكون هذه الخارقة علامة صادقة لها فى إخراجها من مأزق تطعن فيه البتول فى أعز ما تملك العذراء أمام قومها الغلاظ الذين قتل نبي أيسر عليهم من أن يسمعوا منه كلمة الحق . ومع ذلك فإن مريم تملك فى قلبها قوة الإيمان غير المحدود بالله العلي الأعلى ، الذى عودها منه فيض العطاء وطيب النفحات .

يقول القرآن الكريم مصوراً هذه المعجزات تصويراً تحس به النفس كأنه حاضر اللحظة : « فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا ، وهزى إليك بجزع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً ، فكلي واشربي وقرى عيناً فإما ترين من البشر أحداً فقولي إنى نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً فأتت به قومها تحمله قالوا يامريم لقد جئت شيئاً فريا ... فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبياً قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبياً ... » إلى قوله تعالى : « ... ويوم أبعث حياً »(١) .

---

(١) اقرأ من سورة مريم / ١٦ — ٣٣

فهل ذكرت الأناجيل ذلك الموقف الرهيب لمريم وكيفية المخرج منه بالوسيلة التى أعدها لها رب العالمين ، أو الآب الذى يسمونه ، مع أنها قد اشتملت على ثلاث خوارق ، وما كان لكتاب وحى أن يغفلها ، فلو كانت الأناجيل وحياً لأبانتها وسجلتها أو أشارت إليها باعتبارها خوارق تدعوا إلى الإيمان بعيسى وطهارة أمه المصطفاة على نساء العالمين، علماً بأن القرآن الكريم لم يغفل موقف اليهود من خارقة الحمل بعيسى وما لاكته ألسنتهم ضد هذه الطاهرة البتول ، فقال تعالى : « وبكفرهم وقولهم على مريم بحتاناً عظيماً »(١) .

فهلا يستحق هذا الحدث أن يسجل فى الإنجيل؟ وهو فى معناه أكبر من إخباره عن مصاحبة الخاطئة لعيسى ، أو ذكره قارورة طيب فاق ثمنها الخيال قد صبت على رأسه ، أو إخراج روح شريرة من جسد إنسان ؟ وهو أكبر من ذكره أموراً لفقت حسب أهواء طائفتها من مثل تزلزل الأرض وظلام الكون ، وتشقق الأرض ، وفتح القبور وخروج الموتى منها ، ودخولهم البيوت فزعا من موت المسيح على الصليب : مما لا يكاد يتصوره عاقل فضلا عن أن يصدقه . فضلا عن عدم ثبوته فى تاريخ عام أو خاص

فهل يصح لكتاب سماوى مثل الإنجيل أن يغفل هذا الحدث الخطير ، والمفروض أن القرآن مصدق لما بين يديه من الكتاب ، فأين هذا من الإنجيل حتى يصدق عليه القرآن الكريم ، إن عدم ذكر ذلك يدل على أنه ليس الإنجيل الذى أحال الله النصارى إلى الحكم بما فيه بأمر من القرآن الكريم . حيث يقول : « وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ... »

٦ — إن القرآن الكريم يذكر على لسان عيسى — عليه السلام — حين تكلم فى المهد أنه سيكون براً بوالدته، فقال تعالى : « وبراً بوالدتى »(٢)

---

(١) النساء/١٥٦ (٢) مريم/٣٢

فهذه قضية يجب ذكرها فى الإنجيل لأنها من قضايا كلامه فى المهد، وكلامه فى المهد معجزة يجب ذكرها ضمن معجزاته .

ولكن الأناجيل تكذب هذا القول ، فقد جاء فى متى « فقال له واحد هو ذا أمك وإخوتك واقفون خارجا طالبين أن يكلموك ، فأجاب وقال للقائل له من هى أمى ومن هم إخوتى ،ثم مديده نحو تلاميذه وقال ها هى أمى وإخوتى لأن من يصنع مشيئة أبى فى السموت هو أخى وأختى وأمى »(١) ، وقال مرقس(٢) ولوقا(٣) أيضا مثل ذلك .

إن أم المسيح الطاهرة جاءت إلى خارج البيت الذى كان يجلس فيه المسيح مع تلاميذه،فأرسلت إليه تطلب منه أن يخرج إليها لكى تراه حسب شوق الأمهات، وحنوهن ، فقال من هى أمى؟ ومديده إلى تلاميذه وقال: هاهى أمى : يريد تلاميذه .

فمنطق الأناجيل فى هذا المقام يظهر أن المسيح قد استخف بأمه وهزأ بها وبطلبتها ، ولم يترأف بحنو الأم وشفقة قلبها ، وهذا ضد البر الذى حكاه القرآن عنه ، لأنه فضل عليها الجلوس مع التلاميذ .

وبذلك يكون قد أنقصها قدرها ، بل جعلها وكأنها لم تسمع كلمة الله ولم تعمل بها ، وهى ماهى ؟ إنهـــا مريم البتول التى أصطفاها الله وطهرها واصطفاها على نساء العالمين .

المفروض هنا أن يتوافق الإنجيل مع القرآن لأنه المصدق لما بين يديه من الكتاب ، وتنزيل رب العالمين . والتنزيل لا يتعارض مع التنزيل ، وهذا التعارض يدل على أن الأناجيل من وضع البشر الذين هم عن الحق معرضون .

---

(١) متى ١٢ : ٤٧ — ٥٠ (٢) أنظر مرقس ٣ : ٣١ — ٣٥

(٣) أنظر لوقا ٨ : ١٩ — ٢١

٧ — لقد شهد القرآن الكريم للحواريين بالإيمان بالله ورسوله المسيح — عليه السلام — قال تعالى : « فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشـهد بأنا مسلمون »(٤) وقال تعالى: «وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون»(١) وهذا الإيمان يجب أن يسجل للحواريين فى الإنجيل وألا يتضمن ما يعارضه .

ولكن الأناجيل تضع الحواريين فى موضع الخروج عن ذلك الإيمان فجاء فيها مخاطبا لهم : « فقال لهم يسوع . . . الحق أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا فينتقل »(٢) .

«وقال يسوع كلكم تشكون فى هذه الليلة» أى ليلة القبض عليه (متى ٢٦/٣١)

أليس هذا مخالف للقرآن الذى يجب أن يكون مصدقاً لما بين يديه ؟ وهل يصح أن يتضمن كتاب الوحى الشىء ونقيضه ؟ إن المسيح يقول لبطرس : « إذهب عنى ياشيطان أنت معثرة لى لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس »(٣) . وفى موطن آخر قال له : (ياقليل الإيمان لماذا شككت) (متى ١٤ : ٣١)

ثم يقول له : « أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستى . . . وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا فى السموات وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا فى السموات »(٤) . فقد نصبه هنا رئيسا للحواريين ، وأعطاه حرية التحليل أو التحريم لكل ما على الأرض .

ولكنه فى أحرج المواقف للمسيح ينكر بطرس — وهو رئيس الحواريين كما يدل النص السابق — أنه يعرف المسيح حين تسلل إلى بيت قيافا رئيس

---

(٤) آل عمران / ٥٢ (١) المائدة/١١١ (٢) متى ١٧ : ٢١
(٣) متى ١٦ : ٢٣ (٤) متى ١٦ : ١٨ ، ١٩

الكهنة الذى اجتمع فيه الكتبة والشيوخ لمحاكمته(١) بعد القبض عليه، وقد أخبره المسيح بشكه فيه وإنكاره له ليلة المحاكمة. «قال له يسوع الحق أقول لك إنك تنكرنى فى هذه الليلة... ثلاث مرات» (متى ٢٦ : ٣٤) مع أن المسيح قد أعلن من قبل براءته أمام الله من كل من يقف منه هذا الموقف، وأنذره بسوء مصيره فيقول: «وأقول لكم كل من اعترف بي قدام الناس يعترف به ابن الإنسان قدام ملائكة الله، ومن أنكرنى قدام الناس ينكر قدام ملائكة الله»(٢).

وإنى أترك التعقيب على هذه النصوص المتناقضة لتأمل القارىء وفطنته، وليدرك أن القرآن أثبت إيمان الحواريين الخالص برسالة المسيح دون أدنى شك، والمفروض أن يثبت هذا فى إنجيلهم لو كان هو الموحي به من الله تعالى.

٨ — يقرر القرآن ويدعو إلى توحيد الله توحيداً خالصاً فى كثير من آياته الكريمة فى مثل قوله تعالى: «وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم»(٣).

وقوله تعالى: «الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم»(٤) وقوله عز وجل فى مقام التوبيخ الشديد للذين يشركون مع الله إلهاً آخر فيقول: «آلله خير أما يشركون أمن خلق السموات والأرض وأنزل من من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح

---

(١) أنظر متى ٢٦ : ٦٩ — ٧٥

(٢) لوقا ١٢ : ٨، ٩ ومتى ١٠ : ٢٢، ٢٣ (٣) البقرة/١٦٣ (٤) البقرة/٢٥٥

بشراً بين يدى رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين »[١] .

وفى القرآن على لسان عيسى يقول تعالى : «إن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم »[٢] إن دين الله واحد ، والتوحيد الخالص هو دعوة جميع الرسل ، وإذا كان القرآن يثبت أن عيسى دعا قومه إلى توحيد الله فالمفروض أن تثبت الأناجيل هذه الدعوة.

ولكن العهد الجديد يطالعنا بدعوة المسيح إلهاً مع الله، ففى رؤيا يوحنا يقولون عن ربهم يسوع : « أنا هو ... الأول والآخر ... »[٣] .

يقول بولس فرج : « فإذا كان الله الآب هو الأول والآخر ، وإذا كان الله الإبن هو الأول والآخر، إذن هما شخص واحد هو الله المتجسد فى شكل إنسان »[٤] .

ثم يقول سفر الرؤيا أيضا عن ربهم يسوع : « ها أنا حى أبد الآبدين »[٥] .

وفى يوحنا يحكون عن المسيح قوله: « أنا هو نور العالم »[٦] وفى نهاية متى عن المسيح : « دفع إلى كل سلطان فى السماء وعلى الأرض . . . وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر »[٧] . وكل هذا شرك بالله ونقيض وحدانية المطلقة .

---

(١) النمل / ٥٩ — ٦٤ واقرأ التغابن/ ١٢ والحشر / ٢٢ ؛ ٢٣ وغير ذلك كثير .

(٢) آل عمران/ ٥١ واقرأ مريم/٣٦ والزخرف/٦٤

(٣) رؤيا يوحنا ١ : ١١

(٤) بولس فرج / الله واحد فى ثالوث ص ١١٦

(٥) رؤيا ١ : ١٨ (٦) يوحنا ٨ : ١٢ (٧) نهاية متى

وخلاصة المقال هنا أننا نجد القرآن الكريم يبرىء المسيح من تهمة الدعوة إلى إله غير الله، بل إنه دعا إلى توحيد الله وعبادته، وإن إنجيله الحقيقي برىء من نسبة الشركة لله عز وجل وتعالى الله علواً كبيراً أن يتناقض وحيه إلى أنبيائه فينزل كتابا يدعو إلى التوحيد وآخر يناقضه، ولأن القرآن مصدق لما بين يديه فإن إنجيل المسيح الحقيقي برىء مما ذكر فى أناجيلهم.

٩ — إن القرآن الكريم يقرر أن كتاب الوحى الذى ينزل من عند الله يجب أن تبرأ ساحته من الإختلاف والتناقض سواء بين فقراته أو قصصه أو آياته فقال تعالى: «أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً»(١).

فهذا معلم من معالم القرآن يوجب ألا يشتمل الإنجيل على أدنى شيء من الاختلاف والتناقض.

ونحن إذا تصفحنا الأناجيل القانونية نجـــد فيهـا من الإختلاف والتناقض والتعارض ما تستحى منه الجباة وتنفر منه الطباع، لقد أتت بمتناقضات يستحيل التوفيق بينها بحال من الأحوال حتى استيئس من ذلك كبار محققيهم، وقد ذكرنا من ذلك نماذج فى فصل سابق، ومع ذلك يقولون «إنها جاءت عن طريق الوحى من الروح القدس، وأنهـا إلهامية ومعلوم بالطبع أن الوحى لا يتناقض مع الوحى.

١٠ — ينص القرآن الكريم على أن الله تعالى لا يرى عن طريق الحس ولا تدركه الأبصار تعظيما لله وإجلالا لقدره، وقصور الطبيعة البشرية عن ذلك. تنزيها لذاته سبحانه وتعالى فقال عز وجل: «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار»(٢).

---

(١) النساء/٨٢ (٢) الأنعام/١٠٣

وقال سبحانه : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » هذا ما أثبته القرآن بيانا لحقيقة الذات فى جلال قدرها ، وهذه قضية عامة فى بيان العلاقة بين الله وخلقه ، لا فرق فى ذلك بين الملى وغير الملى ، والمفروض أن تكون مقررة فى جميع كتب الله المنزلة على أنبيائه .

أما الأناجيل فإنها تذكر أن عيسى المسيح الذى تدعوه إلها كان يدرك بالعين المبصرة ، أى بحاسة البصر ، فكان يرى ويمسك به ، بل قالت إنه كان يضرب ويهان ، ويصرخ ويتألم ، ويحزن ويكتئب ، ويستغيث ويستنجد بالله ربه أن يكشف عنه الغمة » .

هـــذا فضلا عما جاء فى سفر التكوين من التوراة من أن نبى الله يعقوب رأى الله وجها لوجه ، وأخذ يصارعه حتى الفجر .

كما جاء فى التوراة أيضا أن موسى وهارون والسبعين من شيوخ بنى إسرائيل قد رأوا الله — عز وجل — وقت الموعد . وهذا يتنافى مع جلال قدره سبحانه .

١١ — إن القرآن ليذكر على لسان عيسى — عليه السلام — حين تكلم فى المهد بأن السلام عليه يوم ولد ، وأن السلام عليه يوم يموت ، يقول عز وجل : « والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا(١) » .

ويجب أن يقع السلام على المسيح فى حياته وفى نهايته ، أى يكون واقعا فعلا لا قصة تحاك فى إنجيله .

ولكن الأناجيل الأربعـــة تذكر عنه فى يوم موته ما تقشعر منه

---

(١) الآية من سورة مريم ٣٣

الأبدان إذا سمعته من قسوة عليه حين سيق إلى المحاكمة ، وحين خروجه إلى الصليب من سب وشتم ، وسخرية واستهزاء ، وضرب ولكم ، وبصق فى وجهه ، ولطم على قفاه ، وإلباسه تاجا من الشوك و .. و .. وكذلك وهو على الصليب حين يطلب قطرة من الماء فيسقى خلا أومرا .

فهل كان فى هذا سلام عليه يوم موته الذى زعموه ؟ وهل تعتبر قصة نهاية نبى وحيا نزل عليه ؟ وهل يوحى إلى نبى بعد نهاية حياته فى الدنيا ويسجل فى كتابه السماوى ؟ إن هذا إلا قول البشر . إن القرآن يصدق ما بين يديه ، ولكن الأناجيل تكذبه افتراء على الله .

خلاصة ما تقدم :

ما ذكر فى هذا الفصل من معالم قليل من كثير مما ذكره القرآن الكريم كمعالم تشير إلى أن الإنجيل الذى توجد فيه هذه المعانى — من عقائد وتعاليم كشف القرآن عن ثبوتها فيه — يكون هو إنجيل المسيح الذى يجب الرجوع إلى حكمه ، والاحتكام إلى تعاليمه ، لأنه الإنجيل السماوى كتاب النور ، والهدى ، كما وصفه القرآن الكريم فى سورة المائدة(١) .

فلما طمست هذه المعالم بطمس الإنجيل الحقيقى نسى النصارى قسطهم من الكتابات ، وتمسكوا بتلابيب كتب وضعها البشر فأوردتهم موارد العداوة والبغضاء فيما بينهم ، قال تعالى : « ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسو حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة »(٢) .

حتى جاء الكتاب المبين — القرآن — الذى أنزل على خاتم النبيين — محمد — ﷺ — والذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لأن بارىء السماوات والأرضين قد تكفل بحفظه من أى خلط أو خلل ، ومن تبديل أو غلط — فكشف هذا الكتاب القناع عن خبىء مقالهم فى الإنجيل من أمور أخفوها أكثر من أن تحصى أو تذكر فقال عز وجل : « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير »(٣) .

ولأن القرآن والإنجيل يخرجان من مشكاة واحدة ، جاء القرآن هدى ونور ، كما أن الانجيل كان هدى ونورا، فقال سبحانه مخاطبا أهل الكتاب

---

(١) إقرأ الآية /٤٦ (٢) المائدة/١٤ (٣) المائدة/١٥

ومنهم النصارى : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم »(١) .

هذا ، ويلوح من السياق القرآنى أنه كانت هناك فى عصر نزول القرآن بقية باقية من الموحدين على دين عيسى — عليه السلام — يعرفون ذلك الإنجيل السماوى وإن أطمره الاضطهاد والتعسف ، لذلك أحال القرآن أتباع المسيح إلى الرجوع إليه ، وليحكموا بما فيه ، ومن لم يحكم بما فيه فهو من الخارجين عن الصراط المستقيم فقال عزوجل : « وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون »(٢) — أى الخارجون عن دين الحق إلى سبل الضلال .

كما يلوح من السياق القرآنى أن هذه الفئة القليلة الباقية من طائفة النصارى لو تمسكت بالإنجيل المنزل من عند الله لأسبغ الله عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ، ولأغدق عليهم من فضله ما لم يكن فى الحسبان ، فقال سبحانه : « ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة . . . »(٣) .

وبالنظر فى هذه الآية يبرز للعقول قوله تعالى : « وما أنزل إليهم من ربهم » ، ولم يقل ما كتبه إخوانهم — أى الإنجيليون — فإن هم أقاموا على ما وضعه البشر ولم يحكموا إنجيل الله المنزل على نبيه عيسى فإنهم يصيرون هباء منثورا ، قال تعالى : « قل يا أهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم(٤) » .

وذلك لأن فيه توجيه من الله على لسان المسيح بوجوب اتباع النبى

---

(١) المائدة/١٥ ، ١٦ — (٢) المائدة/٥٦
(٣) المائدة/ ٦٦ — (٤) المائدة/ ٦٦

الذى يعقبه ، والذي سماه (أحمد) وهو نبي الإسلام . وإذن فهو يهديهم إلى أحقية دين الإسلام الذى يدعو إليه (أحمد) عليه الصلاة والسلام قال تعالى: « وإذ قال عيسى ابن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد »(١) . ومن ذلك سيرجعون إلى القرآن رجوع المستضىء بنور الإنجيل وهداه إلى ظلال الدين الحق ، دين الإسلام الحنيف ، وإلى دستوره المحفوظ بأمر الله من العبث والتحريف ذلك هو القرآن الكريم . وسوف يجدون فيه الدواء لكل داء يعترى البشرية ، والشفاء من كل سقم وبلاء ، كما قال الله عز وجل : « يا أيها الناس قدجاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين »(٢) « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين »(٣) « قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء »(٤) لأنه كلام الحق الذى لا عوج فيه ، ولا أمتا ، وهو الحق المبين الذى نزل إظهاراً للحق وتثبيتاله وإرساء لقواعده ، « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل »(٥) « قرآنا عربيا غير ذي عوج »(٦) .



---

(١) الصف/٦ (٢) يونس/٥٧ (٣) الإسراء/٨٢
(٤) فصلت/٤٤ (٥) الإسراء/١٠٥ (٦) الزمر/٢٨

الفصل الثالث

ألقرآن ينفي مزاعم زعموها في الانجيل

قال تعالى : « وما أنزلنا عليك الكتاب
إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه » النحل ٦٤

وكما أثبت القرآن بعض المعاني الواردة في إنجيل المسيح لتكون إشارات من القرآن إلى التعرف على الإنجيل الحق . نفي أيضاً مزاعم وهرطقات زعموها في الإنجيل — وما هي من الإنجيل — مدعين أن المسيح جاءهم بها ودعا إليها ، ففضح القرآن بذلك تدليس المدلسين وكشف دخيلة الخادعين الذين تقولوا على الله والمسيح بما لم يقله ولم ينزل الله به من سلطان ، بل هو محض افتراء وكذب على الله سبحانه ، وقد توعدهم كما توعد كل من سلك مسلكهم بقوله تعالى :

« ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولوا على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون »(١) .

هذا هو وعيد عن تجرأ على الله الحق فكذب عليه وأشرك معه غيره

---

(١) سورة الأنعام / ٩٣ ، ٩٤

فيما أنزل على رسله وأنبيائه . ولقد عرض القرآن بعض المزاعم التى زعموا أن الله أنزلها على المسيح أو قالها من عنده كإله مزعوم وهى لم تنزل عليه ولم يقلها بل اختلقت ولفقت تلفيقاً ، فمن هذه المزاعم :

١ — زعمهم أن الإله — عز وجل — ثلاثة ، وأن الله — تعالى عما يقولون — ثالث الثلاثة .

وقد أبطل الله فى قرآنه هذا الزعم الباطل ناهياً أهل الكتاب من النصارى عن ذلك الانحراف المضل، والمفضى بأهله إلى الهاوية، وداعياً لهم فى الوقت نفسه إلى التوحيد الخالص المنجى لأصحابه من عذاب يوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين ، فقال جل شأنه :

« يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد »(١) .

فنهاهم الله عن المغالات فى الدين الداعية إلى التقول على الله بغير الحق زيفاً وباطلا ، فأين هذا مما يدعون فى إنجيلهم من أن المسيح أمرهم أن يدعوا الناس ويعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس ؛ وهو قول مكذوب على المسيح فضلا عن أنه لا يدل صريحاً على التثليث لكنهم تمسكوا به دليلا .

٢ — زعموا أن المسيح ابن الله ، وابن الله لابد وأن يكون إلهاً ، فانتهوا إلى أن المسيح ابن مريم إله .

---

(١) سورة النساء / ١٧١

يقول يوحنا عن التلميذ بطرس المزعوم رئيسا للحواريين «فأجابه سمعان بطرس ياوب إلى من نذهب . . . ونحن قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحى . . . »(١) .

ويقول التلاميذ «بالحقيقه أنت ابن الله» متى ١٤ : ٣٣ و ١٦:١٦

فهذا الزعم قد نفاه القرآن الكريم وكفر قائله فقال تعالى : «لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم »(٢) .

وقد أيقظ القرآن عقولهم إلى ضلال هذه الأفكار التى تزعم إلاهية المسيح بزعم بنوته لله ، فأعاد إليهم قول المسيح الحق فقال «وقال المسيح يابنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار »(٣) «إذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق . . . » إلى أن قال : ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم »(٤) .

فادعاء إلاهيته قول مفترى عليـــه السلام عليه ، فما دعا المسيح إلا إلى ألوهية الواحد سبحانه ، وأنذرهم سخط الله وغضبه عليهم، ومثوى النار ، ثم الحرمان من جنة الرضوان وما لهم من ناصرين .

كما نفى القرآن أن يكون المسيح إلها وإنما هو إنسان ولد من إنسان هو مريم البتول ، وأنه لم يزد على أن يكون بشراً لأنه ابن البشر وليس

---

(١) يوحنا ٦٨:٦ ، ٦٧

(٢) سورة المـائدة / ٧٢

(٣) سورة المـائدة / ٧٢

(٤) سورة المـائدة / ١١٦ ، ١١٧

ابن إله، ومادام هو بشر وابن بشر فإنه يحتاج لا محالة إلى طعام وشراب ليقيم به أود جسده كبشر ، والمحتاج إلى غيره لا يكون إلها ، ومادام يأكل الطعام فإنه لا محالة يخرج فضلات طعامه كسائر البشر ، فليس إذن هو الإله ، لأن هذا لا يليق بإله قال الله فى كتابه العزيز : « ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم »(١) .

فلم تزد مهمة عيسى عن وظيفة الرسالة إلى بنى إسرائيل الإيمان بالله وتوحيده .

كما أرجع القرآن القول بأن المسيح ابن الله إلى عقائد الوثنية الكافرة فى الأمم السابقة فقال تعالى : « . . . وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل »(٢) .

ولقد نعى القرآن عليهم أن يكون له ولد وليس له صاحبة فقال فقال عز وجل « بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة »(٣).

ودعوى أن يكون لله الولد كادت أن تتفطر من فظاعتها السموات ، وتنشق الأرض ، وتسحق الجبال هدا ، قال سبحانه : « وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدآ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر

---

(١) سورة المائدة / ٧٥ ، ٧٦

(٢) سورة التوبة / ٣٠

(٣) سورة الأنعام / ١٠١

الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولداً إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا »(١) .

٣ — زعموا أن المسيح أمسكوا به ، واقتادوه إلى دار الولاية ، وحوكم أمام مجلس اليهود الأعلى (السنهدرين) وحكموا عليه بالموت، وسيق إلى الصليب فى موكب الهزء والسخرية ، والتحدى لقدرته إن كان إلهاً، وعلى الصليب استغاث بربه بصوت عال معاتباً إياه بقوله : « إلهى إلهى لماذا تركتنى ، ثم أسلم الروح(٢) .

وهكذا أثبتوا فى الإنجيل قتل المسيح وصلبه وقد تبارت الأناجيل فى ذكر قصة الصلب متخذاً كل انجيل طريقة خاصة أبرز فيها فنه وحذقه فى تصوير مأساة إلههم ونهايته الحزينة ، بينما هم يلطخون المسيح بالذل والعار فى مأساته ، والإهانة والسخرية التى تشمئز من تصويرها النفوس وتأبى أن تصغى لها الطباع السليمة ، يجىء القرآن الكريم الذى هو تنزيل رب العالمين ، الذى هو أعلم السر وأخفى ، فيكشف القناع عن هذا الخداع الذى تذكره الأناجيل ، والتعليم الذى ابتدعته وصورته ليأخذ صيغة التقديس الكهنوتى ، فيذكر القرآن أن المسيح عليه السلام لم يقتل ولم يصلب ولم يصب بأذى أو سوء أو تلحقه سخرية أو امتهان ، بل نجاه الله الله سبحانه وجعله من الناجين . فقال تعالى مكذباً ما يفترون « وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم ، وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما ... »(٣) .

---

(١) سورة مريم ٨٨ — ٩٠

(٢) راجع الإصحاحات الآتيــــة : متى ٢٧ مرقس ١٥ لوقا ٢٣ يوحنا ١٩

(٣) سورة النساء ١٥٧ ، ١٥٨

فانظر إلى القرآن ، إنه يعلى شأن نبى الله أن تلحقه مضرة المعاندين ، بينما الأناجيل تجعله محل انتقام واشتفاء المكذبين والمعاندين . ثم إنه يبرى ساحته من الموت على خسف وذلة وهم يصورونه فى مناظر أهون من الهوان، وتفننوا فى إبراز الفزع ومرارة النهاية بما لم يحصل لمثله من الأفراد العاديين الذين سيقوا إلى الصليب بأشنع الجرائم ، بل نراهم يظهرون مسرة بجرم آخر يصلب معه فى نفس الوقت بحديث يهزأ به من المسيح وكلامنهما على صليب، هل لهذا معنى سوى إظهار قتامة لون المأساة التى يعانيها مسيحهم وإلههم المزعوم ؟ .

أما القرآن فإنه يجعله فوقهم منزلة هو ومن اتبعه إلى يوم الدين ، والذلة والصغار للكافرين والمعاندين « إذ قال الله ياعيسى إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة »(١) .

إن نهايته على الأرض كانت أمنا وسلاما وحفظا من العدوان كما قال القرآن الكريم « والسلام على يوم ولدت ويوم أموت » فصدق الله وعده ونصر على أعدائه عبده رسوله المسيح بن مريم عليهما السلام .

٤ — تزعم الأناجيل أن اليهود والشعب والجند استطاعوا أن يمسكوا بالمسيح ويقبضوا عليه وأنهم أسلموه إلى دار الولاية وحاكموه ونفذوا فيه حكم الإعدام المقضى به كما هو نص الإنجيل فى البند ٣ .

والقرآن الكريم ينفى أن يكون قد قبض عليه أو تمكنوا من الإمساك به وذلك فى موضعين من القرآن .

---

(١) سورة آل عمران/٥٥

فى الموضع الأول تدل الآية الكريمة على أنهم أمسكوا بإنسان شبه لهم كشبه المسيح فقال تعالى : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم[1] » ثم بين لهم أن الذين أمسكوا به بل والذين حاكموه كانوا فى شك من حقيقة شخصه ، فلم يكن هنا يقين من أن الذى يحاكمونه هو هو المسيح .

فقال سبحانه : « وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه[2] » فالله سبحانه الذى لا يعجزه شىء فى السموات ولا فى الأرض قد ألقى شبهه على آخر ربما كان هو التلميذ الخائن ليساق إلى حيث يلقى جزاء خيانته ، واستلت القدرة العظيمة نبيه ومصطفاه من هذه الأزمة التى ألمت به ، بعد أن دعا الله أن يدفع عنه كأس الموت بهذه الكيفية المزرية ، واستجاب الله له كما جاء فى الأناجيل الثلاثة[3] .

وإننا نستطيع أن نلمح ملامح الشك تعلو وجوه من حاكموه وذلك من خلال أسئلة الإستنكار التى ألقوها على متهمهم وأجوبته التى لم تصرح بأنه هو المسيح المعنى بالتحقيق معه وإدانته ، فلتنظر مثلا إلى ما جاء فى لوقا «ولما كان النهار أجمعت مشيخة الشعب ورؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه إلى مجمعهم قائلين إن كنت أنت المسيح فقل لنا فقال لهم إن قلت لكم لا تصدقون وإن سألت لا تجيبونى ولا تطلقونى . . . فقال الجميع أفأنت ابن الله فقال لهم أنتم تقولون أنى أنا هو »[4] .

فقام كل جمهورهم وجاؤا به إلى بيلاطس فسأله بيلاطس قائلا أنت ملك اليهود فأجابه وقال أنت تقول فقال بيلاطس لرؤساء الكهنة والجموع إنى لا أجد علة فى هذا الإنسان ...

(١ ، ٢) النساء / ١٥٧

(٣) أنظر متى ٢٦ : ٣٦ — ٤٥ ومرقس ١٤ : ٣٣ — ٤١ ولوقا ٢٢ : ٣٩ — ٤٦

(٤) لوقا ٢٢ : ٦٦ — ٧١

فلما سمع بيلاطس ذكر الجليل سأل هل الرجل جليلي . . . أرسله إلى هيرودس — حاكم الجليل — وسأله — أي هيرودس — بكلام كثير فلم يجبه بشيء ... ورده إلى بيلاطس ... فدعا بيلاطس رؤساء الكهنة والعظماء والشعب وقال لهم ... ها أنا قد فحصت قدامكم ولم أجد في هذا الإنسان علة مما تشتكون بها عليه ولا هيرودس أيضاً لأني قد أرسلتكم إليه وها لا شيء يستحق الموت صنع منه »[1] .

وقال لهم بيلاطس ثلاث مرات إني أريد أن أطلقه ولكنهم أحدثوا ضجة مطالبين بقتله .

وإننا هنا نطلب من اللبيب أن يتأمل هذه المحاورة التي جرت بين المقبوض عليه وبين محاكميه هل يرى أنهم متأكدون أنهم يحاكمون شخص المسيح أم أن الشك باد وظاهر على السائل والمجيب ؟ وهل هذا الموقف المتخاذل من المتهم المذكور يصح أن يصدر من نبي من المستحيل عليه أن يجزع في مثل هذه المواقف؟ لا بد أن نذكر أن المسيح رسول من عند الله ، واثق تمام الثقة بأمر ربه وحكمه ، ومؤمن بقضائه وقدره ، إن علائم الموقف تفصح كل الإفصاح عن أن الماثل أمام القضاة ليس هو عيسى المتهم المقصود ، وظهر ذلك صراحة من سلاطين الحكم آنذاك الذين يمثلون السلطة التنفيذية لقد ذكروا ذلك من حيث لا يدرون أنه تعزيز لما سيكشف عنه القرآن الكريم في مستقبل الزمان .

هذا هو الموضع الأول من القرآن الذي يدل على مصدر الشك في حقيقة المسيح عليه السلام وأكدته نصوص الإنجيل .

٢ — أما الموقف الثاني الذي تقرر في القرآن الكريم فهو الذي يبين أن

---

(١) لوقا ٢٣ : ١ — ٢٦

المسيح أعطاه الله سبحانه قوة خاصة يستطيع بواسطتها أن يختفي عن أعين الناس إذا أرادوا الإمساك به ، وعلى ذلك يمكن أن يتفلت من القبض عليه أعدائه وذلك فى قوله تعالى : « وإذ كففت بنى إسرائيل عنك إذ جئتهم من بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين »(١) .

فمنعه الله الذى لا مانع من الضر سواه ، منعه من المصير الذى أراده له أعداؤه وخصومه ، ولا عجب فهو صاحب معجزة إحياء الموتى إبراء الأكمه والأبرص ، وهو الذى يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ،وهو هنا أيضاً يستطيع أن يمسك أعين الناس عن رؤيته إذا توجهوا بالقبض عليه لمحاكمته ليكون مصداقا لقوله تعالى : « وإذ كففت بنى إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات » .

وقد يمكننا الاستئناس بما جاء فى إنجيلهم فى هذا المعنى مما تفلت منهم وسجل فيها بيانا لمعالم الحقيقة التى يريد الله إظهارها ويريدون إخفاءها كما ثبت فى معنى الموضع الأول من هذ الاستشهاد .

ذلك أنه جاء فى يوحنا فى كثير من المواضع أنهم كانوا إذا أرادوا الهجوم عليه لإمساكه وينصبون حوله حلقه من البشر ويقتربون منه محكمين حلقهم حتى لا ينفلت من أيديهم — كأنما يقبضون على حيوان مفترس — إذ بالمسيح يخرج من بينهم من غير أن يحسوا به كأنما هو نار قد انطفأت فلا يجدونه ولا يستطيعون الإمساك به(٢) .

أليس يمكن القول بأنهم حين أرادوا القبض عليه أمسك الله أعينهم عنه بقوة لعيسى منحها الله له ثم ألقى شبهه على آخر فأمسكوا به فكان هو

(١) سورة المائدة ١١٠

(٢) راجع فى ذلك إنجيل يوحنا إصحاح ٧ : ٣٠ ، ٤٤ وإصحاح ٨ : ٥٩ وإصحاح ١٠ : ٣٩

الذى مثل أمام محاكميه ، إننى أطلب من القارئ إعادة النظر فى النصوص المذكورة مرة بعد مرة ليصل إلى يقين القرآن الكريم .

٦ — إن الله سبحانه قد ذكر فى قرآنه قوله تعالى لنبيه وخليله إبراهيم — عليه السلام — حين سأله أن يجعل عهد النبوة والإمامة فى ذريته من بعده ، واستجاب الله دعاءه بشرط فرضه عليـــه ، فقال له : إنه سيجعل النبوة والإمامة فى ذريته للصالحين منهم دون الظالمين ، فإخراج الظالمين من عهد النبوة هو شرط المشيئة العليا فى تحقيق هذا الرجاء ، وذلك فى قوله تعالى :

« وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إنى جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين »(١) .

والحواريون كما تذكر الأناجيل نكلوا عن المسيح وخذلوه حين قبض عليه ، فهربوا وانفضوا من حوله .

يقول الإنجيل « . . . حينئذ تقدموا وألقوا الأيادى على يسوع وأمسكوه ... حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا »(٢) »

حتى إن بطرس رئيس الحواريين أنكر أنه يعرف المسيح حين تسلل إلى بيت قيافا رئيس الكهنة حيث جتمع الكتبة والشيوخ لمحاكمته .. يصور الإنجيل هذا المشهد بقوله :

---

(١) سورة البقرة /١٢٤

(٢) متى ٢٦ : ٥٠ ، ٥٦

«أما بطرس فكان جالسا خارجا فى الدار فجاءت إليه جارية قائلة وأنت كنت مع يسوع الجليلى فأنكر قـــدام الجميع قائلا لست أدرى ماتقولين ثم إذ خرج إلى الدهليز رأته أخرى فقالت للذين هناك وهذا كان مع يسوع الناصرى فأنكر أيضاً بقسم إنى لست أعرف الرجل وبعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرس حقاً أنت أيضاً كنت منهم فإن لغتك تظهرك فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف إنى لا أعرف الرجل وللوقت صاح الديك فتذكر بطرس كلام يسوع الذى قال له إنك قبل أن يصيح الديك تنكرنى ثلاث مرات(١)» .

والعجب أنهم بعد هذا التصوير الصريح لموقف بطرس من أستاذه نراهم يقولون إن المسيح أرسله وأرسل سائر الحواريين ليكرزوا بالإنجيل إلى جميع الأمم أئمة ورسلا للناس مثلما كان المسيح كذلك ، وهذه إمامة فى الناس مثل التى طلبها إبراهيم — عليه السلام — لذريته .

ثم تذكر الأناجيل أيضاً أن عيسى قال للحواريين «الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطا فى السماء وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولا فى السماء» أى أنه خولهم وفوضهم فى تحريم الحرام وحل الحلال فى الأرض كما يشاؤون ، وكذلك قالها لبطرس منفردا :

«أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستى . . وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ماتربطه على الأرض يكون مربوطا فى السموات وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا فى السموات(٢)» ، وهذه إمامة فى الناس أيضاً مع أنه خاطب بطرس فى نفس المرجع السابق قائلا «وقال

---

(١) متى ٢٦ : ٦٩ — ٧٥

(٢) متى ١٦ : ١٨ ، ١٩

لبطرس إذهب عنى يا شيطان أنت معثرة لى لأنك لا تهتم بما لله لـكن بما للناس(١) » .

فإذا كان هذا هو وصف الحواريين ومنهم بطرس حسب منطوق الإنجيل . وإذا كان القرآن الكريم يقول بأن الإمامة فى الناس لا تنال الظالمين من ذرية إبراهيم ، فهل تعطى لهؤلاء وهم ظالمون بشكوكهم عن المسيح وتخليهم عنه فى وقت شدته وإنكار بطرس له وقت محنته ؟

وهل بهذا يكون القرآن مصدقا لما بين يديه ؟ إن ما بين يديه مخالف ومناقض له ، إذن فمقصود القرآن بالتصديق لما بين يديه إنما هو التصديق لإنجيل غير هذا الإنجيل المتداول حتما .

وأيضاً ما علم من أمر بولس ، فقد كان ضدا للكنيسة ، وكان يهجم على البيوت ويجر المؤمنين بالمسيح نساء ورجالا إلى السجن ويقتلهم ويضطرهم إلى التجديف (الكفر بالمسيح وشتمه) ، وكان هو مجدفا ومضطهدا ومفتريا، جاء فى سفر أعمال الرسل :

« أما شاول (بولس) فكان لم يزل ينفث تهددا وقتلا على تلاميذ الرب (المسيح) فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل الى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجـــد أناسا من الطريق رجالا أو نساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم »(٢) .

ويقول فى موضع آخر من سفر الأعمال وهو يحكى عن نفسه « واضطهدت هذا الطريق حتى الموت مقيدا ومسلما الى السجون رجالا

---

(١) متى ١٦ : ٢٣
(٢) أعمال ٩ : ١ ، ٢

ونساء، كما يشهد لي أيضاً رئيس الكهنة وجميع المشيخة الذين إذا أخذت أيضاً منهم رسائل للأخوة إلى دمشق ذهبت لآتى بالذين هناك إلى أورشليم مقيدين لكى يعاقبوا(١) » .

فهذا ما كان من أمره بإقراره وشهادة الشهود عليه وقد سجل ذلك في كتاب مقدس .

فكيف يجتمع هـذا مع ما يذكره العهد الجديد في سفر الأعمال والرسائل المنسوبة إلى بولس من أن بولس صار رسولا وإماما ؟ بل هو في المسيحية أعظم من نبي ، مع أن رسائله تلغي شريعة التوراة التي أمر عيسى بالتمسك بها ، والعمل بما فيها من أوامر واجتناب ما أتت من نواه ، وأن تعتقد عقائدها ويعمل بشرائعها فيحكى الإنجيل عن عيسى قوله «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل(٢)» .

ولكن بولس الرسول قد عاب التوراة وذم العمل بها وجعلها حجر عثرة في إيمان المؤمن وأن الغضب من الله واللعنة على من عمل الناموس .

وقد خرج بذلك بولس عن طريق التوراة واستحق هو ومن تبعه لعنة الله والكتاب فقد جاء في التوراة « ملعون من لا يقيم كلمات هـذا الناموس ليعمل بها ويقول جميع الشعب آمين(٣) » .

ونعود إلى عهد الله بالنبوة في القرآن : هل يصح أن يناله هؤلاء الظلمة والأفاكين وهم لم يتبعوا توراة ولا إنجيلا ؟ إن المسيحيين قد ظلموا أنفسهم

---

(١) أعمال ٢٢ : ٤ ، ٥

(٢) متى ١٥ : ١٧

(٣) تثنية ٢٧ : ٢٦

بجعلهم الظالمين رسلا وأئمة ، وهذا يخالف عهد الله لإبراهيم فى القرآن الكريم (قال لا ينال عهدى الظالمين) .

٧ — يقول القرآن الكريم « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله» آل عمران/٦٤

والمعنى : أن القرآن يدعو أهل الكتاب ومنهم المسيحيون إلى عبادة الله الواحد الأحد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، وألا يتخذوا من البشر أربابا من دون الله فإن لم يستجيبوا واتخذوا من البشر أربابا فهذا هو الشرك البواح الذى لا يغفره الله أبدا « إن الله لا يغفر أن يشرك(١)» .

والإنجيل يدعو المسيح بالرب مخالفا بذلك القرآن الكريم، يقول لوقا «ولد لكم اليوم فى مدينة داود مخلص هو المسيح الرب(٢)» .

ويقول العهد الجديد عن المسيح « المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب(٣) » الى غير ذلك من نصوص وما أكثرها ، والمسيح — عليه السلام — لم يدع نفسه ربا من الأرباب بل دعا قومه الى عبادة الله الواحد .

فهل يكون القرآن بذلك مصدقا لما بين يديه من الإنجيل . ؟

٨ — يقول القرآن الكريم « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا

---

(١) النساء ١١٦ (٢) لوقا ٢ : ١١

(٣) ١ تيموثاوس ٢ : ٥

ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ، آل عمران ٧٩/ ، ٨٠

فالقرآن بهذا الكلام يبرىء المسيح — عليه السلام — وإنجيله الحقيق من جعله ربا ومن كونه يدعو الناس إلى عبادته من دون الله أو عبادة غيره من الأنبياء ، فقد نفى القرآن عنه هذا القول الكاذب الذي أسندته الأناجيل إليه بقولها « كل شيء به كان — أي بالمسيح — وبغيره لم يكن شيء مما كان(١) ، أي أنه خلق كل ما في الوجود ، وبذكر لوقا أن أحد المذنبين قد دعاه (ربا) وهو على الصليب فيقول « قال — أي المذنب — ليسوع إذكرني يارب متى جئت في ملكوتك ، وسمع الرب يسوع هذه الطلبة وأمن على دعوته له بالرب.فقال مستجيبا دعوته « . . الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس(٢)، وفي سفر أعمال الرسل «كانوا يرجمون استفانوس وهو يدعو ويقول أيها الرب يسوع اقبل روحي(٣)، وكان الرب يسوع « قائما عن يمين الله(٤) ، وقد سمع لصلاة استفانوس واستجاب طلبته ، كما نعته بولس أيضاً بالربوبية حيث قال في رسالته الثانية الى كورنثوس : «نعمة ربنا يسوع المسيح(٥) » .

٥ — زعموا أن المسيح باعتباره ابنا إلها يقدر أن يحي الموتى أنى شاء لأنه يماثل الآب في كل صفات الألوهية، وطبعا كل ما يجوز على أحد

---

(١) يوحنا ١ : ٣ (٢) لوقا ٢٣ : ٤٢ ، ٤٣

(٣) اعمال ٧ : ٥٩

(٤) اعمال ٧ : ٥٥ وانظر — الله واحد في ثالوث لبولس فرج بولس

(٥) كورنثوس الثانية ١ : ٣ و ١٣ : ١٤

بالمثلين يجوز على الآخر ، بل أكثر من هذا فقد ذهبوا إلى أن الإبن قد استقل بحساب الخلائق على خطاياهم وجميع انحرافاتهم وتقصيرهم ، ربما لأنه فى نظرهم بذل نفسه على الصليب فداء للبشر و كفارة فلابد أن يأخذ بحقه فيقتص لنفسه من الخارجين والمنحرفين غير المؤمنين ببنوته الإلهية ولم تعد للآب أدنى فاعلية فى حساب الخلائق لأنه تنازل له عن هذا الاختصاص .

يقول يوحنا : « لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيى كذلك الإبن أيضا يحيي من يشاء لأن الآب لايدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للإبن »(١) .

هذا الزعم الخاطىء قد نفاه القرآن عن غير الله سبحانه وتعالى ، فليس لأحد كائنا من كان أن يحيي الموتى إلا الله وحده ، لأنه الذى خلقه والذى يحيي بعد الموت ، والمسيح لم يستطع أن يخلق مثقال ذرة فى أى من أنواع المخلوقات .

قال الله سبحانه : « له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت »(٢) .

ولم يستطع المسيحيون أن يدعوا أويشهدوا عن معاينة بأن المسيح خلق شجراً أو حجرا أومدرا أو خلق إنسانا أوحيوانا ، أو كوكبا أوسماء أو أرضا أو ماء ، قال تعالى : « ماأشهدتهم خلق السموات والأرض ولاخلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا »(٣) وإذا كان لايستطيع وليست لدية القدرة على الإبداع وبره الأنفس ، فكيف يملك زمام السيطرة على الأرواح يبثها فى الموتى ويعيدها كما كانت ، ليس ذلك لأحد

---

(١) يوحنا ٥ : ٢١ ، ٢٢ (٢) سورة الأعراف ١٥٦

(٣) الكهف / ٥١

إلا الله الواحد القهار « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا »(١) .

وربما اغتر أتباع المسيحية بما وقع على يد المسيح من حالات معدودة فأحيي فيها بعض الموتى بأمر الله وقدرته ومشيئته العليا ، ولكن هذه منحة من الله له كمعجزة تدل على أنه رسول رب العالمين، وليس هناك أكثر من هذا ، فليس الخلق صفة ذاتية فى المسيح — عليه السلام — قال الله تعالى « ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله »(٢).

أما الزعم الآخر وهو أنه يستقل بحساب الأموات دون الله الآب فهذا أمر غريب ، إذ كيف يخلق الله ويهب نعمه التى لا تحصى لخلقه ثم يأخذ زمام الدينونة غيره سواء كان ابنا ، أو غيره « أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض ، أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين »(٣) .

والقرآن الكريم نفى أن يكون حساب الخلائق لأحد غير الله عزوجل فى يوم الدينونة ، بل إن المسيح — عليه السلام — سوف يحاسب فى ذلك اليوم أمام الأشهاد عن مدى أدائه لمهمتـه الرسولية ، وكل الرسل سوف يسألون عن مدى استجابة أقوامهم لدعواتهم ، والله أعلم بما عملوا، ولكن ليحق الحق ويبطل الباطل « يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم » وسوف يتوجه الخطاب إلى ابن مريم خاصة ليقول المسيح على ملأ الأشهاد أنك أنت الله بيدك الأمر إن شئت عذبت وإن شئت غفرت وما أنا إلا

---

(١) سورة الملك ١ ، ٢ .
(٢) سورة آل عمران ٤٩ .
(٣) سورة النمل ٦٤ .
(٤) سورة المائدة ١٠٩ .

عبد من عبيدك الصالحين الذين اختصصتهم بنعمة الرسالة والتبليغ للبشر وقد أديت مهمتى من غير تقصير كما أمرتنى .

« إذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ، قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ماليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولاأعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم »(١) .

« ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » (٢) .

هذه هى حقيقة الموقف فى يوم الأشهاد « يوم لاينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار(٣) .

زعموا أن الإله الابن كان يوجد فى مكان ولايوجد فى آخر ، وأنه أخبرهم بأنه عما قريب لايكون معهم ، وذلك فى قصة المجدلية حين سكبت على رأسه قارورة الطيب الباهظة الثمن ، حين عاتبه أصحابه على أن ذلك إتلاف وتبذير فقالوا له فى حالة من الغيظ « لماذا هذا الإتلاف لأنه كان يمكن أن يباع هذا الطيب بكثير ويعطى للفقراء ... وقد رد عليهم قائلا : لقد عملت المرأة عملا حسنا لأن الفقراء معكم كل حين وأما أنا فلست معكم فى كل حين »(٤) .

---

(١) سورة المائدة ١١٦ — ١١٩ (٢) المائدة / ٧٥
(٣) سورة المؤمن ٥٢
(٤) متى ٢٦ : ٦ — ١١ ومرقص ١٤ : ٣ — ٧ .

والقرآن الكريم ينفى عن الله أن يكون مفارقا للكون كله بل يقرر أنه ما من اثنين إلا وهو ثالثهما ، ولا ثلاثة إلا وهو رابعهم ولا أدنى ولا أكثر من ذلك إلا وهو معهم .

قال تعالى : «ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا »(١) .

كما زعموا أنه كان يركب الحمار(٢) ويجوع(٣) ويتقوم بالطعام ، وهذا مما جعله القرآن دليلا على عدم ألوهيته(٤) ، وأنه كان يبيت(٥) فى بيت عنيا مساء اليوم الذى قلب فيه موائد الصيارفة فى ساحة الهيكل ، فهل يصح فى العقل أن ينام الإله فى بيت من البيوت ؟

إن الإله العظيم لايجوز عليه غفلة ولا نوم ولا سهو ولا نسيان «الله لا إله إلا هو الحى القيوم لاتأخذه سنة ولا نوم »(٦) وأنه تعالى قد استوى على العرش ، أى ملكه وهيمن عليه ، فأين هذا ممن استوى على الحمار ؟

وهناك الكثير والكثير مما قصده القرآن من تصحيح للمزاعم التى تعتبر تدليلا على أن هذه الأناجيل ليست هى التى أرادها القرآن بقوله «وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه » وبالتالى بظل الطلب قائما : هاتوا إنجيلكم الحقيق ، « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين »(٧) .

نسأل الله أن يهدى للحق من ضل عن سبيله ، وأن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم إنه نعم المولى نعم النصير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

---

(١) سورة المجادلة ٧ (٢) متى ٢١ : ٧
(٣) متى ٢١ : ١٨ ومرقس ١١ : ١٢ .
(٤) اقرأ سورة المائدة ٧٥ (٥) متى ٢١ : ١٧
(٦) سورة البقرة ٢٥٥ (٧) النمل ٦٤

ثبت بأهم مراجع الكتاب

١ – القرآن الكريم ،

٢ – فتح البارى بشرح صحيح البخارى .

٣ – العهد القديم

٤ – العهد الجديد

٥ – أدلة اليقين ، عبد الرحمن الجزيرى

٦ – الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للاسلام. دكتور على وافى

٧ – إظهار الحق . الشيخ رحمة الله الهندى

٨ – أقوال المسيح غير المدونة فى بشائر الإنجيل ، يواقيم أرميا

٩ – الله واحد فى ثالوث ، بولس فرج

١٠ – إنجيل برنابا

١١ – أنوار الجليل فى أخبار مصر وتوثيق بني اسماعيل ، رفاعة رافع الطهطاوى .

١٢ – بولس والمسيحية ، دكتور محمد أبو الغيط الفرت .

١٣ – تاريخ ابن بطريق - أو نظم الجوهر ، ابن البطريق

١٤ – تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم

١٥ – تاريخ النساطرة ، ترجمة عادائى بشير

١٦ حديث الأيام فى قصة الموت والقيام ، محى الدين البغدادى

١٧ – خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر الحلقة الثانية، لجنة التاريخ القبطى

١٨ – دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة مدريس بوكاى

١٩ — سلسلة دراسات فى المسيحية ، موريس ديمترى
٢٠ — الفنى ، ج . تى وذر فورد
٢١ — الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجه جى زادة
٢٢ — الفصل فى الملل والأهواء والنحل محمد بن حزم
٢٣ — قصة الحضارة ، ول ديورانت
٢٤ — معاجم اللغة
٢٥ — الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل، الدكتور وليم آدى الأميركانى
٢٦ — المسيحية فى الإسلام ـ القمص إبراهيم لوقا
٢٧ — المسيحية : نشأتها وتطورها ، شارل جنيبير
٢٨ — المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل أبوطالب المالكى
٢٩ — اليهودية واليهودية المسيحية الدكتور فؤاد حسنين
٣٠ — يسوع المسيح ، بولس إلياس



فهرس موضوع الكتاب

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



رقم الإيداع بدار الكتب
١٩٨٧/٨٣٩٠